د. صلاح عبد الرزّاق

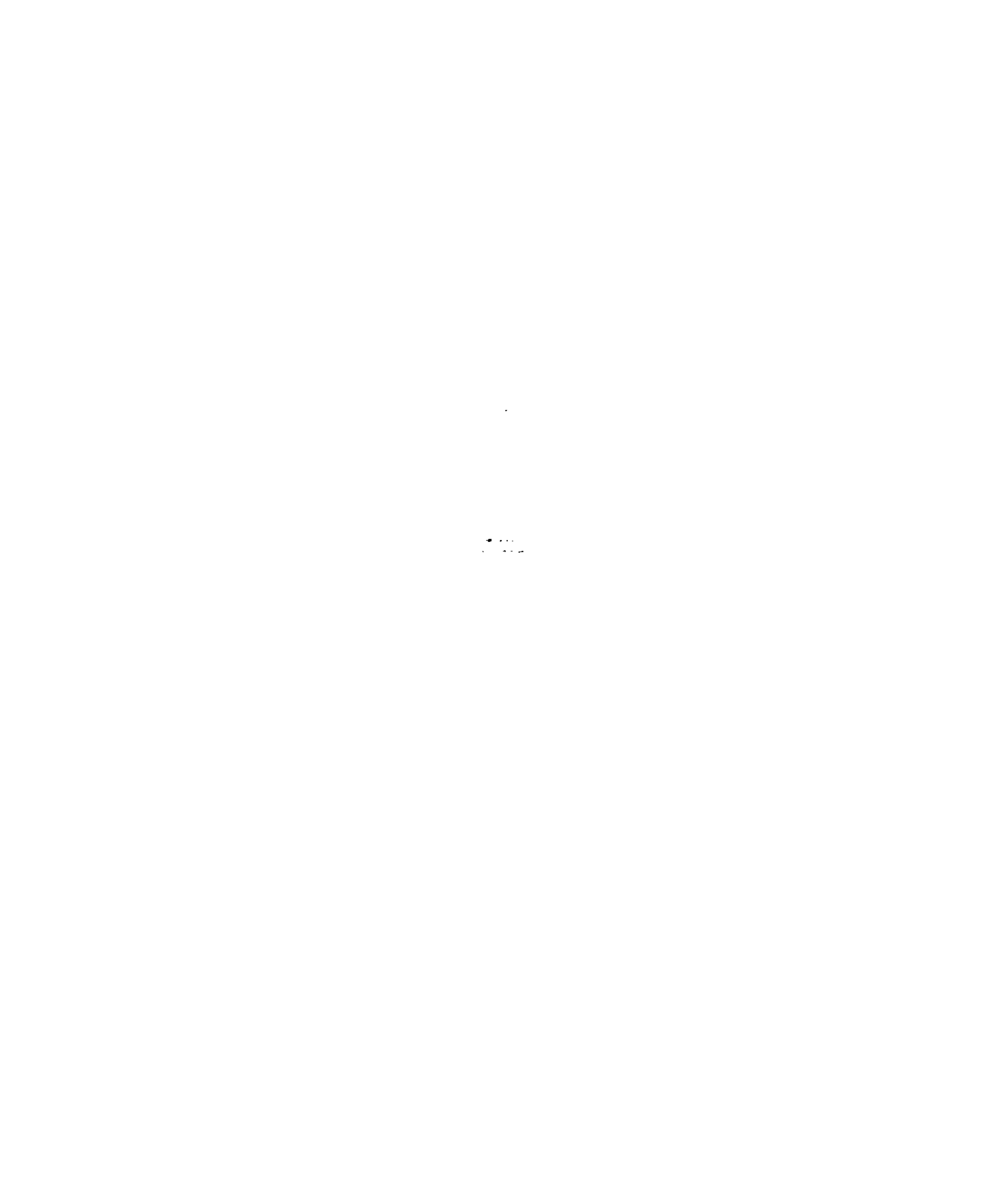
المرجعية والاحتلال الأجنبي

دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي ضد الغزو البريطاني ١٩١٤



المرجعية والاحتلال الأجنبي

دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي
ضد الغزو البريطاني ١٩١٤



الدكتور صلاح عبد الرزاق

المرجعية والاحتلال الأجنبي

دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي
ضد الغزو البريطاني ١٩١٤

منتدى المعارف
alMaaref Forum

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد منتدى المعارف

عبد الرزاق، صلاح

المرجعية والاحتلال الأجنبي: دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي ضد الغزو البريطاني ١٩١٤/ صلاح عبد الرزاق.

٢٢٤ ص.

ببليوغرافية: ص ٢١٩ ـ ٢٢٤.

١. العراق ـ تاريخ ـ الحملة البريطانية (١٩١٤).

٢. اليزدي، كاظم. أ. العنوان.

956.703

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠

البريد الإلكتروني للمؤلف: slahrazaq@yahoo.com

منتدى المعارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت

ص.ب: ٥٢٨٥ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان

هاتف: ٧٣٩٨٧٧ (١-٩٦١)

فاكس: ٧٣٩٨٧٨ (١-٩٦١)

المحتويـــات

مقدمة

يعتبر الاحتلال والاستعمار أفظع صور انتهاك حقوق الإنسان وحرياته، حيث يجري فرض إرادة دولة أجنبية على إرادة شعب وانتهاك سيادة دولته. ومنذ أوائل القرن السابع عشر بدأت طلائع الاستعمار تغزو العالم الإسلامي حين بدأ الهولنديون بغزو جزيرة جاوة عام ١٦٢١ وجزيرة سومطرة (إندونيسيا) عام ١٨٧٤. وغزا البريطانيون البنغال (بنغلاديش) عام ١٧٥٧ والبنجاب (الباكستان) عام ١٨٤٩، ونيجريا عام ١٨١٥، مصر عام ١٨٨٢، تنزانيا عام ١٨٧٠، السودان عام ١٨٩٨، العراق عام ١٩١٤، الأردن وفلسطين عام ١٩٢٠. واستعمر الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠، وتونس عام ١٨٨١، والسنغال عام ١٨٨٢، ومدغشقر عام ١٨٨٢، والمغرب عام ١٩١٢، وسوريا ولبنان عام ١٩١٨. وغزا الإيطاليون الصومال وأريتريا عام ١٨٨٧، وليبيا عام ١٩١١. واحتل الإسبان شمال المغرب عام ١٩١٤. ولم تعان بقية البلدان الإسلامية من الاحتلال العسكري المباشر، ولكنها لم تكن بمنأى عن النفوذ الغربي، السياسي والاقتصادي. فالنفوذ البريطاني كان لديه تأثير قوي في إيران والحجاز.

في المراحل الأولى من التوغل الأوروبي في العالم الإسلامي قاوم المسلمون في مواقع كثيرة الوضع الجديد بالقوة. وكانت عقيدة الجهاد هي الطريقة الوحيدة المتاحة بأيديهم، والقادرة على تعبئة الجماهير ضد الغزو الإستعماري، وأرضية دينية قوية للكفاح المسلح ومعياراً دقيقاً لتحديد العدو الغازي.

كانت المجتمعات الإسلامية آنذاك تفتقد للتنظيم ما عدا المؤسسات الدينية، التي كان بوسعها تعبئة المسلمين في حركة منظمة ضد القوى الاستعمارية. ففي أفريقيا تزعمت الحركات الصوفية والطرق الدينية حركة الجهاد ضد الاستعمار، على الرغم من المظهر السلمي ومبدأ اللاعنف الذي تتسم به الحركات الصوفية عموماً، والانكفاء عن شؤون المجتمع والدولة، والانشغال بحلقات الذكر والأناشيد الصوفية. إذ كان أتباع الطريقة السنوسية في ليبيا، والتيجانية في الجزائر، والإدريسية في المغرب، والختمية في السودان، على رأس المقاتلين والمجاهدين الذين قاتلوا القوات الأوروبية الغازية.

في العراق كانت وما زالت المرجعية الشيعية تمثل معلماً كبيراً من معالم الحياة السياسية والثورية. إذ لعبت دوراً أساسياً في حركة الجهاد التي انطلقت لمواجهة الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤، ثم في المواجهة الثانية عام ١٩١٥. وبقيت تمثل محور الحركة في الثورات والانتفاضات التي أعقبت الاحتلال البريطاني لبغداد عام ١٩١٧، مثل ثورة العشرين عام ١٩٢٠. كما كان للمرجعية الشيعية دوراً بارزاً في الأحداث السياسية الأخرى مثل استفتاء عام ١٩١٩، وتأسيس الدولة العراقية واختيار ملك عربي مسلم عام ١٩٢٠، وانتخابات المجلس التأسيسي العراقي عام ١٩٢٥ وغيرها.

هذه الدراسة كانت تمثل جزءاً من متطلبات الدراسة أثناء مرحلة الماجستير في جامعة لايدن بهولندا عام ١٩٩٦. إذ طلب مني كتابة بحث عن تأثير الفتوى على المجتمع المسلم، وترك لنا الخيار في اختيار الفتوى، فقمت باختيار فتاوى السيد كاظم اليزدي على تاريخ العراق السياسي بعد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤. وبقي البحث مكتوباً باللغة الإنكليزية حتى أتيحت لي الفرصة مؤخراً لترجمته إلى العربية لما يتضمن من قضايا ومعلومات هامة تفيد القارئ.

أثناء إعادة الكتابة تعرضت هذه الدراسة إلى بعض التعديلات

والإضافات. إذ قمت بحذف بعض الفقرات التي كانت هامة للقارئ الأجنبي، ووجدتها عادية للقاريء العراقي والمسلم. كما وجدت بعض المصادر التي كانت غنية بالمعلومات والتحليلات بما يهم الدراسة، بعضها نشر بعد كتابة الدراسة باللغة الانكليزية.

اتبعت في الدراسة متطلبات المنهج الأكاديمي في البحث، إذ لم ألتزم بالسرد التقليدي للأحداث بل الغوص فيها وتحليل مدلولاتها وتأثيرها السياسي والفكري والاجتماعي.

في الفصل الأول تم تسليط الضوء على سيرة حياة السيد كاظم اليزدي من حيث نشأته ودراسته ونشاطاته السياسية قبل هجرته إلى العراق، حتى تسنمه أعلى موقع ديني في الحوزة العلمية. وكذلك دوره وموقفه أثناء ثورة الدستور الإيرانية عام ١٩٠٥، وفتاواه تجاه القضايا الدولية والغزو الأجنبي للبلدان الإسلامية.

في الفصل الثاني تناولت المؤسسة الدينية الشيعية ودور العتبات المقدسة في نشوء المدن المقدسة وتأثيرها على المناطق المجاورة. كما تناولت الحوزة العلمية والدراسة فيها وأهمية الاجتهاد في الفقه الشيعي، إضافة إلى استقطاب النجف الأشرف عشرات الآلاف من الطلاب. وتناولت المصادر المالية للمراجع الشيعة والتي جعلتهم مستقلين عن السلطات الحاكمة ومدافعين عن الجماهير دوماً. هذا إضافة إلى كيفية اختيار المرجع ودوره الهام في الحياة السياسية في المجتمع المسلم.

في الفصل الثالث تناولت أوضاع الشيعة في العراق خلال فترة الاحتلال العثماني. إذ كان الشيعة يعانون من الحقد المذهبي الذي كانت تكنه لهم الدولة العثمانية، وما كانت ترتكبه من مذابح وحشية حتى في الوقت الذي كان الشيعة يقاتلون إلى جانب الأتراك، ومن التمييز الطائفي في المدارس الرسمية والوظائف

الحكومية والمؤسسة القضائية والأوقاف. كما كان الشيعة يعانون من الحرمان من حقوقهم السياسية، حيث كان السنة يرشحون أنفسهم وبدعم الحكومة العثمانية في المدن الشيعية.

في **الفصل الرابع** تناولت عقيدة الجهاد عند الفقهاء الشيعة، حيث يرى غالبيتهم حضور الإمام المعصوم كشرط في الجهاد الإبتدائي أو الجهاد الهجومي. كما تناولت مفهوم أهل الذمة في المجتمع الإسلامي ومفهوم الجزية والمعفوين منها. أما الجهاد الدفاعي فهو مبدأ وحق إنساني وطبيعي تكفله جميع الأديان والشرائع والقوانين. وتناولت أحكام الجهاد باعتبارها منظمة أخلاقية تنظم العلاقات الإنسانية حتى في أوج الصراع والأزمات.

في **الفصل الخامس** تناولت الفرق بين الفتوى والحكم من المنظور الفقهي، وكذلك تطبيقات كل مصطلح. وتناولت فتاوى السيد كاظم اليزدي من الجانب التحليلي، ولماذا اعتبرت فتوى، مع أنها حكم. كما تطرقت إلى توقيت وأسلوب فتاوى الجهاد، إضافة إلى دراسة مضمون الفتاوى واللغة التي استخدمها اليزدي حسب الشخص المخاطب وحسب الظرف الزمني، وحسب الأوضاع والظروف المرافقة للخطاب. كما تناولت التسلسل التاريخي للفتاوى حيث وجدت عدة مشاكل منهجية وتاريخية، بعضها من أخطاء المؤرخين، وبعضها بسبب تحويل التاريخ الهجري إلى التاريخ الميلادي.

في **الفصل السادس** تناولت فتاوى اليزدي من خلال دراسة وثائق حركة الجهاد من فتاوى ورسائل وبرقيات متبادلة بين اليزدي والجهات والشخصيات الأخرى كزعماء القبائل والوجهاء والعلماء والولاة العثمانيين. إذ اتبعت منهجاً محدداً في تحليل النص ونقده، من خلال دراسة الظرف الزمني والسياسي المحيط بالنص. فدرست كل وثيقة على حدة موضحاً المخاطبين، مستنتجاً تاريخ صدورها،

إضافة إلى الحصول على بعض المعلومات من خلال النص نفسه.

كما لاحظت البلاغة واللغة والآيات القرآنية والمصطلحات الفقهية لتوصيف العدو الغازي أو طبيعة ونوع الجهاد الذي كان يدعو إليه. وتناولت مواقف بعض الشخصيات المترددة والخائفة والمتعاونة مع الأجنبي، إضافة إلى هموم المرجعية في تهيئة جميع السبل لإنجاح حركة الجهاد. فهناك رسائل وساطة، ورسائل طلبات توفير إمكانيات مادية ومعنوية تلبي متطلبات الجهد العسكري، وخاصة تلك الرسائل المتبادلة مع المسؤولين الحكوميين العثمانيين. كما توصلت إلى الكشف عن الكثير من تفاصيل الحياة العامة والشؤون الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العراقي إبان حركة الجهاد. وأعتقد أن هذه أول دراسة نقد نصي لفتاوى ووثائق حركة الجهاد. من جانب آخر قمت بنشر فتاوى لم تكن منشورة، حسب علمي، أصدرها اليزدي مع مجموعة من العلماء.

في **الفصل السابع** تناولت مواقف العلماء المسلمين المعاصرين للسيد اليزدي. إذ تناولت فتوى شيخ الإسلام العثماني التي أصدرها معلناً الجهاد ضد بريطانيا وفرنسا. كما خاطب المسلمين الخاضعين لنفوذ هاتين الدولتين. وتناولت موقف علماء السنة في العالم الإسلامي والتي اتسمت بالجمود والحياد، إن لم تكن عموماً مؤيدة لبريطانيا وفرنسا الغازيتين. وأما مواقف العلماء المسلمين في العراق، فقد انقسمت إلى غالبية شيعية أفتت وشاركت بالجهاد ضد الاحتلال البريطاني، وأغلبية سنية بقيت متفرجة حتى سقوط بغداد.

في **الفصل الثامن** تناولت موقف اليهود والمسيحيين العراقيين من الاحتلال البريطاني. إذ اتسم موقف هاتين الأقليتين بالتأييد والدعم للنفوذ البريطاني قبل الاحتلال وبعده. وتناولت هيمنة التجار اليهود على حركة التجارة والصيرفة في العراق، إضافة إلى الحقوق والامتيازات

التي كانوا يتمتعون بها في ظل القانون العثماني، وفي ظل فرص العمل والوظائف الحكومية خلال الحكم البريطاني. وكان لليهود وزير واحد في أول حكومة عراقية بعد تأسيس الدولة العراقية الجديدة. كما كان منهم نواب عن المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة والموصل.

في **الفصل التاسع** تناولت وقائع حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني من خلال تسلسل تاريخي للأحداث والمعارك. وقد تناولت أهمية العراق في الاستراتيجية البريطانية منذ مطلع القرن العشرين لأسباب اقتصادية وإدارية للتواصل مع الهند، كبرى المستعمرات البريطانية. وتطرقت إلى دور المرجعية الشيعية في قيادة حركة الجهاد وتجنيد رجال العشائر وتعبئة الناس باتجاه مقاتلة الجيش البريطاني. كما تناولت دور السيد اليزدي في بعض الأحداث الهامة مثل ثورة النجف عام ١٩١٨ واستفتاء عام ١٩١٩. وهي آخر النشاطات السياسية لليزدي قبل وفاته عام ١٩١٩.

في **الفصل العاشر** تناولت أوضاع شيعة العراق في ظل الاحتلال البريطاني، حيث لاحظت تحسن ظروفهم السياسية والتعليمية وحرياتهم الدينية والمذهبية، بعد زوال الحكم العثماني الطائفي. وتمكن أول شيعي من استلام منصب وزير في أول حكومة برئاسة عبد الرحمن النقيب عام ١٩٢٠، بعد أربعة قرون من القمع والحرمان والإقصاء السياسي والتهميش الاجتماعي ضد الشيعة. وخلال سبعة وعشرين عاماً وصل أول شيعي إلى منصب رئاسة الوزراء عام ١٩٤٧. لقد ارتفعت نسبة مشاركة السياسيين الشيعة في مجلس النواب خلال الفترة من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٥٨ حيث سقط النظام الملكي. وتناولت المحاولات البريطانية المستمرة من أجل كسب ود العلماء الشيعة وجعلهم موالين للنفوذ الإنكليزي، لكن كل محاولاتهم باءت بالفشل رغم استخدام مغريات المال الذي وفره وقف مملكة أوده الهندية.

الفصل الأول

سيرة السيد كاظم اليزدي

أولاً: الأسرة والتعليم

هو السيد محمد كاظم بن السيد عبد العظيم الكسنوي النجفي الطباطبائي الحسني المعروف باليزدي. وقد ولد عام ١٨٣١م/ ١٢٤٧هـ في قرية (كسنو) التي تبعد ٥٠ كيلومتراً من مدينة يزد الإيرانية الشهيرة. وقد اشتغل مع والده بالزراعة، ثم ذهب إلى يزد لدراسة اللغة العربية ومقدمات الفقه والأصول. ثم سافر إلى أصفهان حيث تتلمذ على أيدي كبار العلماء أمثال محمد باقر الأصفهاني. وفي عام ١٩٠٣ هاجر إلى النجف الأشرف مع زملائه لمتابعة الدراسات العالية في العلوم الإسلامية في الحوزة العلمية. هناك درس لدى أعاظم الفقهاء المراجع الكبار أمثال السيد محمد حسن الشيرازي (المعروف بالميرزا الشيرازي) الذي ذاع صيته عندما أصدر فتواه الشهيرة المعروفة بفتوى التنباك عام ١٨٩١ رداً على الامتياز الذي منحه شاه إيران لشركة (ريجي) البريطانية. لقد أحدثت تلك الفتوى ثورة ضد الشاه وحكومته حتى اضطر إلى إلغاء الامتياز. بعد أن أنهى اليزدي دراسته بدأ يلقي دروسه ويؤلف الكتب. وتخرج على يديه العديد من الفقهاء المشهورين، حيث كان يحضر درسه حوالى مائتي طالب في المراحل العليا[١].

---

(١) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، حققه وأخرجه حسن الأمين، ١٠ ج (بيروت: دار التعارف، ١٩٨٦)، ج ١٠، ص ٤٣.

اشتهر اليزدي بنظم الشعر بالعربية والفارسية. وقد ألف العديد من الكتب الفقهية التي بقيت مرجعاً هاماً في الحوزة العلمية مثل كتاب **العروة الوثقى** الذي ما زال واحداً من المصادر الفقهية الهامة حتى الآن. وقد قام كبار المراجع الشيعة بالتعليق على الكتاب كجزء من تقليد حوزويّ حتى السبعينيات من القرن العشرين. في عام ١٩١١ أصبح اليزدي المرجع الأعلى للحوزة العلمية في النجف الأشرف. وهو أعلى منصب يمكن أن يتطلع إليه أي فقيه أو طالب حوزة.

ثانياً: النشاطات السياسية

لم تكن حياة اليزدي مقتصرة على إلقاء الدروس والفتيا، بل كانت له نشاطات واهتمامات خارج المجال الديني. إذ كان له موقف حادّ ضد الحركة الدستورية (المشروطة) في إيران. ففي آب/ أغسطس ١٩٠٦ تم إعلان الدستور الإيراني الذي أدى إلى مرحلة من الصراع بين مؤيدي ومعارضي الدستور. وقد انعكس هذا الصراع على المجتهدين والمراجع في النجف الأشرف، إذ انحاز بعضهم إلى هذا الطرف أو ذاك، ما أدخلهم حلبة التنافس السياسي. فقد أيد الدستور كل من الملا كاظم الخراساني والملا عبد الله المازندراني وفتح الله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة[٢]. أما موقف السيد اليزدي فقد كان مسانداً لحزب الشاه الإيراني، أي ضد الحركة الدستورية. في ذلك الوقت كان اليزدي واحداً من المراجع الكبار في النجف الأشرف. وكان يصلّي خلفه آلاف الناس ويقلّدونه، في حين لم يكن يصلي خلف خصومه سوى بضع عشرات. وكان للعامل القومي دور في هذا الصراع، إذ انحاز

(٢) Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), p. 49.

العرب، وهم أكثرية الشعب العراقي، إلى السيد اليزدي، في حين انحاز الإيرانيون المقيمون في النجف إلى الحركة الدستورية[٣]. وكان أفراد العشائر العراقية وأهالي النجف الأشرف يؤيدون السيد اليزدي. وكان لديه مجموعة من الحراس الشخصيين لحمايته أثناء سيره إلى المسجد. وقد تعرّض اليزدي للتهديد بالقتل إذا لم يغيّر موقفه. وقد أصدر جميع علماء النجف فتوى تؤيد الدستور، باستثناء اليزدي الذي رفض التوقيع على الفتوى[٤].

في عام ١٩٠٨، بعد إعلان الدستور العثماني في الدولة العثمانية التي كان العراق جزءاً منها، تغير الوضع تماماً في النجف الأشرف. فقد رحب أهالي كربلاء والنجف بالدستور العثماني باعتباره حركة تقدمية قد تساهم في تحسين وضع الشيعة في العراق، وتقوّي الحركة الدستورية الإيرانية. كان اليزدي معارضاً للتغييرات التي حدثت في تركيا والدستوريين العثمانيين كما كان معارضاً للدستوريين الإيرانيين. لقد أصبح اليزدي في وضع حرج، فقد الكثير من أنصاره وأعوانه. وقامت الحكومة التركية الجديدة، التي تتزعمها (جمعية الاتحاد والترقي)، بتهديد اليزدي بالنفي خارج العراق إذا ما استمر على موقفه[٥]. وحاول بعض أنصار الدستور تحطيمه اجتماعياً عندما أخذوا يرسلون برقيات إلى إسطنبول متهمينه بارتكابه أعمالاً يعاقب عليها القانون العثماني[٦].

---

(٣) سليم الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠** (بيروت: دار الغدير، ١٩٩٥)، ص ٢٥.

(٤) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ج ٣: **من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩١٤**، ص ١١٦ ـ ١١٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٦.

وقام أحد الزعماء الأتراك بزيارته من أجل حمله على تغيير موقفه، طالباً منه إصدار بيان يؤيد فيه الدستور العثماني، لكن اليزدي قال: إن الشعارات التي ترفعونها، شعارات غربية، وإن هؤلاء الدستوريين الذين يطالبون بالحرية، يريدون تدمير الإسلام في هذه البلدان بتشجيعهم نمط الحياة الغربية[٧]. وقام حفيد اليزدي بتوضيح موقف جده قائلاً: إن وجهة نظره مبنية على أساس ممارسات بعض أنصار الدستور ودوافعهم. فهو يعتقد أن دوافعهم الحقيقية هي ضد الإسلام. فهم يريدون إنهاء تطبيق الشريعة في المجتمع. وقد أبلغهم بوضوح برأيه هذا أثناء الاجتماع الذي تم في منزل شيخ الشريعة الأصفهاني[٨].

في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٠٨ وصلت مجموعة من الإيرانيين إلى النجف الأشرف، وذهبوا إلى الميرزا حسين الميرزا خليل، سائلينه عن عقوبة من يعلن الحرب على الله ورسوله ويكافح من أجل زرع الأذى في البلاد. فهل من الجائز قتله؟ فأجاب الميرزا بالإيجاب، ولكنه فهم أنهم يقصدون اليزدي، فأعلن في ما بعد بأنه يخالف فتواه السابقة[٩].

ربما لم يكن موقف اليزدي بشكل مطلق ضد الدستور أو ضد البرلمان، ولكنه بقي غير متعاطف معه، لأنه أرسل برقية إلى المرجع الديني الآخوند الآملي في إيران، والتي تضمنت تلميحاً بأنه يقبل بوجود البرلمان، ولكنه يؤكد بأن مهمة المجتهدين هي رعاية التشريعات الإسلامية[١٠].

---

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٩) حسن شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ٢ ج (بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠)، ج ٢: **التحرك الإسلامي، ١٩٠٠ ـ ١٩٥٧م**، ص ٨٥.

(١٠) الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠**، ص ٣٠.

ثالثاً: فتاوى في قضايا دولية

وجد موقف اليزدي السلبي من الدستور ترحيباً من قبل شاه إيران وقيصر روسيا، لكنهما أصيبا بخيبة أمل عندما أصدر فتواه ضد قيام القوات الروسية بغزو شمال إيران في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١١، في الوقت الذي قامت فيه القوات البريطانية بغزو جنوب إيران. وقد حدث ذلك الغزو بعد أسابيع من الغزو الإيطالي لليبيا. وكرد فعل تجاه الغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية أعلن المجتهدون، وبضمنهم اليزدي، الجهاد على روسيا وإيطاليا. فقد أصدر فتواه على الرغم من علاقته السيئة مع الحكومتين التركية والإيرانية. هذا وقد جاء في الفتوى:

«اليوم، قامت الدول الأوروبية بالهجوم على البلدان الإسلامية من كل جانب. فمن جهة قامت إيطاليا بالهجوم على طرابلس، وهاجمت روسيا شمال إيران، وإنكلترا هاجمت جنوب إيران. هذا التهديد قد يمحو الإسلام. فعلى كل مسلم وعربي أو إيراني أن يهيئ نفسه للدفاع عن البلاد الإسلامية ضد الكفار. وعليهم أن لا يقصّروا أو يمتنعوا عن تقديم أرواحهم وأموالهم في سبيل إخراج الجيش الإيطالي من طرابلس والجيش الروسي والبريطاني من شمال وجنوب إيران. إن الأحكام الإسلامية الهامة المتوخاة تهدف إلى حماية الدولتين العثمانية والإيرانية، وبعون الله، من الهجوم الصليبي.

محمد كاظم الطباطبائي (اليزدي)
الاثنين المصادف الخامس من ذي الحجة ١٣٢٩
(الموافق ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١١)»

أخذ المجتهدون يرعون تجنيد الناس في معسكرات قرب النجف. لقد تفاعلت المدن المقدسة بقوة مع فتوى اليزدي، من النجف وكربلاء إلى الكاظمية وبغداد. وتوجه آلاف من رجال العشائر وسكان تلك المدن إلى الكاظمية في طريقهم إلى إيران لمحاربة الروس، لكنهم تسلموا أنباءً

تفيد بأن القوات الروسية قد انسحبت من الأراضي التي احتلتها.

لقد أقلق موقف اليزدي وفتواه الحكومتين البريطانية والروسية. فقد كتب السفير الإنكليزي في إسطنبول: لحد الآن لم يكن اليزدي يتدخل بالسياسة، لكنه أرسل برقية إلى شاه إيران يعلن فيه أسفه على احتلال الأراضي الإيرانية من قبل جيش أجنبي. وذكر السفير الروسي بأنه كان لليزدي تأثير واضح في إقليم القوقاز[١١]. ويتفق السفير البريطاني في بغداد بأنه باستطاعة اليزدي أن يلعب دوراً هاماً في تلك الأحداث. فقد كتب قائلاً: «أعلمني الموظفون الروس بأن للسيد محمد كاظم اليزدي تأثيراً بالغاً في (باكو)، حيث إن جميع سكان تلك المنطقة يكنّون له الاحترام الكبير. ولم يكن بعيداً عن السياسة، لكنه يريد الآن استخدام نفوذه لإخراج الروس. ولو استمر بهذا التفكير فقد يُحدث ثورات واضطرابات في الدولة الروسية»[١٢].

في الثاني عشر من كانون الأول/ ديسمبر ١٩١١ توفي المرجع الديني الأعلى الملا كاظم الخراساني، وأصبح السيد محمد كاظم اليزدي المرجع الأعلى الجديد. قام اليزدي بتأليف عدة كتب مثل:

- **العروة الوثقى** (في الفقه).
- **حاشية المكاسب** (في الأصول).
- **كتاب التعادل والترجيح** (في الأصول).
- **رسالة في اجتماع الأمر والنهي.**
- **رسالة في الظن.**
- **رسالة منجزات المريض.**
- **أجوبة المسائل.**

---

(١١) شبر، المصدر نفسه، ص ٩٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٩٦.

الفصل الثاني

المؤسسة الدينية الشيعية

أولاً: المدن المقدسة في العراق ودورها

يضم العراق العتبات المقدسة وأضرحة لستة من أئمة الشيعة وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النجف. وتضم مدينة كربلاء ضريحي ولديه الإمام الثالث الحسين بن علي (عليه السلام) وأخيه العباس بن علي (عليه السلام). وتتشرف مدينة الكاظمية ببغداد باحتضان قبري الإمام السابع موسى الكاظم (عليه السلام) والتاسع محمد الجواد (عليه السلام). وتضم مدينة سامراء ضريح الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) والإمام الحادي عشر الحسن العسكري (عليه السلام). هذا إضافة إلى مئات الأضرحة والمراقد الدينية للصحابة والتابعين والأولياء من الذين عاشوا في عصور مختلفة. وتحظى مدينتا النجف وكربلاء بقدسية كبيرة واحترام ديني عظيم. وإضافة إلى وجود العتبات المقدسة تضم المدينتان المؤسسة الدينية الشيعية، إذ قام المجتهدون الشيعة بتأسيس جامعة دينية تسمى الحوزة العلمية في النجف الأشرف (عام ٤٤٨هـ) وعلى رأسهم شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (توفي عام ٤٦٠هـ).

تقع هاتان المدينتان في منطقة الفرات الأوسط حيث تحيط بهما العشائر الشيعية من كل جانب، كما تقدم لهما كل الاحترام والولاء والطاعة. وكان بُعد المدينتين عن العاصمة بغداد قد منحهما نوعاً من الحرية بعيداً عن سلطة الدولة العثمانية. فأخذت المدينتان تحتلان مركزاً دينياً وسياسياً واقتصادياً هاماً. وبسبب تمركز المرجعية الدينية

والحوزة العلمية في النجف الأشرف أصبحتا ذواتي تأثير كبير في الأحداث خلال القرن العشرين. رغم أن البريطانيين سعوا إلى إنهاء نفوذهما ووضعهما تحت سيطرة الحكومة خلال العهد الملكي[1]. كما تنامى تأثيرهما داخل العراق وخارجه بسبب انشداد الشيعة إليهما في البلدان الإسلامية التي يسكن الشيعة فيها.

ثانياً: الحوزة العلمية في النجف

يدرس طلاب العلوم الدينية في الحوزة العلمية في النجف، حيث يتزعم المرجع الشيعي الأعلى الحوزة العلمية. ويقوم المراجع عادة بتعزيز موقعهم من خلال اعتراف أساتذة الحوزة والمجتهدين بفضلهم العلمي، إضافة إلى أن ذيوع شهرتهم بين مقلديهم يساهم في تقوية نفوذهم وتأثيرهم. بعد أن يدرس طالب الحوزة ما بين ١٥ إلى ٢٠ عاماً مختلف العلوم الإسلامية والعربية يحصل على درجة الاجتهاد حين يصبح قادراً على استنباط الحكم الشرعي، وبعد أن يمنحه مرجع أو أكثر إجازة الاجتهاد. ومن بين أولئك المجتهدين يصل بضعة منهم فقط إلى درجة مرجع التقليد. وهذا يعني أنه صار معترفاً به على صعيد إعطاء الفتوى التي يلتزم بها مقلدوه، ويطيعون أوامره. كما يعترف بسلطته وكفاءته بقية المجتهدين باعتباره الأكثر علماً بينهم.

يعتبر الاجتهاد واحداً من أهم خصائص المذهب الشيعي. يقول العلامة الشيخ محمد رضا المظفّر: نعتقد أن الاجتهاد في الأحكام الفرعية واجب بالوجوب الكفائي على جميع المسلمين في عصور غيبة الإمام، بمعنى أنه يجب على كل مسلم في كل عصر. ولكن إذا

---

(١) إسحق نقاش، **شيعة العراق** (قم: المكتبة الحيدرية، ١٩٩٨)، ص ١٣١.

نهض به من به الغنى والكفاية سقط عن باقي المسلمين، ويكتفون بمن تصدى لتحصيله وحصل على رتبة الاجتهاد وهو جامع للشرائط، فيقلدونه ويرجعون إليه في فروع دينهم.

والاجتهاد هو النظر في الأدلة الشرعية لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها سيد المرسلين، وهي لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والأحوال. والأدلة الشرعية هي الكتاب الكريم والسنة والإجماع والعقل. وتحصيل رتبة الاجتهاد يحتاج إلى كثير من المعارف والعلوم التي لا تتهيأ إلا لمن جد واجتهد وفرّغ نفسه وبذل وسعه لتحصيلها[٢].

وتضمّ جامعة النجف أو الحوزة العلمية حوالى عشرين كلية أو مدرسة دينية. كل واحدة منها يشرف عليها أحد المراجع أو المجتهدين الكبار. وهناك مدارس دينية أخرى في كربلاء. يأتي الطلاب الجدد إلى النجف للدراسة، ويقيمون في المدارس الدينية، إذ إنها بمثابة قسم داخلي للطلبة الأجانب أو القادمين من المحافظات العراقية. ويأتي هؤلاء الطلاب من مختلف البلدان الإسلامية التي يعيش فيها الشيعة كإيران والباكستان والتبت والهند وسوريا ولبنان والبحرين والسعودية وأفغانستان. في عام ١٩١٤ كان هناك قرابة عشرة آلاف طالب يتوزعون على ١٧ مدرسة دينية[٣].

تتميز الدراسة في الحوزة العلمية بحرية كبيرة لا تتوفر عليها حتى الجامعات الغربية. إذ يقوم الطالب باختيار أستاذه والمادة التي

---

(٢) محمد رضا المظفر، **عقائد الإمامية** (قم: انتشارات الإمام الحسين، ١٩٩٩)، ص ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) علي البهادلي، **الحوزة العلمية في النجف: معالمها وحركتها الإصلاحية، ١٣٣٩ ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠م** (بيروت: دار الزهراء، ١٩٩٣)، ص ٧٠.

يريد أن يدرسها. فلا توجد هناك شروط أو قيود في العمر عند القبول، أو تحديد فترة الدراسة، ولا توجد امتحانات لإنهاء الدراسة. إذ تبقى القضية مرتبطة بالطالب نفسه وقراره على سرعة إنجازه الدروس المطلوبة والكتب المقررة، ومدى ذكائه ورغبته لبلوغ مرتبة عالية بأسرع وقت. ويستلم الطلاب رواتب شهرية يدفعها لهم المَراجع.

ثالثاً: المصادر المالية للمراجع الشيعة

يتمتع المراجع الشيعة باستقلال مالي وإداري عن الحكومة والدولة طوال التاريخ. وقد أكسبهم هذا موقعاً قوياً حيث إنهم يبقون بعيداً عن الضغوط المالية والسياسية التي تمارسها الحكومات عادة بهدف التأثير في الشخصيات التي قد لا تنسجم مع خط الدولة الرسمي.

إن أهم مصادر دخْل المراجع الشيعة هي:

١ ـ الحقوق الشرعية وأهمها الخمس، وهي ضريبة بنسبة ٢٠ بالمئة تدفع عن الأرباح والمكاسب الناتجة من: أرباح الدخل السنوي، المعادن، الكنز، اختلاط المال الحلال بالمال الحرام، اللؤلؤ المستخرج من البحر، غنائم الحرب، الأرض التي تملّكها الكافر من المسلم[٤].

ويقسم الخمس إلى قسمين، الأول ويسمى (سهم السادة) ونسبته ١٠ بالمئة ينفق على الفقراء والأيتام والمحتاجين من السادة أي ممن ينتسبون إلى بني هاشم وهم عشيرة الرسول الأكرم (ﷺ).

---

(٤) علي السيستاني (آية الله)، **منهاج الصالحين** (قم: [د. ن.]، ١٩٩٦)، ج ١، ص ٣٨٧ ـ ٣٩٤.

أما القسم الثاني فيسمى (سهم الإمام) ونسبته ١٠ بالمئة أيضاً فيتولى المرجع أو نائب الإمام إنفاقه من أجل «إقامة دعائم الدين ورفع أعلامه، وترويج الشرع المقدس، ونشر قواعده وأحكامه ومؤونة أهل العلم، وتعليم الجاهلين وإرشاد الضالين ونصح المؤمنين ووعظهم، وإصلاح ذات بينهم»[٥]. أي يجري إنفاقه على المصارف ذات الأهداف العامة لصالح المجتمع والدفاع عن الإسلام ووعي المسلمين.

٢ ـ الزكاة، وهي ضريبة يدفعها المسلم عن زراعته الحنطة والشعير والتمر والزبيب. كما يجب دفعها عند تربية المواشي وهي الإبل والبقر والغنم. وتجب عند امتلاك الذهب والفضة. وفيها شروط تحدد نصابها وقيمتها وزمنها ومصارفها. ويقوم المرجع الذي يستلم أموال الزكاة بإنفاقها في المجالات المحددة ووفق ما يراه ضرورياً لصالح المجتمع المسلم كتعبيد الطرق وبناء الجسور والمستشفيات والمدارس الدينية والمساجد وملاجئ الفقراء ونشر الكتب الإسلامية، وفي الشؤون الاجتماعية العامة[٦].

٣ ـ يرث المرجع الديني أموال وأملاك من لا وارث له، أي يُحوَّل الإرث إلى المرجع عند وفاة المسلم الذي ليس له أحد يرثه من بعده.

٤ ـ يعتبر المرجع هو المتولّي العام للأوقاف سواء كانت أرضاً أو بيوتاً أو محالَّ أو أية أملاك أخرى.

٥ ـ يمتلك بعض المراجع دخلاً خاصاً بهم، فالسيد اليزدي

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٤١٣.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٧٣.

كان يمتلك عدداً من الدكاكين والمخازن (الخانات) في الكوفة[٧]. ولكن غالبية المجتهدين كانوا فقراء معدمين يعانون شظف العيش.

٦ ـ الهبات والمنح التي يقدمها التجار والمؤسسات الخيرية إلى المراجع.

إن المراجع والمجتهدين يعتمدون على الناس في تأمين مصادر دخلهم. وهذا ما جعلهم بعيدين عن سلطة الدولة المباشرة. كما عزز علاقتهم بالشعب ومن مختلف شرائحه الاجتماعية كالتجار والأطباء والموظفين والفلاحين، من سكان المدن والأرياف إضافة إلى أبناء العشائر والقبائل. ولدى المراجع ممثلوهم في القرى والمدن الشيعية يُدعون الوكلاء. يقوم هؤلاء الوكلاء بالإجابة عن أسئلة واستفتاءات الناس وإجراء عقود الزواج والطلاق، والتوسط في حل المنازعات العشائرية. كما يقومون بجمع الأموال والتبرعات ويرسلونها إلى المراجع.

رابعاً: دور المراجع في المجتمع الشيعي

يقوم الشيعة عادة بمراجعة المراجع الدينيين في أغلب شؤونهم اليومية. إذ يرجعون إليهم في شؤونهم الشخصية كالصلاة والصوم والحج والزكاة والخُمس، أو الشؤون الشرعية أو الشؤون الاقتصادية والمالية. كما يرجعون إليهم في الشؤون السياسية. ويتمتع المراجع بسلطة كبيرة حيث إنهم يحظون بطاعة كبيرة من قبل الجماهير الشيعية التي تجد فيهم قادة ومفتين وزعماء دينيين وأحياناً سياسيين.

---

(٧) Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), p. 47.

ويقف المراجع غالباً إلى جانب الشعب والدفاع عن مطالبه. ولذلك بقيت علاقتهم بالحكام أو الحكومات المركزية تعتمد على طبيعة العلاقة بين الحكام والشعب. إذ بقي المجتهدون الشيعة يوصفون بأنهم طبقة وطنية تمثل رأي الجماهير وطموحاتهم[٨].

ويقوم المرجع بإرسال علماء دين يدعون بالملالي أو المؤمنين إلى القرى ومناطق العشائر في العراق في أشهر رمضان ومحرم وصفر. كما يقوم المجتهدون بإرسال طلابهم وأنصارهم إلى مختلف البلدان في العالم يدعون لهم ولمرجعيتهم. فإذا ما حالفهم الحظ وارتفعت أسهم مرجعيتهم وسمعتهم يحصلون على اعتراف باعتبارهم مراجع كباراً. وكلما زادت شهرة مرجعيتهم زاد عدد مقلّديهم. الأمر الذي يعني ارتفاع مدخولاتهم المالية التي ينفقون قسماً منها على مدارسهم وطلابهم وعلى الفقراء في المدن المقدسة حيث يقيمون.

يحظى المرجع الأعلى بمنصب ديني رفيع المستوى يصل إلى مستوى مقدس فهو «نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والرادّ عليه رادّ على الإمام، والرادّ على الإمام رادّ على الله تعالى، وهو على حدّ الشرك بالله»[٩].

«فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعاً في الفتيا فقط، بل له الولاية العامة، فيرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء، وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه، إلا بإذنه، كما لا تجوز

---

(٨) Edward Browne, *A Literary History of Persia*, 4 vols. (Cambridge [UK]: Cambridge University Press, 1953), vol. 4, pp. 371-372.

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٧.

إقامة الحدود والتعزيرات إلّا بأمره وحكمه. ويُرجع إليه أيضاً في الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصاته»[(١٠)].

هذا المقام الرفيع الذي يصل لدى بعض الناس إلى مستوى القداسة، منح المراجع دوراً كبيراً في المجتمع الشيعي. تذكر المسز بيل مستشارة الحاكم السياسي البريطاني في العراق السير بيرسي كوكس في تقريرها قائلة: «يمتلك المجتهد القدرة على إصدار الفتوى، سواء كانت دعوة إلى الجهاد أو إعطاء الرخصة لمريض باستخدام الكحول، في حالة عدم وجود علاج آخر. كما إنه يستطيع، وقد فعل ذلك حقاً، إجبار الحكومة الإيرانية الشيعية على إلغاء قرارات»[(١١)].

عندما يتوفى المرجع الأعلى تبدأ المنافسة بين المراجع الآخرين الأقل شأناً منه في سبيل الفوز بمنصبه وتزعُّم الحوزة العلمية وقيادة المرجعية الدينية. وقد تطول أو تقصر فترة التنافس حتى يتم ترشيح الأكثر حظاً من حيث الصيت والشهرة. إذ لا يوجد نظام لانتخاب المرجع الأعلى كما هو نظام اختيار بابا الكنيسة الكاثوليكية. وقد تخدم الظروف بعض المجتهدين ليصبحوا مراجع كباراً لجميع الشيعة في العالم أمثال الميرزا محمد حسن الشيرازي في نهاية القرن التاسع عشر، ثم الملا كاظم الخراساني (ـ ١٢/١٢/١٩١١) ثم السيد كاظم اليزدي (١٩١١ ـ ١٩١٩)، الشيخ محمد تقي الشيرازي (٣٠/٤/١٩١٩ ـ ١٧/٨/١٩٢٠)، الشيخ فتح الله الأصفهاني (١٧/٨/١٩٢٠ ـ ١٨/١٢/١٩٢٠)، السيد أبو الحسن الأصفهاني (١٩٢٠ ـ ١٩٤٦)، السيد

---

(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(١١) Gertrude Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (London: H.M. Stationery Office, 1920), p. 28.

محسن الحكيم (١٩٤٦ ـ ١٩٧٠)، السيد أبو القاسم الخوئي (١٩٧٠ ـ ١٩٩٢).

يعود الوعي السياسي واهتمام العلماء الشيعة بالنشاط السياسي إلى عام ١٨٩٠، عندما قام ناصر الدين شاه بمنح شركة إنكليزية امتياز حصر التبغ في جميع أنحاء إيران. فقام الميرزا محمد حسن الشيرازي المقيم في سامراء آنذاك بإصدار فتوى تحرم التدخين بجميع أشكاله. وقد لقيت فتواه استجابة واسعة بين صفوف الشعب الإيراني حتى اضطر شاه إيران إلى إلغاء الامتياز عام ١٨٩٢. كما أدّى الفقهاء الشيعة دوراً هاماً في ثورة الدستور عام ١٩٠٥، حيث قادوا ثورة شعبية ضد الشاه، طالبوا فيها بالحرية والمساواة والشورى[١٢]. الأمر الذي أجبر الشاه على الرضوخ لمطالبهم وأمر بإجراء انتخابات تشريعية حيث قام الشعب الإيراني بانتخاب ممثليه في البرلمان (مجلس الشورى الوطني).

قام البرلمان بسنّ دستور جديد جعل الحكومة مسؤولة أمام مجلس الشورى، كما قام بتحديد سلطات الشاه في اتخاذ القرارات أو إصدار قوانين. ونصت المادة الثانية من دستور ١٩٠٥ على وجوب أن تكون جميع القوانين غير مخالفة للشريعة الإسلامية، وتشكيل لجنة من خمسة فقهاء للرقابة على تطبيق هذه المادة[١٣].

كان للحركة الدستورية في إيران تأثير في أوساط العلماء والفقهاء في العراق، كما ذكرنا آنفاً. في ٢٤ تموز/يوليو ١٩٠٨

---

(١٢) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ج ٣: **من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩١٤**، ص ١٠٩.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١١٢.

أعلن السلطان العثماني عبد الحميد تطبيق الدستور كنتيجة للنجاح الذي حققته ثورة ضباط جمعية تركيا الفتاة. يلاحظ عالم الاجتماع العراقي الدكتور علي الوردي أن الطبيعة الاجتماعية للدستور التركي تختلف عنها للدستور الإيراني. إذ إن الدستور التركي كانت تقف وراءه طبقة المتنورين (الأفندية)، في حين أن الحركة الدستورية الإيرانية قد قادها الفقهاء ثم اتبعتهم الجماهير في المدن والأرياف[١٤].

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

الفصل الثالث

وضع الشيعة تحت الحكم العثماني



أولاً: موزائيك المجتمع العراقي

ليس للعراق تركيب اجتماعي متجانس، فعدا العرب والمسلمين، هناك أقليات دينية وإثنية مختلفة كالكرد والتركمان والآشوريين والكلدان واليهود والإيزيديين والصابئة والشبك والكرد الفيلية. إن غالبية سكان العراق من العرب حيث يشكلون قرابة ٨٠ بالمئة من مجموع السكان. في بداية القرن العشرين كان المسلمون الشيعة يشكلون ٩٠ بالمئة من السكان[١]. إن جميع سكان المدن جنوبي بغداد هم من الشيعة. من منظور الجغرافيا الطبيعية تعتبر هذه المنطقة أراضيَ منبسطة مسقية، وقريبة من ضفاف دجلة والفرات والأهوار[٢]. أما التركيب الإثني فهو من العرب ما عدا أقلية من الأكراد الفيلية تسكن في الكوت وبغداد. وهناك الشيعة التركمان الذين يسكنون في كركوك وما جاورها. إن التشيع هو السائد ترصّعه جزر سنية، والتحضر من أهم صفاته، ما عدا البصرة والناصرية

---

(١) Gertrude Bell: *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (London: H.M. Stationery Office, 1920), p. 15, and *The Arab War; Confidential Information for General Headquarters from Getrude Bell, Being Dispatches from the Secret «Arab Bulletin»*, introduction by Kinahan Cornwallis ([London]: Golden Cockerel Press, [1940]), p. 11.

(٢) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, Princeton Studies on the Near East (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), p. 37.

حيث توجد أقليات سنية قوية، ومن مدينة الزبير وإلى الجنوب الغربي من البصرة كله سني[٣].

لم يُعِر الأتراك أي اهتمام بالعراقيين الشيعة لأن «العنصر السني كان يحظى بدعم من الحكومة التركية، ويتمتع بمنزلة اجتماعية لا تتناسب مع نسبته السكانية. وكان غالبية السنة من ملاكي الأراضي والأثرياء والتجار يتحكمون بالأسواق وحتى أسواق الشيعة»[٤]. إن المذهب الرسمي السائد في الدولة العثمانية هو المذهب الحنفي، بينما كان مذهب الدولة العدوة (إيران) المجاورة لها هو المذهب الشيعي. وقد انعكس ذلك الصراع المذهبي على العلاقات بينهما. وكان ذلك الصراع من ميزات الحروب التي نشبت بين الدولتين. في عام ١٥٣٤ قام السلطان العثماني سليمان بضم العراق إلى امبراطوريته بعد فتح بغداد. ومنذ ذلك التاريخ وحتى غزو البصرة من قبل القوات البريطانية عام ١٩١٤، بقي العراق يعيش عصوراً من الظلام والانحطاط[٥].

ثانياً: التمييز الطائفي

لقد أصدر مشايخ الدولة العثمانية فتاوى متكررة تبيح قتل الشيعة باعتبارهم كفاراً. ففي عام ١٧٢٥ أصدر مفتي إسطنبول فتوى تدعو إلى الجهاد لمحاربة الشيعة، معتبراً أرضهم «دار حرب»[٦]. وفي عام ١٧٤٣ أصدر علماء إسطنبول فتوى تجيز قتل الشيعة وأخذهم عبيداً[٧].

---

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٤) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 27.

(٥) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ - ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ - ١٩٥٩م)، ج ١: **من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر**، ص ١٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

وكانت من الممارسات العادية للسلاطين العثمانيين قتل الشيعة لأسباب طائفية بحتة. ففي عام ١٥١٢ تربع السلطان سليم على عرش الخلافة، وبدأ الأشهر الثلاثة الأولى من حكمه بإصدار أوامر بذبح الشيعة أينما وجدوا. فأرسلت وزارة الداخلية مخبرين لإحصاء الشيعة في الأناضول، فوجدوا أن عددهم زهاء سبعين ألف نسمة من رجال ونساء وأطفال. وبعد أن تأكد السلطان المسلم من أماكن وجودهم، أرسل لهم قوات من الجيش العثماني لاعتقالهم، ثم ذبح أربعين ألفاً منهم، والباقي أودعهم في السجون[٨].

وعندما كان سلاطين آل عثمان ينتصرون على أعدائهم الصفويين يقومون بارتكاب مذابح واسعة ضد الشيعة في العراق. إذ قام السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٥ بارتكاب مجزرة فظيعة بعدما فتح مدينة بغداد، نالت عشرين ألفاً، ثم أمر بقطع رؤوس ألف آخرين من الشيعة.

كانت العلاقة بين العثمانيين وشيعة العراق يسودها التوتر، إن لم تكن العداوة. وكان الشيعة يتحينون الفرص للثورة على تلك السياسة الطائفية حتى بات متداولاً أن على الشيعي واجبين هما الانخراط في التجنيد الإجباري لسد النقص البشري في الحروب التي تخوضها الدولة العثمانية في أوروبا، والثاني دفع الضرائب لتمويل خزانة الدولة العثمانية. وكانت السلطات العثمانية تعامل الشيعة أسوأ معاملة، ما أدى إلى نشوب عدة ثورات عشائرية ضد الإدارة العثمانية. فقد شهدت مناطق الفرات الأوسط والجنوب سلسلة من الثورات المسلحة في القرن التاسع عشر مثل: حرب المنتفك،

---

(٨) حسن العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق** (لندن: [د. ن.]، ١٩٩٠)، ص ٥٢.

وحرب الفتلة وحرب الغراف وحرب الخزاعل ووخفاجة وحرب البوصالح وحرب زبيد وحرب عفج وحرب نجيب باشا في كربلاء وحرب سليم باشا في النجف الأشرف وحرب مدحت باشا في الدغارة وحرب شبلي باشا في الشامية وأبو صخير وحرب يوسف باشا في الغراف وثورة النجف ضد الأتراك عام ١٩١٥، فضلاً عن معارك أخرى حدثت بين العثمانيين وقبيلة كعب وقبيلة بني لام[٩]. وكانت ثورة الحلة عام ١٩١٦ آخر مواجهة عسكرية بين الشيعة والأتراك. إذ نشبت الثورة احتجاجاً على السلوك العدواني والإرهابي الذي مارسه الجنود الأتراك تجاه أبناء العشائر، في الوقت الذي كان أبناء العشائر يتطوعون لمقاتلة القوات البريطانية دفاعاً عن الدولة العثمانية. وقام القائد التركي عاكف بك بقصف المحالّ الشعبية بالمدينة بالمدافع، وتحوّلت الطائرات التركية من قصف القوات البريطانية إلى قصف أهالي الحلة. ودعا زعماء الحلة من أجل التفاوض، لكنه دبّر لهم فخاً، فاحتجزهم في المعسكر ثم نصب المشانق لسبعة عشر شخصاً منهم. وفي مصدر تاريخي آخر ذكر أنه شنق مائة وستة وعشرين رجلاً. وبلغ عدد القتلى ألف وخمسمائة[١٠]. وجمع عدداً من النساء وساقهن سبايا إلى الأناضول، فأثار استياء عشائر الفرات الأوسط، وتوالى انسحاب المجاهدين من دعم المشاركة في الحرب[١١].

كان لهذه العملية الوحشية التي قامت بها القوات التركية تأثير

---

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(١٠) سليم الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠** (بيروت: دار الغدير، ١٩٩٥)، ص ١٣٢.

(١١) حسن العلوي، **التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق** (قم: انتشارات الشريف الرضي، ١٩٩١)، ص ٦٤.

كبير على المجاهدين من رجال العشائر وسكان المدن حيث كتبوا للسيد كاظم اليزدي:

«السلام عليك مولانا وملاذنا حجة الإسلام وأبو الأيتام ومرجع الخاص والعام جناب السيد كاظم دام بقاه..

بعد تقبيل أياديكم الشريفة نخبر جنابكم الشريف خرجنا من النجف الأشرف بأمركم قاصدين نصرة الدين والإسلام حتى إذا وصلنا لواء المنتفك، شوّقنا وهيّجنا عشايرنا وبذلنا نفسنا ونفيسنا وبقينا مواظبين على هذا العمل حتى وردتنا أخبار واقعة الحلة وحركة النجف [التي] شوشتنا وكدرتنا بل أوجبت الشك في الدوام على عملنا وصرنا في ريب ووقفنا عن العمل بانتظار أمركم، وعشايرنا على الدوام تستفتينا فنقف عن الجواب تارة، ونجمل عليهم أخرى. ونحن وقوف عن العمل، والتبس علينا الأمر، بانتظار أمركم وفتواكم.

والسلام عليكم وعلى الأخ مولانا الشيخ أحمد وعموم السادة أبنائكم الكرام ورحمة الله وبركاته.

١٥ صفر ١٣٣٥ (١١/١٢/١٩١٦)
من خادمكم عبد الحسين مطر»(١٢)

عقد زعماء العشائر اجتماعاً في النجف الأشرف للتصدي عسكرياً ضد الحكومة العثمانية في الحلة قبل أن ترسل قواتها إلى النجف. وكانت الأوضاع على الجبهات سيئة، إذ كان البريطانيون يستعدون لشن هجوم على العثمانيين في الكوت. لقد أدى السلوك الخاطئ للجنود العثمانيين إلى تعقيد الموقف العسكري والنفسي، حيث إن التفرغ لمواجهة القوات التركية في ذلك الوقت لن يخدم الجهد العسكري على

---

(١٢) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

الجبهات ضد الإنكليز. ولذلك لم يكن أمام المرجعية الدينية سوى تأجيل هذه القضية وتجاوز إساءات العثمانيين من خلال الوساطة مع القيادة التركية. وتوضح الوثيقة التالية هذه الجهود في رسالة بعثها الشيخ محمد تقي الشيرازي إلى السيد كاظم اليزدي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك وجاريك ورحمة الله وبركاته[١٣]

حضرة ملاذ الأنام وحجة الإسلام السيد الأجل دام ظله

أما بعد، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أدام الله ظلكم على المسلمين وتوفيقهم لرشدهم في طاعتكم وهداهم في امتثال أوامركم ونواهيكم، ونفعهم ببركات موعظتكم وزجركم وحباهم ببركة ذلك خير الدارين وسلامة الدين والدنيا. فغير خفي عليكم سوء أثر التشاويش في النجف من بعض الجهال وقبح نتيجتها ووخامة عاقبتها ومنافاتها لمراعاة حرمة المشهد المعظم واقتضائها لسوء الجوار لأمير المؤمنين عليه السلام وأنتم أبصر بذلك وأعرف له. وإني مطمئن بدوام اهتمامكم بهذا الأمر من كل وجه ومواظبتكم على النصح والوعظ والزجر، ولكني أحببت مذاكرتكم بذلك لأشارككم في الأجر والفوز في إصلاح أمور المسلمين. وقد كاتبنا حضرة القائد العام ومعاون الولاية بطلب العفو والمراعاة سائلين من الله صلاح أمر الإسلام. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ٢٠ صفر الخير ١٣٣٥ (١٦/١٢/١٩١٦)
الأحقر محمد تقي الشيرازي»

---

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

وفي عام ١٩١٥ كانت النجف الأشرف قد ثارت ضد الإدارة العثمانية فيها وذلك عندما أصرت السلطات العثمانية على ملاحقة الفارين من الخدمة العسكرية إلى النجف، بعد معركة الشعيبة. فأخذ الجنود الأتراك يفتشون البيوت، وتعرّضوا للنساء، وفرضوا بدلات باهظة للإعفاء من الخدمة. كما انتشر خبر بأنهم كانوا يعتزمون مصادرة خزائن الروضة الحيدرية بحجة تمويل الجهاد. فقاوم أهالي المدينة، ولم تتوانَ القوات الأمريكية بضرب المدينة والمرقد الشريف بالمدافع مما أصاب بعض المنائر. وحاول السيد اليزدي التدخل لوقف التدهور في الأمن والنظام العام، فأرسل برقية احتجاج إلى إسطنبول، لكن الحكومة التركية طلبت منه عدم التدخل بشؤون الحكومة والانصراف إلى شؤونه. لم يتخلَّ الأتراك عن عزمهم رغم أن العراقيين قد تطوعوا للقتال ضد القوات البريطانية وشاركوا في معارك الشعيبة والقرنة، وكانت العشائر وأبناء المدن يتبرعون بالمال والسلاح. وحدث قتال لمدة ثلاثة أيام استسلم إثره الجنود الأتراك، فدخل الأهالي إلى الحامية وأبنية الحكومة فنهبوها ثم أحرقوها، وطردوا قائمقام المدينة التركي(١٤).

لم تتوانَ الجيوش التركية في الإغارة على القرى والأرياف فتقوم بإحراق المزارع ومخازن الحبوب ومساكن الفلاحين والعشائر في الفرات ألأوسط وجنوب العرق. ولم تتوانَ في تدمير ما تجده أمامها، فتنهب وتسلب كل ما يمكن سلبه من الشيعة من دواب ومواشي ومتاع وأثاث وخيام. كما لم تتوانَ في ارتكاب مجازر وحشية تذبح فيها الرجال، وتبقر فيها بطون النساء، ويعتدى على شرفهن، ويقتل الأطفال والشيوخ والعجائز بلا رحمة.

---

(١٤) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 29.

لم يكن العثمانيون يعطون أية قيمة للرجل الشيعي، فهو في نظرهم مجرد أداة ووقود للحروب المستمرة التي كانت تدخلها الدولة العثمانية. ففي عام ١٨٧٧ قام والي بغداد عاكف باشا بإصدار أمر بتجنيد عشرة آلاف جندي من العراق، ثم أرسلهم إلى ساحة الحرب بين روسيا والدولة العثمانية التي وقعت في القوقاز، وهي منطقة جبلية قارصة البرد والثلج. لم يعد أحد من تلك الحرب إلى أهله. هذه المعاملة القاسية كانت السبب وراء اشتعال ثورات وانتفاضات ضد العثمانيين. فقد شهدت بغداد ثورات في الأعوام ١٨٤٩ و١٨٥٨ و١٨٦٩، إضافة إلى ثورة في الفرات الأوسط في العام نفسه[١٥].

لقد رفضت الدولة العثمانية الاعتراف رسمياً بالمذهب الشيعي أسوة ببقية المذاهب الإسلامية[١٦]. كما رفضت معاملة الشيعة بالطريقة نفسها التي تتعامل فيها مع بقية المذاهب الأخرى كالنصيرية والدروز، وغير المسلمين كالمسيحيين واليهود، والذين تمتعوا بامتيازات عديدة ضمنها لهم نظام الملل[١٧]. هذا الموقف السلبي تجاه الشيعة أدى إلى احتقار العثمانيين للشيعة.

لقد كان العثمانيون يمنعون تعيين الشيعة في وظائف الدولة وبقية المؤسسات الحكومية، ويقمعون حرياتهم الدينية، ويحرمونهم من الحياة السياسية، ويرفضون قبول زعماء الشيعة كممثلين شرعيين للشيعة[١٨]. لقد مارس الأتراك سياسة الإقصاء

---

(١٥) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ١: **من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر**، ص ٦٤.

(١٦) عبد الحليم الرهيمي، **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)** (بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ص ١٠٩.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١١٠.

والتهميش والتميز الطائفي ضد الشيعة في العراق.

لقد أدت سياسة التهميش ضد الشيعة إلى إبقائهم في وضع اجتماعي واقتصادي ضعيف جداً. إذ صارت الأموال والأملاك والأراضي بأيدي العائلات السنية. وبقي أبناء الشيعة يمارسون مهناً بسيطة أو كانوا عمالاً غير مهرة أو فلاحين عند السيد السني. وهذا الأمر لا يقتصر على المناطق السنية، وهو أمر طبيعي، ولكن حتى في المناطق المختلطة أو التي تضم غالبية شيعية. يقول الباحث الاجتماعي حنا بطاطو: كان الملاكون الكبار في البصرة من السنة باستثناء واحد هو شيخ المحمّرة، في حين كان مزارعو بساتينهم من الشيعة. وكان زعماء المجتمع العربي في مدينة البصرة نفسها من السنة أيضاً، بينما كانت أكثرية سكان المدينة من الشيعة. وفي مدن أخرى عديدة في الجنوب ـ ماعدا المدن المقدسة ـ كان العنصر السني، الذي يشكل أقلية دوماً، متفوقاً اجتماعياً، وكان يتألف إلى حد كبير من التجار وملاكي الأراضي الأغنياء. وكانت الأسواق تقع أيضاً تحت سيطرة التجار السنة. وفي لواء المنتفك (الناصرية) كان كل الفلاحين بلا استثناء من الشيعة، في حين أن الكثير من أسيادهم ملاك الأراضي كان من عائلة عشائرية سنية واحدة هي عائلة السعدون. وكذلك الأمر في الحلة حيث كان هزّاع بن محيمد المعامري سنياً، في حين أن مزارعيه من الشيعة. وفي بغداد حيث تمتعت الطائفتان بالمساواة العددية تقريباً، كانت العائلات المسيطرة اجتماعياً سنية، مع بعض الاستثناءات[١٩].

يقول السياسي السني كامل الجادرجي: «كانت الطائفة الشيعية

(١٩) حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**، ترجمة عفيف الرزاز (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥)، ج ١، ص ٦٥ ـ ٦٦.

تُعَدّ في زمن السلطان عبد الحميد، بالحقيقة في زمن الدولة العثمانية أقلية تنظر إليها الدولة بعين العداء. فلم تفسح لها مجالات التقدم في أية ناحية من نواحي الحياة العامة. ومن الأمثلة البارزة على ذلك أنها كانت لا يُقبل لها تلميذ في المدرسة الحربية، ولا يقبل منها فرد في وظائف الدولة، إلا ما ندر، وعند الضرورة القصوى، وحتى في مدارس الدولة الإعدادية القليلة، كانت توضع العراقيل في طريق دخول أبناء الطائفة فيها»[٢٠].

في ما يلي سأعرض بعض أبعاد **التميز الاجتماعي** الذي مورس ضد الشيعة.

أ ـ التمييز في المدارس

لم تكن الحكومة التركية ترغب في قبول الطلاب الشيعة في المدارس الرسمية لأنها كانت تخشى من أن يطمح الشيعة في يوم ما إلى احتلال الوظائف الحكومية[٢١]. كما كانت المدارس العسكرية لا تقبل أي طالب شيعي خشية أن يصبح ذا نفوذ في الجيش العثماني، وربما يكون مصدر خطر. تصف المسز بيل الوضع الاجتماعي والنفسي في المجتمع والموقف الحكومي السلبي تجاه الشيعة بقولها: لم يكن يُعترف بلياقة غير السني للتعليم فيها. وكان وجود هذه القاعدة بين سكان أغلبيتهم من الشيعة لا يشجع الإقبال عليها[٢٢]. كما إن اعتماد المدارس في مناهجها على المذهب السني جعل الشيعة يحجمون عن تعليم أبنائهم فيها. وكانت الحكومة

---

(٢٠) العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق**، ص ٥٧.

(٢١) حسن شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ٢ ج (بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠)، ص ١٣٤.

(٢٢) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 11.

التركية تعمد إلى نشر النفوذ التركي بين الطلاب، وكل ما يُدرّس من شؤون الدين كان سنياً[٢٣]. وقد أدى ذلك إلى قيام الشيعة والمسيحيين واليهود بفتح مدارس خاصة بهم وعلى نفقتهم. وكانت الحكومة العثمانية تدفع لها منحة مالية، نظرياً على الأقل، بشرط أن تصرف على تعليم اللغة التركية[٢٤].

حصل تغيير كبير في المناهج الدراسية بعد الاحتلال البريطاني ١٩١٧. إذ استجابت الإدارة البريطانية إلى طلب بعض الأوساط الشيعية، وقررت السماح بتدريس منهج ديني مبني على تعاليم المذهب الشيعي في المدارس التي يكون جميع طلابها من الشيعة كما في كربلاء والنجف. أما في المناطق الأخرى فقد بقي المنهج الأصلي المعتمد على تعاليم المذهب السني[٢٥].

في ولاية بغداد، كانت هناك ٧١ مدرسة ابتدائية، ومدرسة ثانوية، ودار معلمين، ومدرسة للحقوق، وأخرى للصناعة. وبقيت تلك المدارس ممنوعة على الشيعة حتى مجيء الاحتلال البريطاني. تتحدث المسز بيل عن إعادة افتتاح دار المعلمين التي ضمت ٨١ طالباً كان من بينهم «بضعة من الشبان الشيعة، وهذه ظاهرة لم يكن لها وجود في أيام الترك»[٢٦].

ففي عام ١٩١٩، أي بعد عام على انسحاب الدولة العثمانية من العراق، كانت هناك خمس وسبعون مدرسة ابتدائية ومتوسطة.

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢٤) قام الشيعة بتأسيس (مدرسة جعفرية) عام ١٩٠٩ بدعوة من وجهاء الشيعة وعلى رأسهم الحاج سلمان أبو التمن. وقد وافقت السلطات العثمانية على افتتاح المدرسة بشرط أن تسمى (مكتب الترقي الجعفري العثماني).

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٣.

وكانت الدراسة باللغة العربية في ست وخمسين مدرسة (٧٥بالمئة من المدارس)، وباللغة التركية في إحدى عشرة مدرسة، وباللغة الكردية في ست مدارس، وبلغة الشبك مدرسة واحدة، وبالفارسية مدرسة واحدة وباللغة السريانية في المدارس المسيحية[٢٧].

وتنطبق الحالة على المدارس العسكرية أيضاً، ففي عام ١٩١٤ كان عدد طلاب المدارس العسكرية يبلغ ١٣٣٨ طالباً يدرسون في خمس مدارس عسكرية. وكان غالبيتهم، إن لم يكن جميعهم على الأقل في بعض المدارس، من السنة. ففي العام الدراسي ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ لم يكن هناك طالب شيعي واحد[٢٨].

ويذكر المؤرخ الإنكليزي فيليب إيرلاند بأن «الشيعة لم يكونوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الحكومية السنية، ولم تكن الحكومة العثمانية السنية تشجعهم على ذلك»[٢٩]. يمكننا تفهمّ دوافع الشيعة في الامتناع عن إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية من خلال التعرف على المناهج الدراسية لهذه المدارس في تلك الفترة. إذ تضمنت مسائل خلافية وتمييزاً ضد الشيعة وخاصة في دروس التاريخ والدين. وبقيت هذه الحالة خلال العهد الملكي ثم الجمهوري في ما بعد.

ب ـ المؤسسات القضائية

تقوم المؤسسات القضائية والمحاكم بدور هام في الحياة العامة، لأن الناس يراجعونها في مختلف شؤونهم ومشاكلهم

---

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٢٨) Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), pp. 97-98.

(٢٩) Philip Willard Ireland, *Iraq; a Study in Political Development* (London: J. Cape, [1937]), p. 125.

ونزاعاتهم، وحقوقهم وأملاكهم، وميراثهم وقضايا الأسرة، والشكاوى ضد الاعتداءات والجرائم. ومن الطبيعي أن كل مذهب يطبق قانون الأحوال الشخصية الخاص به، طالما أن هناك اختلافات كبيرة في التفاصيل. أما الوضع تحت الحكم العثماني فكان مختلفاً. فقد أجبرت الحكومة العثمانية الشيعة على تقديم شكاواهم أمام القضاة السنة الذين كانوا يرأسون المحاكم الشرعية، والتي كانت تحكم وفق المذهب السني(٣٠). لقد كان القضاة من السنة، ولم يكن القضاة الشيعة يحظون باعتراف من قبل الحكومة العثمانية(٣١). وقد وصل الأمر إلى حدّ أن الحكومة العثمانية عينت قاضياً سنياً في مدينة النجف التي تحتضن الحوزة العلمية وتضم مئات من المجتهدين والعلماء المتضلعين في الفقه والعلوم الإسلامية ومنها القضاء، لأن الدولة العثمانية لا تعترف بهم لأنهم شيعة. وأما المناصب الدينية فقد كانت مكرسة للسنة مثل رئيس علماء بغداد ومفتي الجزيرة وممثلي المشيخة التركية في بغداد والموصل والبصرة.

وإزاء هذا الإهمال الحكومي المتعمَّد لشؤون الشيعة، اضطر الشيعة إلى رفع شكاواهم وقضاياهم إلى المجتهدين ووكلاء المراجع، مع أن أحكامهم لا تحظى باعتراف رسمي.

كانت في كل لواء محكمة تتألف من ستة قضاة، واثنين من المعاونين القضائيين. وكان قاضي الشرع أحد أعضاء المحكمة. وكان

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١٣٠، و Bell, *The Arab War; Confidential Information for General Headquarters from Getrude Bell, Being Dispatches from the Secret «Arab Bulletin»*, p. 11.

(٣١) Ireland, Ibid., p. 170, and Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 15.

عدد المحاكم في العراق يبلغ اثنتي عشرة محكمة قضاء، وأربع محاكم لواء، ومحكمة الاستئناف في بغداد. ويبلغ عدد القضاة حوالى ثمانين قاضياً. وكانت قرارات محكمة الاستئناف في بغداد تستأنف في دعاوى القضايا التجارية في المحكمة التجارية في إسطنبول. وكانت جميع معاملات المحاكم تجري باللغة التركية، وهي اللغة الرسمية التي يجهلها غالبية السكان العرب[٣٢].

ج ـ الأوقاف

كانت الأوقاف الشيعية تدار غالباً من قبل السنة ولمصلحتهم. إذ كانت السلطات التركية لا تعترف بأهلية المؤسسات الشيعية في الإشراف على الأوقاف. ولم تكن تعترف سوى بدائرة الأوقاف التي تدين بالمذهب السني وتابعة للحكومة العثمانية. وحتى «الأراضي الموقوفة على العتبات المقدسة كانت توضع تحت نوع من الوصاية الخاصة، التي لا ترعى شؤونها الحكومة ولا المحاكم»[٣٣].

وكانت الدولة العثمانية تصادر أوقاف الشيعة بمناسبة أو من دون مناسبة. فعندما دخل السلطان مراد الرابع بغداد عام ١٦٣٥ أراد تعمير ضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني، فقام بتخصيص أوقاف كثيرة معظمها من أملاك الشيعة[٣٤].

وكانت لدى دائرة الأوقاف أملاك كثيرة، لكن الدائرة لم تكن تحترم وقفية وشروط الواقف، بل تجمع واردات الأراضي الزراعية وإيجارات الأملاك، ثم توزع قسماً منها كرواتب للعاملين في

---

(٣٢) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 92.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٩.

(٣٤) العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق**، ص ٥٥.

المساجد السنية كالأئمة والمؤذّنين والخدم والحراس، وفي صيانة المساجد السنية القديمة، وبناء مساجد سنية جديدة. وما تبقى من الإيرادات ترسله إلى وزارة الأوقاف في إسطنبول. إذ كان هدف موظفي الأوقاف هو تحويل أكبر ما يمكن من المال إلى إسطنبول، فيجوع أحفاد الواقفين، ويُهمَل إعمار الأراضي الزراعية وترميم البيوت والخانات والدكاكين والمدارس الموقوفة(٣٥).

وقامت دائرة الأوقاف بتشكيل لجنة من وجهاء السنة تشرف على تعيين وعزل أئمة المساجد والخطباء(٣٦). وقد تم تشكيل مثل هذه اللجنة في ولاية البصرة ذات الأكثرية الشيعية التي حرمت من التعيين أو بناء مساجد للشيعة أو الإنفاق على المساجد والحسينيات الشيعية التي بناها الشيعة بأموالهم الخاصة. وقد أدت تلك السياسة إلى إحجام الشيعة عن وقف الأملاك بصيغة الوقف المضبوط أو الخيري لأنها ستؤول إلى الحكومة العثمانية، وستنفق عائداتها لمصلحة الطائفة السنية فقط. لذلك انحصرت الأوقاف الشيعية في الوقف الذري، أي يعود ريع الوقف لمنفعة ذرية الواقف حصراً، وبالشروط التي يضعها.

ومن المفارقات أن دائرة أوقاف بغداد فرضت رسوماً على دفن الموتى في المدن الشيعية المقدسة كالنجف وكربلاء والكاظمية. وكانت تجمع مبالغ طائلة لكنها لا تنفق منها إلّا النزر اليسير لإنارة العتبات المقدسة أو تنظيف ساحاتها وأروقتها أو الشوارع المحيطة بها(٣٧). وبعد الاحتلال البريطاني قامت الإدارة الإنكليزية بتفريق

---

(٣٥) Bell, Ibid., p. 10.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١٠.

حسابات الأوقاف الشيعية عن الأوقاف السنية بهدف تأسيس دائرة وقف شيعية مستقلة[٣٨]، لكن ذلك لم يتحقق إلا بعد ثمانين عاماً[٣٩].

د ـ الوظائف الحكومية

تميّزت سياسة الحكومة العثمانية بإقصاء وتهميش الشيعة ومنعهم من الخدمة المدنية. فلم يُعيّن أحدٌ من الشيعة في الأعمال والمناصب الحكومية[٤٠]. إذ لم يضع الأتراك في حسبانهم وجود أكثرية شيعية من سكان العراق. لقد كانت جميع الوظائف الحكومية تمنح للسنة، سواء الأعمال الإدارية البسيطة أو المناصب العليا. فقد كان السيد عبد الرحمن الكيلاني رئيساً لبلدية بغداد حتى دخول القوات البريطانية إليها في آذار/ مارس ١٩١٧. كما كانت الدوائر الحكومية كالتعليم (المعارف) والقضاء والصحة والتسجيل العقاري (الطابو) والأوقاف والشرطة (الشبانة) والكمارك والضرائب و(مصلحة انحصار التبغ) و(مطبعة الحكومة) وبقية الشؤون المدنية.

وينطبق الأمر على المؤسسات العسكرية، حيث كان الطلاب السنة يرسلون للدراسة في الكليات العسكرية في إسطنبول، ليتخرجوا ضباطاً يخدمون في الجيش العثماني. وقد تسلم كثير منهم مناصب حكومية وقاموا بدور في الحياة السياسية بعد الاحتلال البريطاني، أمثال نوري السعيد وجعفر العسكري وعبد المحسن

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣٩) تأسس ديوان الوقف الشيعي بقرار من مجلس الحكم الانتقالي المرقم (٢٩) بتاريخ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٣، بعد سقوط نظام صدام، وبعد أن رفض السنة أن يكون وزير الأوقاف شيعياً. الأمر الذي لم يحدث في تاريخ وزارة الأوقاف في العراق.

(٤٠) George Harris, *Iraq: Its People, Its Society, Its Culture*, in collaboration with Moukhtar Ani [et al.], Survey of World Cultures; [3] (New Haven, CT: HRAF Press, [1958]), p. 96.

السعدون وطه الهاشمي وياسين الهاشمي ومولود مخلص وناجي شوكت وعلي جودت وجميل الراوي وجميل المدفعي وغيرهم.

هـ ـ الحرمان من الحياة السياسية

افتتح أول برلمان عثماني في ١٣/ ١٢/ ١٨٧٧ ويسمى (مجلس المبعوثان). ولم يكن للعراق آنذاك أي تمثيل فيه، على العكس من المندوبين العرب من سوريا ولبنان. وبقي العراق بعيداً عن المشاركة في الانتخابات حتى عام ١٩١٢ حيث أجريت أول انتخابات عثمانية في العراق لاختيار مندوبي العراق في مجلس المبعوثان. وشهدت الانتخابات عمليات تزوير وإرهاب مارسها أعضاء وأنصار جمعية الاتحاد والترقي لإيصال مرشحيهم إلى المجلس[٤١].

وأما التزوير الأخطر فهو تزوير إرادة الشيعة رغماً عنهم، وحُرموا من حق التمثيل في المدن الشيعية، حيث تم ترشيح وإنجاح مرشحين سنة. فعن البصرة فاز طالب النقيب وعبد الله الزهير وعبد الوهاب القرطاس وأحمد نديم، وعن كربلاء فاز فؤاد الدفتري ونوري البغدادي، وعن الديوانية فاز إسماعيل حقي بابان، وعن المنتفك فاز جميل صدقي الزهاوي وعبد المجيد الشاوي، وعن العمارة فاز عبد الرزاق المير ومعروف الرصافي[٤٢]. وهؤلاء ليسوا من سكان المدن الشيعية بل غرباء عنها، وهم من أهل السنة ويمثّلون أهلها الشيعة رغماً عنهم.

من جانب آخر، حرم الشيعة من المناصب الإدارية كرؤساء

---

(٤١) محمد مظفر الأدهمي، **المجلس التأسيسي العراقي: دراسة تاريخية سياسية** (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٦)، ج ١، ص ١٩ ـ ٢١.

(٤٢) العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق**، ص ٥٩ ـ ٦٠.

الوحدات الإدارية في المدن والأقضية والنواحي، إضافة إلى قيادات الشرطة ووحدات الجيش وغيرها. أما ولاة العراق فكانوا قاطبة من الأتراك يأتون من إسطنبول ليقضوا بضع سنوات لحكم العراق، والانهماك في جمع أكبر ما يمكن من الضرائب وإرسالها إلى إسطنبول ليرضى عنهم الباب العالي (السلطان) والصدر الأعظم (رئيس الوزراء).

لقد كانت الإدارة التركية في العراق إدارة فاشلة، متخمة بالرشوة والفساد الإداري والمالي والأخلاقي. في عام ١٩١٠، يصف المقيم البريطاني في بغداد المستر ج. لوريمر الحالة بأن «جهاز الإدارة التركي العام لا يلائم العراق من جميع الوجوه تقريباً. وعلى الترك أنفسهم أن يعترفوا بأنه جهاز فاشل هنا. وبرغم أن فشله هذا واضح بما فيه الكفاية، لكن القليل منهم يدرك أسباب هذا الفشل»[٤٣].

---

(٤٣) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 1.

الفصل الرابع

عقيدة الجهاد عند الشيعة



أولاً: تعريف الجهاد

يعرف الجهاد بأنه بذل المرء جهده لبلوغ التكامل المعنوي والديني[1]. اشتق مصطلح الجهاد من الفعل جاهد الذي يعني بذل الوسع[2]. والجَهْدُ هو المشقة، والجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو[3]. ويسمى أيضاً «القتال في سبيل الله».

استناداً إلى حديث للرسول (ﷺ) يقسم الجهاد إلى «جهاد أصغر» هو قتال العدو، و«جهاد أكبر» وهو جهاد النفس. ورغم أن الرسول (ﷺ) اعتبر القتال جهاداً أصغر، إلّا أن الفقهاء والمؤرخين والمفسرين المسلمين ركزوا عليه، حتى غلب على جهاد النفس وصار مصطلح الجهاد يترادف مع القتال والحرب أينما ورد. ويعود ذلك إلى تبلور واشتهار مصطلح جهاد العدو في صدر الإسلام والدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي حين كانت تخوض حروباً شرسة ضد الدول المجاورة كالإمبراطورية البيزنطية والساسانية.

وجرى تقنين وتثبيت هذا المفهوم في الكتب الفقهية التي تم

---

(١) *Encyclopedia of Islam* (Leiden: E. J. Brill, 1965), vol. 2, p. 538.

(٢) **المنجد في اللغة والإعلام** (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨)، ص ١٠٦.

(٣) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن** (بيروت: دار الكتاب العربي، [د. ت.])، ص ٩٩.

تأليفها في تلك الفترة، وجاء من بعدَها من اعتبرها تراثاً فقهياً مقدساً، فتمسك بها.

في اللغات الأجنبية وخاصة الغربية منها ما يُترجم الجهاد على أنه «حرب مقدسة». وهذا يضفي عليها بعداً دينياً مقدساً، لأنها تُشن لدوافع دينية تستحق أن يضحي المرء من أجلها.

لقد كوّن الغرب صورة سلبية عن الجهاد حيث ربط بينه وبين العنف والقتل. يقول المستشرق الهولندي رودلف بيترز:

«كان الخيال الغربي، دائماً، مفتوناً بعقيدة الجهاد الإسلامي. ولفترة طويلة ظهرت صورة نمطية متكررة في الأدب الغربي، هي صورة ذلك التركي المخيف مرتدياً ثيابه الطويلة السابغة، شاهراً سيفه المشرع، على أهبة الإجهاز على كل كافر يعترض طريقه ويرفض الدخول في دين محمد. أما الآن فقد حلت صورة أخرى محل هذه الصورة هي صورة «الإرهابي» العربي، في حلة القتال، مسلحاً بالكلاشينكوف، وعلى أهبة الإجهاز على النساء والأطفال اليهود والمسيحيين الأبرياء دون تورع ومن غير تردد. ووراء هذه القوالب هناك افتراض كامن يصور المسلمين ـ ويسمون أحياناً العرب دون تحديد ـ باعتبارهم قوماً معادين، متعطشين للدماء بإزاء من يخالفهم العقيدة، وذلك يعزى إلى ديانتهم التي يُزعم أنها ديانة التعصب والتزمّت والحرب المستمرة على الكفار»[٤].

إن مراجعة تحليلية للحروب التاريخية تكشف أن ليس كل حروب الجهاد كانت لأسباب دينية، بل ربما خالطها حب التوسع

---

(٤) رودلف بيترز، **الإسلام والاستعمار**: **عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث** (القاهرة: دار شهدي للنشر، ١٩٨٥)، ص ١٢.

وامتلاك الأراضي وفتح المدن والحصول على الغنائم وسبي أهلها كعبيد وجوارٍ، وهي أهداف دنيوية بحتة. كما إن الجهاد يجري الإعلان عنه عادة من قبل الدولة، فهو حرب الدولة التي تستثمر مفهوم الجهاد في تعبئة الناس للتطوع في القتال. وليس بالضرورة أن تكون حروب الدولة حروباً دينية أو حتى مقدسة، بل لأهداف سياسية واقتصادية وربما جغرافية، أي التنازع على إقليم أو نهر أو بحر أو جبل أو صحراء.

في العصر الحديث يجري استحضار مفهوم الجهاد باعتباره عاملاً هاماً في تعبئة الرأي العام المسلم وتحشيد الشعوب المسلمة لمواجهة الاستعمار ومقاومة الاحتلال، سواء كانت المبررات حقيقية أو مجرد أهداف سياسية تسعى بعض الجماعات والأحزاب الإسلامية إلى استغلالها من أجل كسب تأييد الناس لها. ولذلك نجد اليوم العديد من الحركات الإسلامية الأصولية ترفع شعارات جهاد الكفار والصهيونية العالمية والشهادة في سبيل الله مع أن لديها أجندة سياسية تهدف إلى السيطرة على السلطة السياسية في بلدانها.

ثانياً: أنواع الجهاد

من وجهة نظر الفقهاء الشيعة، يُقسم الجهاد إلى نوعين، دفاعي وهجومي.

١ ـ الجهاد الهجومي

وهو شنّ الحرب على دولة أو أمة أو جماعة أخرى من أجل توسعة رقعة دار الإسلام بهدف إخضاعهم لحكم المسلمين أو السماح بنشر الإسلام بين صفوفهم. ويسمى أيضاً بالجهاد الابتدائي

لأن المسلمين يبدأون غير المسلمين بالقتال أو جهاد الفتح لأن الهدف منه فتح البلاد الكافرة.

ويُشنّ الجهاد ضد الفئات الآتية:

ـ **المشركين**: وهم الذين لا يؤمنون بوحدانية الله تعالى أي يشركون به. وحسب القواعد الإسلامية المتبعة يجب دعوة هؤلاء إلى الإسلام وشرح تعاليمه لهم أولاً، بحيث لا يبقى هناك غموض أو عذر أمامهم. فإذا قبلوا هذه الحقائق وأسلموا، يعتبرون إخواناً لبقية المسلمين ومساوين لهم في السراء والضراء. ولكن إذا رفضوا قبول الحق بعد الشرح الواضح للإسلام، سيؤدي الإسلام واجب الجهاد الديني ضدهم[٥].

يقول السيد الخوئي: ولا خلاف في ذلك بين المسلمين قاطبة. ويدل على ذلك غير واحدة من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى **﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾**[٦]، وقوله تعالى **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾**[٧]، وقوله تعالى **﴿حرّض المؤمنين على القتال﴾**[٨] وقوله تعالى **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾**[٩]، وقوله تعالى **﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾**[١٠]. ثم يضيف السيد الخوئي: والروايات المأثورة في الحث على الجهاد ـ وأنه مما بُني

---

(٥) Muhammad Hussein Tabataba'i, *Islamic Teachings in Brief* (Qum: Ansaryan Publication, [n.d.]), pp. 210-211.

(٦) **القرآن الكريم**، «سورة النساء،» الآية ٧٤.

(٧) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٣٩.

(٨) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٦٥.

(٩) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٥.

(١٠) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٣٦.

عليه الإسلام ومن أهمّ الواجبات الإلهية ـ والقدر المتيقن من مواردها هو الجهاد مع المشركين[11].

ـ **أهل الكتاب من الكفار وهم أتباع الديانات السماوية كاليهود والمسيحيين**، ويلحق بهم المجوس والصابئة. إذ يرى السيد الخوئي أنه يجب مقاتلتهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ويدل عليه الكتاب والسنة. قال تعالى ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾[12].

يلاحَظ أن السيد الخوئي لا يعتبر جميع أهل الكتاب كفاراً، بل يقتصر على الذين لا يؤمنون بالمبادئ التي ذكرتها الآية. كما إن استخدام عبارة ﴿**من الذين أوتوا الكتاب**﴾ تشير بوضوح إلى هذا الفهم لأن (مِن) تفيد التبعيض. ولكن الوقائع التاريخية والتطبيق العملي للجزية تشير إلى فرضها على غير المسلمين جميعاً من دون تفريق بين من هو (مؤمن بالله وباليوم الآخر، ويحرّم ما حرم الله ورسوله) ومن لا يؤمن بهذه العقائد.

يقول السيد فضل الله: ربما يبدو أن الآية تمثل حالة جزئية من حالات أهل الكتاب، على أساس أن هناك فريقين من أهل الكتاب، فمنهم المؤمنون الذين يلتزمون بالكتاب بكل فكره وشريعته وأسلوبه، ومنهم الذين لا يعيشون الكتاب إلا أمانيّ. وجاءت الآية لتأمر بقتال الفريق الثاني الذي يمثل الخطر الكبير على الإسلام

(١١) أبو القاسم الخوئي، **كتاب الجهاد** (بيروت: دار التيار الجديد، ١٩٩١)، ص ٩ ـ ١٠.

(١٢) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٢٩.

والمسلمين. هذا الفريق الذي يتستر بالدين كقناع مزيف يخفي الحقيقة الواقعية في داخله، وهي الكفر في العقيدة والعمل[١٣].

لا يوجد فرق بين مذاهب الأديان غير المسلمة، فالجميع مخاطبون حتى لو كانوا يختلفون في عقائدهم، طالما أنهم غير مشمولين بالصفات التي ذكرتها الآية الآنفة الذكر التي اعتبرت الإيمان بتلك المبادئ كافياً لعدم شمولهم بالقتال أو الجهاد العسكري. يقول الإمام الخميني: فلا يقبل من غير الطوائف الثلاث (اليهود والنصارى والمجوس) إلا الإسلام أو القتل[١٤]. وبناءً على ذلك فإن أمام الكفار من أهل الكتاب ثلاثة خيارات: الإسلام أو دفع الجزية أو مواجهة الحرب.

أ ـ أهل الذمة

يتميز الإسلام عن غيره بأنه يقبل بالآخر، المختلف دينياً وخاصة أصحاب الديانات السماوية. وهذا الأمر قد يبدو اليوم أمراً عادياً، لكن لو نظرنا نظرة تاريخية إلى طبيعة الأنظمة السياسية والدول الغابرة التي لم تكن تقبل بدين آخر أو تعترف به رسمياً، كما يفعل الإسلام. إن أوروبا المسيحية بقيت حتى العصر الحديث ترفض الاعتراف بوجود أديان أخرى، ويتعرض أتباع هذه الأديان إلى الاضطهاد والقمع والحرمان من الحقوق السياسية والمدنية والعزل الاجتماعي، كما هو حال مسلمي الأندلس، واليهود، ومسلمي البوسنة والهرسك.

---

(١٣) محمد حسين فضل الله، **تفسير من وحي القرآن** (بيروت: دار الملاك، ٢٠٠٠)، ج ١١، ص ٧٨.

(١٤) روح الله الموسوي الخميني، **تحرير الوسيلة**، ٢ ج (النجف: [د. ن.]، ١٩٧٠)، ج ٢، ص ٤٩٧.

إن دفع الجزية لقاء العيش بحرية وأمن وسلام داخل المجتمع الإسلامي جعل الأقليات المسيحية (قبط، أرمن، كاثوليك، بروتستانت، أرثوذكس، سريان وكلدان...) واليهودي والصابئة والمجوس وغيرهم تستمر بالبقاء والوجود محافظة على عقائدها وكنائسها ومعابدها ومدارسها وتراثها وعاداتها. ولو كانت الدول المسيحية قد أخذت بمبدأ الجزية مقابل أن تسمح لغير المسيحيين بالعيش بسلام في مجتمعاتها، لما تعرضت للفناء أقليات مسلمة كبيرة. ففي إسبانيا المسيحية بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ كان هناك حوالى ثلاثة ملايين مسلم اضطروا إلى الفرار من إسبانيا لأن الدولة المسيحية خيّرتهم بين خيارين: القتل أو الهجرة من البلاد. وتعرضت الأقليات المسلمة التي كانت موجودة في جنوب فرنسا وإيطاليا وجزيرة صقلية إلى ترك بلدانها خشية الملاحقة والقتل، فتعرض قسم منهم إلى الإبادة، واضطر الباقي إلى الهجرة إلى المغرب وتونس. وتعرض يهود الأندلس إلى المصير نفسه فاضطروا إلى الهجرة إلى الدول الأوروبية كبلجيكا وهولندا وفرنسا. بينما حافظ المسيحيون في بلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا واليونان على دينهم وهويتهم الثقافية ومؤسساتهم الدينية والتعليمية عندما كانت الدولة العثمانية تحتل بلادهم. إذ لا تزال الأقليات التي عاشت تحت الحكم الإسلامي، بينما انقرضت الأقليات المسلمة التي عاشت في ظل الحكم المسيحي.

إذا رضي غير المسلمين، سواء المقيمين في المجتمع المسلم أو في إقليم خاضع للدولة الإسلامية، بدفع الجزية إلى الدولة الإسلامية، فإنه يترتب عليهم ما يأتي:

١) ألا يرتكبوا ما ينافي الأمان، كالعزم على حرب المسلمين وإمداد المشركين في الحرب.

٢) عدم التجاهر بالمنكرات كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والربا وارتكاب المحرمات كالزنا واللواط ونحوهما مما يوجب نقض عقد الذمة.

٣) عدم بناء كنائس ومعابد وبيع وضرب الناقوس وما شاكل مما يوجب إعلان أديانهم وترويجها بين المسلمين(١٥). وإذا لم يشترط ذلك في عقد الذمة، فلا يخرجوا منها. وأما إذا كانت موجودة قبل الفتح فحينئذٍ إن كان إبقاؤها منافياً لمظاهر الإسلام وشوكته فعلى ولي الأمر هدمها وإزالتها، وإلا فلا مانع من إقرارهم عليها(١٦).

ب ـ مفهوم الجزية

وهي ضريبة سنوية يدفعها غير المسلمين المقيمين في أنحاء الدولة المسلمة. ويدفعها الرجل البالغ الذي لديه دخل. وهم عادة لا يدفعون الضرائب التي يدفعها المسلمون كالزكاة والخمس والخراج والعشور. كما إنهم غير ملزمين بأداء الخدمة العسكرية أو تعريض حياتهم للخطر دفاعاً عن الدولة المسلمة. ولذلك عندما كان أهل الكتاب يتطوعون لخوض الحرب لصالح المسلمين، فإن المسلمين كانوا يرفعون الجزية عنهم(١٧).

يقول السيد فضل الله:

ولسنا هنا من أجل الدخول في عملية توفيقية تبريرية أو دفاعية

---

(١٥) الخوئي، **كتاب الجهاد**، ص ٧٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(١٧) مرتضى مطهري، **الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن** (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، [د. ت.])، ص ٧٦ ـ ٧٧.

في الرد على الذين أثاروا النكير على الإسلام في تشريعه الجزية على أهل الكتاب، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم، في ما أرادوا به تشويه صور التشريع الإسلامي للحياة، بل نحن ـ هنا ـ لاستلهام الواقعية التشريعية التي تواجه المسألة من قاعدتها الحقيقية، وهي قاعدة التعامل مع الأشياء والأشخاص من خلال دراسة الواقع الذي يريده الإسلام لنفسه ولاستمراره في ما يريده من سلطة الحكم والتشريع والحياة، بالإضافة إلى دراسة حقوق الآخرين بالطريقة التي تتناسب مع أهداف الإسلام الحياتية[١٨].

ج ـ المُعْفَوْن من الجزية

بسبب وجود استثناءات كبيرة من المعفَين من دفع الجزية، فإن قسماً صغيراً من أهل الكتاب مجبرون على دفعها.

أما الفئات التي تعفى من الجزية فهي:

١) الصبيان، أي غير البالغين من أهل الكتاب.

٢) النساء، أي الإناث بصورة عامة، صغيرات أم كبيرات.

٣) المجانين، الذين لا يعقلون ولا يعون شيئاً.

٤) المعوّقون من الرجال المصابين بعاهة أو عجز أو مرض مزمن، كالأعمى والأعرج.

٥) كبار السن من الرجال[١٩].

٦) الفقراء من أهل الكتاب.

---

(١٨) فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ج ١١، ص ٧٦.

(١٩) الخوئي، **كتاب الجهاد**، ص ٦٨.

٧) الرهبان[٢٠].

يلاحظ أن الفئات المستثناة من دفع الجزية أنها عادة غير قادرة على أداء الخدمة العسكرية. أما الفقراء فهم غير قادرين على دفعها، فأسقطت عنهم. وأما الرهبان، فقد كرّمهم الإسلام ووفر لهم الحماية والرعاية بلا مقابل احتراماً لهم وتوقيراً لرجال الدين.

يتساءل الشيخ مرتضى مطهّري: هل يأخذ الإسلام الجزية بشكل هدية أم بشكل فدية؟ ثم يجيب: فلو تعهّد الإسلام مقابل الجزية أن يقدم لهم خدمة فإن الجزية تعني عند ذاك: التكريم. أما إذا أخذ الجزية دون أن يقدم لهم خدمة، ففي هذه الصورة تعني الجزية: الفدية. فلو قال الإسلام: خذوا الجزية من أهل الكتاب ولا تتعهدوا مطلقاً مقابلها بشيء بل خذوا فقط المال منهم مقابل التوقف عن قتالهم، فهذا يعني الفدية. الفدية تعني أخذ الحق بالعنف، أي أن يقول أحد الأقوياء لأحد الضعفاء: اعطني مبلغاً من المال لكي لا أزاحمك وأقف في طريقك وأسلب منك. وفي وقت آخر يقول: أتعهد أمامكم وآخذ الجزية مقابل هذا التعهد. وفي تلك الصورة يكون معنى الجزية التكريم[٢١].

إن الواقع المعاصر لا يشير إلى أخذ الجزية حتى في الدول التي تطبق الشريعة الإسلامية. ففي جمهورية إيران الإسلامية لا تؤخذ الجزية من اليهود والمسيحيين والزرادشتيين من سكان إيران وذلك لسببين:

أولاً: لا يعتبرون أهل ذمة بل هم معاهدون. فالإيرانيون من غير

---

(٢٠) جمال الدين الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي، **مختلف الشيعة**، ٦ ج (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٩٦)، ج ٤، ص ٤٤٠.

(٢١) مطهري، **الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن**، ص ٧٥ ـ ٧٦.

المسلمين يعتبرون مواطنين مثل المسلمين. يقول السيد علي الخامنئي: حُكمهم ما داموا خاضعين لقوانين ومقررات الدولة الإسلامية التي يعيشون تحت ظلها هو حكم المعاهد ما لم يفعلوا ما ينافي الأمان[٢٢].

ثانياً: إن غير المسلمين الإيرانيين غير مستثنين من الخدمة العسكرية، فهم خاضعون للخدمة الإلزامية. كما إن قسماً منهم منخرطون في القوات العسكرية كضباط وجنود وفنيين وإداريين.

فهم مواطنون إيرانيون لهم الحقوق والواجبات نفسها، ولهم كنائسهم ومعابدهم ومدارسهم ونواديهم ومنظماتهم وجمعياتهم. ويتمتعون بحريتهم في ممارسة شعائرهم وطقوس ديانتهم وأعيادهم. كما إنهم يطبقون قانون الأحوال الشخصية الخاص بكل طائفة[٢٣].

بالطبع هناك بعض المناصب في الجيش والحكومة كالوزارة والسفارة والقضاء لا يصل إليها غير المسلمين. ويضمن الدستور الإيراني تمثيل الأقليات غير المسلمة في البرلمان الإيراني. إذ تنص المادة ٦٤ على ما يأتي:

«ينتخب الزرادشت واليهود كل على حدة نائباً واحداً، وينتخب المسيحيون الآشوريون والكلدانيون معاً نائباً واحداً، وينتخب المسيحيون الأرمن في الجنوب والشمال كل على حدة نائباً واحداً».

---

(٢٢) علي الخامنئي، **أجوبة الاستفتاءات** (بيروت: دار الحق، ١٩٩٥)، ج ١، ص ٣٣١.

(٢٣) تنص المادة ١٣ من الدستور الإيراني على ما يلي: «الإيرانيون الزرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون. ولها أن تعمل وفق قواعدها في الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية».

د ـ حضور الإمام المعصوم

يعتقد قسم من الفقهاء الشيعة بأنه لا يجوز إعلان الجهاد الهجومي أو الابتدائي في عصر الغيبة أي من دون حضور الإمام الثاني عشر محمد المهدي (عليه السلام) الذي ما زال حياً، واختفى عن الأنظار منذ عام ٨٧٣م[٢٤]. ويتفق فقهاء الشيعة على أنه لا يعتبر الجهاد الابتدائي شرعياً ما لم يقترن بوجود الإمام أو وجود نائبه الخاص (أي الذي عيّنه الإمام بنفسه) وليس النائب العام (الفقيه المتصدي من دون أن يسميه الإمام نائباً له). ويحرّم القيام به حال الغيبة، إذ لا يجوز للفقيه العادل أن يدعو إليه ولا يحق له أن يعلن الحرب على الكفار ليدعوهم إلى الإسلام[٢٥].

بينما يرى آخرون أنه لا يشترط حضور الإمام المعصوم، بل يرى أن يجري إعلان الجهاد بإذن الإمام في حالة حضوره، إذ يقول السيد الخوئي: نعم، الجهاد في عصر الحضور يعتبر فيه إذن ولي الأمر، النبي (صلى الله عليه وآله) أو الإمام (عليه السلام) بعده[٢٦].

ومن الفقهاء المعاصرين الذين يرون عدم اشتراط حضور الإمام المعصوم لإعلان الجهاد الابتدائي. فالسيد الخوئي يقول:

«إن الظاهر عدم سقوط وجوب الجهاد في عصر الغيبة وثبوته

---

(٢٤) انظر: محمد بن الحسن الحر العاملي، **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، عنى بتصحيحه وتحقيقه وتذييله عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ١٩ ج (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٠ ـ ١٩٧١)، ج ١١، ص ٣٢، وفضل الله شكوري، **فقه سياسي إسلام** (بالفارسية) (طهران: [د. ن.]، ١٩٨٣)، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٢٥) صلاح عبد الرزاق، «ملامح النظرية الإسلامية في السياسة الخارجية،» **الفكر الجديد** (لندن)، العدد ٢ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٢)، ص ٦٩.

(٢٦) الخوئي، **كتاب الجهاد**، ص ١٧.

في كافة الأعصار لدى توفر شرائطه. وهو في زمن الغيبة منوط بتشخيص المسلمين من ذوي الخبرة في الموضوع أن في الجهاد معهم مصلحة للإسلام على أساس أن لديهم قوة كافية من حيث العدد والعدة لدحرهم بشكل لا يحتمل عادة أن يخسروا في المعركة، فإذا توفرت هذه الشرائط عندهم وجب عليهم الجهاد والمقاتلة معهم»[٢٧].

ويرى السيد كاظم الحائري أن الجهاد الابتدائي كالجهاد الدفاعي بالنسبة إلى وجود المعصوم أو عدمه. ويستدل على مشروعية الجهاد الابتدائي انصباباً مطلقاً من دون تقييد لا من حيث الزمان، ولا من حيث قيد عصمة القيادة، ولا من حيث القوى والكيانات التي نقاتلها ـ سوى قيد الشرك والكفر فيها ـ وسوى وجود أمة تحمل راية التوحيد وتدعو إلى هداية الإنسان ونشر الإسلام[٢٨].

٢ ـ الجهاد الدفاعي

إن مبدأ الدفاع عن النفس هو حق إنساني تكفله جميع الأديان والفلسفات والأيديولوجيات والنظريات السياسية والمعاهدات الدولية، وتشدّد عليه باعتباره حقاً طبيعياً للإنسان. ويقر ميثاق الأمم المتحدة حق الدفاع للأفراد والشعوب والأمم حيث تنص المادة (٥١) على أنه «ليس في الميثاق الحالي ما يمنع أو يعرقل حق الأفراد والجماعات في الدفاع عن النفس إذا ما حدث هجوم مسلح». كما تعترف الاتفاقيات الدولية والقانون الدولي بهذا الحق للجميع. وهذا شيء طبيعي، إذ لا أحد يقف ساكتاً بلا حراك عندما

---

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢٨) كاظم الحائري، **الكفاح المسلح في الإسلام** (قم: انتشارات الرسول المصطفى، [د. ت.])، ص ١٠.

تتعرض بلاده وأمواله وعائلته وعقائده ومقدساته للاعتداء والانتهاك. نعم، إن الحرب سيئة، ولكن أية حرب؟ هل يمكن لإنسان القبول بالاعتداء عليه بحجة أنه مسالم ويحب السلام؟

يعتقد فقهاء الشيعة بأنه يجب إعلان الجهاد الدفاعي في الحالات الآتية:

ـ عندما يخرق العدو الأجنبي سماء أو بحر أو أرض البلاد الإسلامية بهدف العدوان على أرواح المسلمين وممتلكاتهم في حالة وقوع هجوم حقيقي أو متوقع من قبل قوات العدوّ. يقول الإمام الخميني: «لو غشي بلاد المسلمين أو ثغورها عدو يخشى منه على بيضة الإسلام ومجتمعهم، يجب عليهم الدفاع عنها بأية وسيلة ممكنة من بذل الأموال والنفوس»[٢٩].

كما يشجع المسلمين على عدم السكوت أمام أشكال الغزو السياسي والاقتصادي، بل مواجهتها بالأساليب السلمية إذ يقول: «لو خيف على حوزة الإسلام من الاستيلاء السياسي والاقتصادي المنجرّ إلى أسْرهم السياسي والاقتصادي ووهن الإسلام والمسلمين وضعفهم، يجب الدفاع بالوسائل المشابهة والمقاومة السلبية، كترك شراء أمتعتهم، وترك استعمالها، وترك المراودة والمعاملة معهم مطلقاً»[٣٠].

ـ البغاة وهم المتمردون على سلطة ودولة الإمام المعصوم (عليه السلام) الواجب إطاعته شرعاً، فإنه لا إشكال في وجوب مقاتلتهم إذا أمر الإمام بها، ولا يجوز لأحد المخالفة، ولا يجوز الفرار لأنه كالفرار

---

(٢٩) الخميني، **تحرير الوسيلة**، ج ١، ص ٤٨٥.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٨٦.

عن الزحف في حرب المشركين، والحاصل أنه تجب مقاتلتهم حتى يفيئوا أو يُقتلوا[٣١].

إن هذا النوع يقتصر على محاربة عدوّ داخلي من سكان الدولة الإسلامية نفسها، حيث يمكن معالجتها عادة باستخدام القوى العسكرية والشرطة. وإذا لم يكن بوسع القوات الحكومية مواجهة المتمردين وخارج قدرتها وسيطرتها، عند ذاك يكون باستطاعة الإمام أو رئيس الدولة دعوة الشعب إلى الجهاد.

نظرياً، لا تعتبر الخلافات الدينية والطائفية والسياسية شكلاً من البغي، ويجب عدم حلها بالقوة، بل بالحوار والإقناع والتسوية. ولكن الحقائق التاريخية تشير إلى عكس ذلك. إذ كانت السلطات الحاكمة تعتبر كل المعارضات السياسية والخلافات المذهبية بغياً ضد الدولة. لقد تعرض المعارضون السياسيون والمذهبيون للاضطهاد والملاحقة والاعتقال والتعذيب والسجن والإعدام من قبل الخلفاء والسلاطين والملوك وأمراء المؤمنين وغيرهم من الحكام. وكانت ولا تزال بعض المذاهب والفرق الإسلامية تُعتبر في نظر البعض فرقاً كافرة أو مرتدة بهدف استئصالها.

أ ـ من يشارك في الجهاد

يعتبر الجهاد واجباً كفائياً، أي أنه واجب على الشعب ككل، ويسقط هذا الواجب عن الشعب إذا قام به عدد كافٍ من الأشخاص. وإذا لم يتقدم أحد أو كان العدد غير كافٍ يصبح الشعب كله مذنباً. على أية حال يبقى الجهاد الدفاعي واجباً على الشعب إذا ما تعرضت

(٣١) الخوئي، **كتاب الجهاد**، ص ٦٣.

البلاد إلى اعتداء أو تهديد. وأما شروط المشاركة في الجهاد فهي:

١) البلوغ والعقل، إذ يسقط عن القاصرين والمجانين.

٢) الذكورة، حيث تعفى النساء من الجهاد.

٣) القدرة الجسمية وسلامة الحواس، حيث يعفى الأعمى والمعوّق والعاجز.

٤) يعفى من الجهاد الذين لا يملكون وسائل نقل وسلاح أو تجهيزات خاصة للقتال. وهذا الاستثناء يعود إلى العصور القديمة عندما كان المحارب يجهّز نفسه وسلاحه وفرسه من ماله الخاص. وكان المحاربون يتوقعون أن يجري تعويضهم مادياً من الغنائم التي يحصل عليها الجيش. أما اليوم فالخدمة العسكرية أصبحت مهنة رسمية، وتقوم الدولة بتجهيز الجنود بالسلاح والعتاد والأجهزة والملابس والآليات ووسائل الاتصال. كما تدفع للجنود والضباط رواتب ومكافآت ومخصصات.

ب ـ أحكام الجهاد

الإسلام يدعو دائماً إلى الأخلاق، والمنظومة الأخلاقية واحدة من الخصائص الرائعة للإسلام. ويجب رعاية الأخلاق والقيم الإسلامية حتى في الظروف الحرجة كالأزمات والكوارث، حيث تسود العواطف والتوتر النفسي والسلوكي. إن الإسلام يشدّد على الأخلاق حتى تجاه الأعداء أثناء المعركة. يجب أن لا ننسى أهداف الإسلام، ويجب أن يجري تحديد سعة الحرب لاجتناب أي تصاعد في العدوان يؤدي إلى قتل الأبرياء أو تدمير البيئة.

هناك مجموعة من التوصيات التي يجب على المسلمين الالتزام بها سواء كانوا جنوداً أو قادة، وهي:

١) عدم إعلان الجهاد في الأشهر الحرم وهي محرم وذو القعدة وذو الحجة ورجب. وإذا ما شنّ العدو الحرب أو بدأ بالقتال في هذه الأشهر، فعلى المسلمين أن يردوا الاعتداء والدفاع عن أنفسهم وبلادهم[٣٢].

٢) يجوز قتال الطائفة الباغية في الأشهر الحرم، وهم الذين قاتلوا الطائفة الأخرى ولم يقبلوا الإصلاح وظلوا على بغيهم على تلك الطائفة وقتالهم[٣٣].

٣) لا يجوز البدء بقتال الكفار إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام، فإذا قام المسلمون بدعوتهم إليه ولم يقبلوا وجب قتالهم. وإذا كانوا من أهل الكتاب فيمكن قبول الجزية منهم وإيقاف القتال.

٤) يجوز استخدام جميع الأسلحة المتوفرة والوسائل الممكنة وحسب متطلبات ذلك العصر. ولا يقتصر الجهاد على الأدوات القتالية المخصصة[٣٤]. وليس بالضرورة استخدام أسلحة أو وسائل العصور الغابرة كالسيوف والرماح والسهام والخيول.

٥) لا يجوز قتل الشيخ الكبير والنساء والصبيان والأسرى[٣٥].

٦) يحرم تسميم المياه لقتل الناس والحيوانات[٣٦].

٧) لا يجوز قطع أو حرق الأشجار والنباتات، أو إغراق الأرض بالماء أو قتل الحيوانات[٣٧].

---

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٣٧) الحر العاملي، **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، ج ١١، ص ٤٣ ـ ٤٤.

٨) يحرّم الغدر بالعدوّ بعد منحه الأمان لأن الغدر ليس من صفات الإسلام[٣٨].

٩) لا يجوز القتال مع الكفار بعد العهد لأنه لا يجوز نقض العهد[٣٩].

١٠) يحرم التمثيل بالمقتولين الكفار لورود النهي عنه[٤٠].

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٥١.
(٣٩) الخوئي، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣١.

الفصل الخامس

فتاوى الجهاد للسيد اليزدي



أولاً: تعريف الفتوى والحكم

من الضروري ابتداءً تعريف الفتوى بحسب رأي الفقهاء الشيعة، من أجل إزالة الغموض فيما إذا كانت تعني المعنى نفسه للفتوى لدى الفقهاء السنة.

تعرّف الفتوى بأنها رأي شرعي يصدر من متخصص بالإسلام[١].

ويرى السيد فضل الله أن الفتوى «عبارة عن الحكم الشرعي الكلي للأشياء بعناوينها الكلية الفرضية بقطع النظر عن الجانب التطبيقي في الواقع الخارجي، كما نقول: إذا جاء شهر رمضان فيجب صومه، أو لا تُشرب الخمر». ويميّز بين الفتوى والحكم فيقول: «أما الحكم فهو الذي يحدد الحكم الشرعي في الواقع التطبيقي العملي، كما إذا قال: اليوم أول شهر رمضان، أو هذا خمر».

والفرق الآخر بين الفتوى والحكم هو أنه «يجوز العمل بالفتوى بعد وفاة المجتهد بناء على جواز البقاء على تقليد الميت. ويمكن الحكم أن يتغير تبعاً لتغيّر رأي المجتهد الولي في ملاحقة المتغيرات في الواقع إذا كان من الأمور المتحركة في

---

(١) John L. Esposito, editor in chief, *The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World*, editors Shahrough Akhavi [et al.], 4 vols. (New York: Oxford University Press, 1995), vol. 2, p. 9.

تحولات الأشياء. كما يمكن البقاء عليه فيما إذا كانت الظروف باقية»[٢].

من وجهة نظر فقهية، يجب أن تصدر الفتوى والحكم من قبل مجتهد، كما يجب تطبيقهما بلا استثناء. من حيث الشكل تتميز الفتوى الشيعية بأنها قصيرة قدر الإمكان. وغالباً ما لا تتضمن المناقشات الفقهية والروائية والاستدلالات، ولكن يذكر سبب إصدار الفتوى. بينما تمتاز الفتوى السنية بالطول والإطناب وذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي اعتمدت، والقواعد الفقهية التي استندت إليها الفتوى.

هناك بعض الفتاوى الشيعية تتألف من سطر واحد أو سطرين فقط. إذ إن فتوى التنباك الشهيرة التي أصدرها الميرزا محمد حسن الشيرازي عام ١٨٩١ في سامراء كانت تتألف من سطر واحد جاء فيها:

«اليوم يحرم استعمال التنباك والتتن بأي نحو كان. ومن استعمله كان كمن حارب الإمام، عجّل الله فرجه»[٣].

وفي الستينيات من القرن العشرين، أصدر المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم فتوى بتحريم الأفكار الشيوعية ١٢/ ٢/ ١٩٦٠ جاء فيها:

«لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو

---

(٢) من رسالة بعثها المؤلف إلى السيد فضل الله طرح عليه فيها مجموعة من الأسئلة فأجاب عليها.

(٣) حسن شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ٢ ج (بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠)، ص ٥٣.

ترويج للكفر والإلحاد، أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً»[٤].

مثل هذه الفتاوى القصيرة قد تنطبق على بعض فتاوى السنة. إذ تألفت فتوى الجهاد التي أصدرها المفتي العثماني عام ١٩١٤ لدخول الحرب ضد فرنسا وبريطانيا، من خمسة أسئلة تفصيلية طويلة، وكانت الإجابة عن كل منها من قِبَل المفتي بكلمة واحدة هي (نعم)[٥].

وأثناء الاحتلال البريطاني للهند في القرن التاسع عشر، سئل المفتي الحنفي في مكة المكرمة: هل تعتبر الهند دار إسلام؟ فأجاب:

«الحمد لله سيد الخلائق أجمعين. يا رحمن زدني علماً. طالما أنه يمكن ممارسة بعض شعائر الإسلام فيها، فهي دار إسلام». ثم أتبع الجواب بقوله «هذه فتوى حررها من يرجو رحمة الله، من يحمد الله، والصلاة والسلام على رسوله الكريم. التوقيع: جمال بن عبد الله الشيخ عمر الحنفي، المفتي الحالي لمكة المكرمة، رحمة الله عليه وعلى والده»[٦].

---

(٤) علي المؤمن، **سنوات الجمر: مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٥٧ ـ ١٩٨٦** (لندن: دار المسيرة، ١٩٩٣)، ص ٤٣.

(٥) Rudolph Peters, *Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History*, Religion and Society; 20 (The Hague; New York: Mouton, 1979), pp. 90-91.

(٦) Thomas Patrick Hughes, *A Dictionary of Islam; Being a Cyclopaedia of the Doctrines, Rites, Ceremonies, and Customs, Together with the Technical and Theological Terms, of the Muhammadan Religion*, 2nd ed. (London: W. H. Allen and Co., Limited, 1896), p. 127.

ثانياً: شروط المفتي

إن الشروط التقليدية الواجب توفرها في المفتي المؤهل لإصدار الفتوى هي: الإسلام، العدالة، الاجتهاد، أو القدرة على استنباط الحكم الشرعي لحل مسألة معينة[٧]. أما المجتهدون الشيعة، إضافة إلى الشروط أعلاه، فيشترطون توفر المواصفات الآتية: البلوغ، العقل، التقوى، الذكورة، الإيمان، طيب الولادة، الحياة[٨].

وهناك من المجتهدين من لا يشترط كل هذه الشروط، بل يشترطون أن يكون الفقيه عالماً مجتهداً عادلاً، ورعاً، وعلى قيد الحياة[٩].

وعلى العكس من القاضي، يمكن أن يكون المجتهد امرأة، إذ لا يشترط الذكورة. كما يمكن أن يكون أعمى أو أطرش، عدا المفتي الذي يتبوأ منصباً رسمياً[١٠].

ثالثاً: تصنيف فتاوى اليزدي

منذ بداية الغزو البريطاني للعراق عام ١٩١٤ أخذ السيد كاظم

---

(٧) *Encyclopedia of Islam* (Leiden: E. J. Brill, 1965), vol. 2, p. 866.

(٨) انظر: محمد باقر الصدر، **الفتاوى الواضحة** (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٩)، ص ١٠٥؛ علي السيستاني (آية الله)، **المسائل المنتخبة** (بومباي: تبليغات إيماني، ١٩٩٤)، ص ١٣؛ عبد الأعلى السبزواري، **جامع الأحكام الشرعية** (قم: دار الكتاب الإسلامي، [د. ت.])، ص ٣، وأبو القاسم الخوئي، **منهاج الصالحين**، ٢ ج (بيروت: دار الزهراء، ١٩٨١)، ج ١، ص ٧.

(٩) انظر: أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، **وسيلة النجاة** (بيروت: دار المجتبى، ١٩٩٢)، ج ١، ص ١١؛ روح الله الموسوي الخميني، **تحرير الوسيلة**، ٢ ج (النجف: [د. ن.]، ١٩٧٠)، ج ١، ص ٥، ومحمد رضا الكلبايكاني، **هداية العباد** (قم: دار القرآن الكريم، ١٩٩٣)، ص ٧.

(١٠) *Encyclopedia of Islam*, vol. 2, p. 866.

اليزدي يصدر فتاوى تحث أبناء العشائر والمدن على الانخراط في الجهاد ضد القوات الكافرة. وإذ تهدف هذه الدراسة إلى دراسة تلك الفتاوى، فمن اللازم ابتداءً تحديد طبيعة تلك الفتاوى ونوعها.

من منظور شرعي، تعتبر فتوى السيد اليزدي حكماً، لأنها تتناول قضية مؤقتة ومرتبطة بحوادث معينة أي الجهاد ضد القوات الغازية. ولكن تسمى فتوى للأسباب الآتية:

أ ـ أن المصادر الإنكليزية تسميها فتوى[١١]. ويمكن تبرير ذلك بأن الكتّاب والمؤرخين الأجانب لا يعرفون الفرق الاصطلاحي بين الفتوى والحكم.

ب ـ أن المصادر العربية تسميها فتوى[١٢]. وهو اللفظ الشائع للرأي الشرعي.

ج ـ كان الناس يتعاملون معها على أنها فتوى[١٣].

(١١) Bell, *Review of Civil Administration of Mesopotamia*, p. 28; Philip Willard Ireland, *Iraq; a Study in Political Development* (London: J. Cape, [1937]), p. 169, and Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), p. 79.

(١٢) انظر: شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٤٩ ـ ١٥٣؛ علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ٤٠٣؛ عبد الله النفيسي، **دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث** (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٣)، ص ٨٥، وعبد الحليم الرهيمي، **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)** (بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ص ١٦٣.

(١٣) ينقل السيد حسن شبر حواراً بين أحمد بك أحد قادة الأتراك والشيخ بدر الرميض رئيس بني مالك حيث يقول: «أنتم الخونة للإسلام، وتحزبكم ضد العرب كافٍ لمصداق قولي، وأنتم بعد هذا أولى بالحرب والقتال ممن نحارب، ولولا **فتوى** علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها». انظر: شبر، المصدر نفسه، ص ١٥٩.

د ـ صدرت الفتوى للإجابة عن أسئلة موجهة من سكان المنطقة. إذ طلبوا من السيد اليزدي (أن تكتب لنا **فتوى** مؤكدة **لفتواك**). ويتكرر ذكر لفظة الفتوى في وثائق أخرى[١٤].

هـ ـ أن السيد اليزدي نفسه يستخدم لفظة الفتوى حيث جاء في أحد رسائله (قد شاع وذاع **فتوانا** بوجوب الدفاع عند مهاجمة الكفار على بلاد المسلمين)[١٥]. حيث إنه يستخدم ما تعارف عليه الناس وليس من المناسب التشويش على أذهانهم باستخدام ألفاظ فقهية دقيقة.

رابعاً: فتاوى الجهاد: توقيتها وأسلوبها

عند بدء الغزو البريطاني للعراق، كان السيد كاظم اليزدي المرجع الأعلى للشيعة في النجف الأشرف. واستناداً إلى القواعد الإسلامية والفقه الشيعي، فهو يمتلك السلطة لإعلان الجهاد ضد العدوّ. فهو مسؤول عن جميع النتائج السياسية والشرعية المترتبة على الجهاد. وقد آزره بقية المراجع حيث أصدروا فتاوى مشابهة لفتواه.

من الواضح أن اليزدي أعلن الجهاد الدفاعي، وهذا واضح من سياق الأحداث لأن القوات البريطانية هي التي هاجمت العراق، فأعلن الجهاد للدفاع عن البلاد وصد القوات الغازية. كما إن اليزدي استخدم عبارات صريحة عن الدفاع مثل «وجوب دفاع الكفار» و«وجوب الدفاع وحفظ بيضة الإسلام» و«ويجب عليكم الدفاع» و«ذاع فتوانا بوجوب الدفاع عند مهاجمة الكفار على بلاد

(١٤) المصدر نفسه، ص ٤١٦ ـ ٤١٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

المسلمين»[١٦]. واستناداً إلى القواعد الفقهية والأحكام الإسلامية، يجب الدفاع عن الدين والأرض والممتلكات والأرواح والشرف وغيرها، ويجب المحافظة عليها حتى لو أدى ذلك إلى التضحية بالنفس والمال. وهذه الدوافع تؤدي دوراً هاماً في إعلان الجهاد.

في ذلك الوقت تحقق خطر الغزو فعلياً عندما قامت القوات البريطانية في السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٤، حيث نزلت إلى ميناء الفاو، أقصى جنوبي العراق. لم يعد هناك شك أو تردّد في إصدار فتوى الجهاد. لقد تصرف اليزدي بشكل واقعي ومسؤول تجاه الحدث. وكان العراقيون جميعاً ينتظرون رد فعله تجاه الغزو البريطاني لبلادهم، لأنهم ينتظرون من قيادتهم أن تحدد لهم ما يفعلونه.

أصدر اليزدي فتواه مستخدماً لإيصالها ثلاث وسائل:

الأولى، أنه ألقى خطبة في مرقد الإمام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف بتاريخ ١٦/ ١٢/ ١٩١٤، أي بعد أربعين يوماً. إذ قام بحثّ الناس على الدفاع عن البلاد الإسلامية، وأوجب على الغني العاجز بدناً، أن يجهز من ماله الفقير القوي[١٧]. وقد استخدم هذا الأسلوب ليُعلم أهالي النجف والزوار القادمين إليها.

والثانية، أنه أرسل برقيات تتضمن فتواه بصراحة وتشجع الناس على الجهاد. إذ لم تكن آنذاك وسائل اتصال سريعة سوى التلغراف. وكانت الحكومة العثمانية قد بدأت بمد خطوط التلغراف عام ١٨٦١

---

(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٠ وما بعدها.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٤٩، والوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ١٢٨.

التي غطت المدن العراقية عام ١٨٦٥. وكان البريطانيون قد شعروا بأهمية التلغراف والحاجة إلى وجود خط مباشر بين لندن والهند، وخاصة بعد ثورة المسلمين في الهند عام ١٨٥٧[١٨].

والأسلوب **الثالث** هو كتابة الرسائل الموجهة إلى زعماء القبائل والعشائر والشخصيات المتنفذة والوجهاء في المدن والأرياف.

جاءت فتواه الأولى كاستجابة سريعة إلى نداء أهالي الفاو الذين أرسلوا إليه برقية يخبرونه فيها بحصول الغزو، يستنجدون به، حيث جاء فيها:

«ثغر البصرة الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع. بتاريخ: ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤»[١٩].

خامساً: مضمون الفتاوى

استخدم السيد اليزدي لفظة الجهاد في فتاواه كمرادف للقتال والكفاح ضد العدو حيث يقول «جاهدوا عدوكم وعدو نبيكم»[٢٠]. كما استخدم عبارات «وجوب الدفاع» و«محاربة الكافرين» و«يجب عليكم الدفاع».

وقد كرر هذه العبارات في برقياته ورسائله التي أرسلها إلى مختلف المناطق العراقية. وكان بعضهم يرسل إليه رسالة يريد تأكيداً منه بأنه، أي اليزدي، قد أصدر فتوى بالجهاد. وقد استخدم زعماء

---

(١٨) الوردي، المصدر نفسه، ج ٣: **من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩١٤**، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(١٩) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٧.

(٢٠) شبر، المصدر نفسه، ص ٤١٧.

العشائر والوجهاء لفظة الجهاد باعتباره مصطلحاً شرعياً ودينياً. ولأنهم لا يميزون أنواع الجهاد، فتراهم يعتبرون كل حرب تتضمن صفة الجهاد، سواء كانوا هم البادئين، أو الرادين على حرب شنها العدو. ولكن اليزدي كان يميّز بين أنواع الجهاد، أي الدفاعي والابتدائي. ولذلك استخدم لفظة «الدفاع»، وهي اللفظة الدقيقة والصحيحة من وجهة نظر اصطلاحية. كما إن المصادر البريطانية تستخدم لفظة الجهاد أيضاً. تصف المسز بيل موقف اليزدي فتقول: لقد ألحّ الأتراك على اليزدي لإصدار فتوى يعلن فيها الجهاد، لكنه امتنع لمدة من الزمن، ثم أفتى به بعد ذلك[٢١].

استخدم اليزدي عدة نبرات مختلفة في برقياته ورسائله التي تضمنت فتواه. إذ تتفاوت لهجته بين المدح والإطراء إلى العتاب والتوبيخ الشديد. وذلك يعتمد على منصب الشخص المخاطب وموقفه تجاه حركة الجهاد. وتضمنت بعض رسائله لوماً حاداً تجاه الأشخاص المتباطئين والمتقاعسين عن المشاركة في الدفاع. لقد أعطى اليزدي توجيهاته وأوامره إلى مختلف فئات السكان العراقيين، من زعماء عشائر وشيوخ قبائل إلى وجهاء المدن وساداتها.

وهذا يشير إلى المكانة العالية والسلطة الواسعة والتأثير الكبير الذي كان يتمتع به اليزدي في المجتمع العربي العراقي. لقد كان هو ومعظم كبار العلماء من الإيرانيين، ولكن في المؤسسة الدينية الشيعية لم تكن القومية أو اللغة عاملاً كبيراً في اختيار أو إطاعة المراجع. ففي النجف نجد أن معظم المراجع والمجتهدين هم من

---

(٢١) Bell, *Review of Civil Administration of Mesopotamia*, p. 28

الإيرانيين أمثال السيد أبو القاسم الخوئي والسيد علي السيستاني والسيد عبد الأعلى السبزواري ومحمد حسين النائيني والشيخ محمد تقي الشيرازي والسيد أبو الحسن الأصفهاني وغيرهم من أعلام المرجعية وأساطين الفقه والأصول.

وكان لليزدي اتصالات مع الحكومة التركية المحلية في العراق. إذ كان يرسل ويستلم رسائل من الشخصيات الحكومية مثل والي بغداد، أو متصرف لواء المنتفك (الناصرية). كما امتدت اتصالاته إلى خارج العراق، ففي ١٩/١١/١٩١٤ أرسل برقية إلى الشيخ خزعل شيخ المحمرة جنوب إيران، أمره فيها بالنهوض والمشاركة في الدفاع عن البصرة، والجهاد بالمال والنفس في هذا السبيل. كما يلومه على موقفه الحيادي تجاه الحرب[٢٢]. لم يستجب شيخ المحمرة لأنه كان متعاوناً مع الإنكليز.

من الملاحظ أن المراجع الشيعة في إيران لم يصدروا فتاوى ضد الغزو البريطاني للعراق، في حين أن أقرانهم في العراق قد أصدروا فتوى بالجهاد ضد القوات الروسية التي احتلت بعض المناطق الإيرانية عام ١٩١١. ويبرر أحد الكتاب الإيرانيين هذا الموقف الغريب بأن إيران قد أعلنت الحياد في الحرب العالمية الأولى[٢٣]. ومن الصعب القبول بهذا التفسير لأن الفقهاء الإيرانيين قاموا بدورٍ بارزٍ في ثورة الدستور عام ١٩٠٥ وحققوا إنجازات سياسية هامة من قبيل إقرار دستور وإجراء انتخابات وتشكيل مجلس شورى ثم تشكيل أول حكومة في عهد الدستور

---

(٢٢) شبر، المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٢٣) عبد الرضا هوشنك مهدوي، **تاريخ روابط خارجي إيران** (بالفارسية) (طهران: انتشارات أمير كبير، ١٩٨٦)، ص ٣٤٣.

في ١٩٠٧/٣/٢٠[٢٤]. ومن غير المقبول أن يلتزموا بموقف سياسي للحكومة ويتجاهلوا أحكاماً شرعية تقتضي منهم الدفاع عن البلدان الإسلامية بغضّ النظر عن القومية والمذهب. كما إن سكوت علماء إيران تجاه الغزو البريطاني للعراق لا ينسجم مع موقف المرجعية الشيعية في النجف.

في جميع برقياته ورسائله، استخدم اليزدي آيات قرآنية وعبارات تتحدث عن الجهاد، مثل ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم**﴾[٢٥] ﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾[٢٦] و﴿**اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون**﴾[٢٧]. بلا شك كانت لتلك البرقيات والفتاوى تأثيرها الواضح في المجتمع العراقي.

وكان اليزدي يصدر فتاواه سواء بمفرده أو بالاشتراك مع علماء آخرين. والفتاوى الجماعية معروفة في العالم الإسلامي، عندما تشترك مجموعة من العلماء بإصدار فتوى واحدة يوقّعون عليها جميعاً. وقد شارك اليزدي بإصدار مثل هذه الفتاوى عدة مرات بالاشتراك مع علماء شيعة آخرين. وأثناء البحث عن مثل هذه الفتاوى، لم أعثر على نص فتوى في المصادر العربية، لكن لحسن الحظ عثرت على فتوى منشورة في مجلة ألمانية تدعى **عالم الإسلام** (*Die Welt des Islams*)، وتعود المجلة إلى عام ١٩١٥. وكان اليزدي

---

(٢٤) صلاح عبد الرزاق، **الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي** (طهران: مؤسسة الأعراف للنشر، ٢٠٠٠)، ص ١٧.

(٢٥) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٤١.

(٢٦) المصدر نفسه، «سورة الأنفال،» الآية ٦٠.

(٢٧) المصدر نفسه، «سورة آل عمران،» الآية ١٠٢.

قد اشترك مع ثلاثة وعشرين عالماً شيعياً في فتوى وجوب الدفاع ضد الكفار. وينتمي أولئك العلماء إلى مدن النجف وكربلاء والكاظمية والحلة[٢٨]. وكان الكاتب الألماني الذي نشرها قد اعتمد على نص عربي منشور في مجلة **خاور** أي «الشرق»، الصادرة في طهران في عددها المرقم (١٣) والمؤرخ في ١٣ صفر ١٣٣٣هـ الموافق (٣١/ ١٢/ ١٩١٤م).

من الملاحظ أنه من النادر قيام الفقهاء الشيعة بإعلان الجهاد مقارنة بالمشايخ السنة. وتوجد حالات قليلة توضح استخدامهم هذه الصلاحية. فعلى سبيل المثال، أعلنوا الجهاد عام ١٨٠٩ عندما احتلت القوات الروسية مناطق في شمالي إيران. إذ قامّ علماء قم والنجف وكربلاء أمثال الميرزا أبو القاسم، السيد علي الطباطبائي والشيخ جعفر كاشف الغطاء بإصدار فتوى الجهاد. فقد ساندوا شاه إيران فتح علي شاه (١٧٩٧ ـ ١٨٣٤) في حربه، واعتبروا الحرب على الكفار الروس واجباً على كل مسلم. وقد جمعت الفتاوى ونشرت بين المسلمين في كتاب بعنوان **رسائل جهادية**.

وقد ذكرنا من قبل أن العلماء الشيعة قد أصدروا فتاوى الجهاد ضد الروس عام ١٩٠٩ و١٩١١، وضد الإيطاليين عام ١٩١١. وكان إعلان الجهاد الدفاعي وسيلة فعالة في تعبئة الناس للانخراط في الجيش المسلم.

في السنوات الأخيرة، لم تصدر فتاوى الجهاد إلا نادراً. وحتى أثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨) لم يصدر علماء إيران أية فتوى بالجهاد رغم الغزو العراقي الواقع على أرضهم.

---

(٢٨) *Die Welt des Islams*, vol. 3 (1915), pp. 131-133.

ولكن الإمام الخميني اعتبر الحالة «وضعية جهاد»، وطبق أحكام الجهاد، مثلاً اعتبر الضحايا الإيرانيين شهداء. كما استخدم مصطلح الدفاع في إجاباته عن استفتاءات الإيرانيين، واعتبر المشاركة في الحرب جهاداً دفاعياً[٢٩].

سادساً: التسلسل التاريخي للفتاوى

هناك بضع مشاكل تتعلق بالتسلسل الزمني للفتاوى والبرقيات وهي:

١ ـ هناك اختلافات كثيرة بين مختلف المصادر التي تذكر نصوص الفتاوى والبرقيات. فعلى سبيل المثال، إن إحدى فتاوى اليزدي مذيلة بالتاريخ الهجري، وهو ما اعتاد عليه العلماء المسلمون، ويذكر المؤرخ الدكتور علي الوردي أن الأول من محرم ١٣٣٣ هـ يصادف ٩/ ١١/ ١٩١٤[٣٠]. أما عبد الحليم الرهيمي فيذكر أن الأول من محرم يتصادف مع ٢٢/ ١١/ ١٩١٤[٣١]، كما يذكر سليم الحسني التاريخ الميلادي أيضاً نفسه[٣٢].

٢ ـ وأحياناً توجد أخطاء في المصدر نفسه، وهذه بعض الأمثلة:

---

(٢٩) روح الله الموسوي الخميني، **استفتاءات أز محضر إمام خميني** (بالفارسية) (قم: [د. ن.]، ١٩٨٨)، ج ١، ص ٤٩٢.

(٣٠) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ١٣١.

(٣١) الرهيمي، **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)**، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣٢) سليم الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠** (بيروت: دار الغدير، ١٩٩٥)، ص ٨٤.

أ ـ يذكر الوردي أن الأول من محرم ١٣٣٣هـ يصادف ١٩/ ١١/ ١٩١٤م، ولكنه بعد ذلك يذكر أن العاشر من محرم ١٣٣٣هـ يصادف ٢٩/ ١١/ ١٩١٤م[٣٣] بينما في الواقع يصادف ٢٨/ ١١/ ١٩١٤م.

ب ـ يذكر الحسني أن ١٤/ ١١/ ١٩١٤م يصادف ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ[٣٤]، ثم يذكر أن ١٥/ ١١/ ١٩١٤م يصادف ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ[٣٥].

(٣٣) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٤ : **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٣٤) الحسني، المصدر نفسه، ص ٨١.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٣.

الفصل السادس

فتاوى اليزدي في وثائق الجهاد:
تحليل ومناقشة



في هذا الفصل سنتناول مجموعة من الوثائق المنشورة التي تتضمن فتاوى اليزدي والبرقيات والرسائل المتبادلة بينه وبين العشائر والشخصيات والوجهاء والمناطق العراقية. وفي غياب التفاصيل اللازمة لتحديد تاريخ أو مكان صدور الرسالة أو البرقية سنقوم باستخدام نقد النصوص في التحليل والمقارنة كي يمكننا الوصول إلى بعض المعلومات السياسية والاجتماعية والإدارية والعسكرية وغيرها سواء في ما يتعلق بحوادث تلك الفترة وخاصة قضية الجهاد، أو في سلوك وتفكير وأعراف المجتمع العراقي آنذاك.

الوثيقة الأولى

وهي رسالة من شعلان العطية الدخيل إلى السيد محمد كاظم اليزدي يستفسر فيها عن صحة فتواه بوجوب الدفاع للحفاظ على بيضة الإسلام، جاء فيها:

«بعد تقبيل أنامل حجة الإسلام ومؤيد شريعة جده سيد الأنام

قدوة العلماء ونخبة الفقهاء حضرة حجة الإسلام كاظم دام ظله.

أما بعد يا مولاي فقد اجتمعت جميع عشاير (عشائر) عفك، دغارة، اجبور، وكافة لواء الديوانية إلى بغداد، من المحقق عندنا برضا منا ورغبة وفيهم تمام القوة والرهبة لما تحقق هتك الأعراض من الكافرين وهجومهم على بيضة الإسلام، لكن مولاي بعض الجهلة يكولون (يقولون أن) السيد ما وجب (لم يوجب) الدفاع

ينافي (هكذا) من الحكومة وأعطى فتوى. فالرجاء أن تكتب لنا فتوى مؤكدة لفتواك، والمسلمين بعونه تعالى قابلين لدفع الكافر بأهون ما يكون، ولكن يردون (يريدون) إمدادك وكتاباتك ونحن قد تجاسرنا. نرجو المسامحة والله أرحم الراحمين. وسيد علي الحلي مدة شهر عندنا شاف (رأى) بعينه اجتماع الخلق يفيدكم شفاء والسلام[1].

الخادم شعلان العطية الدخيل
١ ذو الحجة ١٣٣٣»

تحليل الوثيقة الأولى

١ ـ تتضمن الوثيقة سؤالاً من رئيس عشيرة هو شعلان العطية إلى اليزدي يطلب فيه تأكيداً حول صحة صدور فتواه بالجهاد.

٢ ـ يمثل السؤال حجم القلق بين رجال العشائر العراقية. فهم مترددون من عمل أي شيء من دون فتوى أو أمر من المرجعية الدينية، وحتى في أمر خطير مثل مهاجمة القوات الغازية لأرضهم. ويوضح ذلك أهمية الدور الذي تلعبه المرجعية في المجتمع العراقي، وتأثيرها الكبير في مختلف فئاته ومنها العشائر والقبائل. كما يشير ذلك إلى اهتمام العشائر العراقية بمسألة انطباق عملهم مع الشريعة.

٣ ـ إن تاريخ الرسالة قد يضلل الباحث. فإذا كانت الرسالة حقاً قد صدرت في الأول من ذي الحجة ١٣٣٣ كما نقلت ذلك المصادر العربية، يصادف ذلك في ١٠/ ١٠/ ١٩١٥. وهذا يعني أن الرسالة قد صدرت بعد عام من الغزو البريطاني الذي حصل في ٦/ ١١/ ١٩١٤.

---

(١) حسن شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ٢ ج (بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠)، ص ٤١٦.

ولا معنى لهذا السؤال في الوقت الذي احتلت فيه القوات البريطانية نصف جنوب العراق.

٤ ـ ولو كان التاريخ صحيحاً فمعنى ذلك أن السائل يستفسر عن فتوى صدرت قبل عام، وانتشرت في أنحاء العراق وخارجه، وعرف بها القاصي والداني، فكيف لم يعرف بها شيخ العشيرة هذا؟ وهذا ما لا يمكن قبوله.

٥ ـ إذا كان الخطأ قد حدث في تاريخ السنة أي إنه في الأول من ذي الحجة ١٣٣٢ بدلاً من ١٣٣٣، فهذا التاريخ يوافق ٢١/ ١٠/ ١٩١٤. ومعنى ذلك أن الرسالة والفتوى قد صدرتا قبل احتلال الفاو والبصرة، في حين أن النص يتحدث بوضوح عن هجوم قد حصل فعلاً (لمّا تحقق هتك الأعراض من الكافرين وهجومهم على بيضة الإسلام).

٦ ـ أعتقد أن الخطأ قد حدث بحذف قسم من العدد الذي يذكر اليوم، لأن احتمال الخطأ أو النسيان في العدد أسهل من الحروف. فبدلاً من الأول ويكتب الرقم (١) من ذي الحجة، كان ١٨ أو ١٩ ذي الحجة ١٣٣٢ الذي يوافق ٩ أو ١٠/ ١١/ ١٩١٤ أي بعد الغزو بعدة أيام.

٧ ـ إن الرسالة تتحدث عن تناقل خبر الهجوم البريطاني، وإن السيد اليزدي قد أصدر فتوى بالجهاد. من المعلوم أن البرقية التي أخبرت العراقيين بالهجوم البريطاني قد انتشرت بتاريخ ٩/ ١١/ ١٩١٤، فمن الممكن أن يكون الشيخ شعلان قد استفسر عن الفتوى في اليوم نفسه أو في اليوم التالي (١٠/ ١١/ ١٩١٤).

٨ ـ تضمنت الرسالة أسماء عشائر أخرى، وكذلك المقيمة في المنطقة بين لواء الديوانية إلى بغداد الذين اجتمعوا وقرروا الكتابة إلى اليزدي للاستفسار عن صحة صدور الفتوى.

٩ ـ تؤكد الرسالة استعداد العشائر لمحاربة القوات الغازية. كما تفيد بوجود عناصر مثبطة تنفي صدور الفتوى بالدفاع عن البلاد، لكن الرسالة لم تذكر من هم، بل وصفتهم بالجهلة.

١٠ ـ تؤكد الرسالة أن (سيد علي الحلي) قد حضر الاجتماع وشهد بعينه قرار العشائر بالاستعداد للجهاد وتلبية أمر السيد اليزدي. ولم تذكر الرسالة صفة هذا الشاهد، ولكن ربما كان مندوب المرجعية، أو أحد طلبة الحوزة كان يزور العشائر وبقي عندها لمدة شهر، كما تذكر الرسالة.

الوثيقة الثانية

وهي رسالة جوابية من السيد اليزدي إلى الشيخ شعلان العطية، يؤكد فيها فتواه بإعلان الجهاد. وقد وجهها إلى عموم أهالي عفك، وهي إحدى العشائر الوارد ذكرها في رسالة الشيخ شعلان. وقد جاء في الرسالة:

«إلى كافة إخواننا المؤمنين الموحدين من أهالي عفك[٢]

لا يخفى عليكم تحقق هجوم الكفرة على ثغور المسلمين، فانفروا كما قال الله خفافاً وثقالاً، ولألفينكم كما يقول عزّ من قائل أشداء على الكفار رحماء بينهم، فانهضوا بتوفيق الله إلى جهاد عدوّكم وعدوّ نبيكم. وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة. فقد أعلنّا بوجوب الدفاع عن حوزة المسلمين وبيضة الدين. وقد فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي»

---

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٧.

تحليل الوثيقة الثانية

١ ـ تتضمن الرسالة تأكيد السيد اليزدي بنفسه فتوى الجهاد حيث يستنهضهم إلى (جهاد عدوكم وعدو نبيكم).

٢ ـ استخدم اليزدي آيات قرانية ذات علاقة مباشرة بالقتال من خلال النفرة للجهاد وإعداد القوة اللازمة له، وضرورة رص الصفوف ليكونوا أشداء على العدو ورحماء فيما بينهم، وأن للمقاتلين منهم أجراً كبيراً، خاصة وأن أبناء تلك العشائر قد أبدوا استعدادهم الكامل للمشاركة في الجهاد، وأنهم ينتظرون إشارته.

٣ ـ يصف اليزدي الجهاد بأنه دفاعي حين يفتي (بوجوب الدفاع) عن العراق (بيضة المسلمين) وعن الإسلام (بيضة الدين).

٤ ـ وصف اليزدي الطرف المهاجم بأنهم (كفرة) ويقصد بهم القوات البريطانية. وهنا يحدد التوصيف الشرعي لأنهم كفار ومحاربون نزلوا الفاو (ثغور العراق).

٥ ـ لم يذكر تاريخ الرسالة، ولكن من المعتقد، وكما ناقشنا ذلك آنفاً، أنها كتبت في ذي الحجة ١٣٣٢ أي بعد ١٠/١١/١٩١٤ بيوم أو يومين وهو الزمن اللازم عادة لإرسال الرسالة إلى النجف الأشرف ثم العودة بالجواب إلى الديوانية المجاورة.

٦ ـ كتبت الرسالة في النجف الأشرف حيث يقيم اليزدي. واستخدم اليزدي لقبه النسبي ولم يستخدم لقبه الذي اشتهر به وهو الانتساب إلى مدينة يزد الإيرانية.

الوثيقة الثالثة

وهي رسالة بعثها السيد اليزدي إلى وكيله في الكوفة السيد علي القزويني يبلغه بفتواه تحريرياً ويأمره بإبلاغ العشائر القريبة بها ويأمرهم بالالتحاق بالجهاد.

«السيد المعظم جناب السيد علي القزويني المكرم[٣]

أدام الله تعالى توفيقك. قد شاع وذاع فتوانا بوجوب الدفاع عند مهاجمة الكفار على بلاد المسلمين. وحيث إن العدو قد قرُبَ وصار الأمر في غاية الشدة، وعظم البلاء، فاللازم على كل واحد الاهتمام في دفع هذه الملمّة، والسعي في حفظ بيضة الإسلام، كل شخص بحسب حاله وتمكنه ـ إلى المدافعة. وإن لم يكن من أهله أو إن كان ـ من عذر من ـ لاستنهاض العشاير ووعظهم ونصيحتهم وتهييجهم. وعلى جنابك الاهتمام في تبليغ ما ذكرناه. فحفظ الإسلام واجب على كل واحد بأي وجه يمكن، والنصر من الله تعالى إن شاء الله.

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة الثالثة

١ ـ لا يذكر تاريخ الرسالة، لكن من مضمونها يمكن القول إنها ربما صدرت في وقت اقتربت فيه القوات البريطانية من الأراضي العراقية، أو يقصد تقدمها داخل الأراضي العراقية من البصرة وأنها قد اقتربت من النجف متوجهة إلى بغداد شمالاً، مروراً بمناطق الفرات الأوسط حيث تقع الكوفة (محل إقامة الوكيل) والنجف (محل إقامة اليزدي). من المرجح أن تكون صدرت في منتصف عام ١٩١٥ أي بعد خسارة العراقيين أمام البريطانيين في معركة الروطة ثم الشعيبة في نيسان/ أبريل ١٩١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

٢ ـ إن الكوفة تبعد عن النجف مسافة عشرة كيلومترات، فهل يعني ذلك أن العشائر القريبة من النجف العاصمة الدينية المقدسة للشيعة لم يسمعوا بعد بالفتوى؟

٣ ـ يصف اليزدي الوضع العام بأنه في (غاية الشدة، وعظم البلاء) وهذا يوضح حراجة الموقف العسكري للمجاهدين العراقيين. الأمر الذي جعل اليزدي يؤكد وجوب المشاركة في القتال على (كل شخص بحسب حاله وتمكّنه).

٤ ـ يشدّد اليزدي على وكيله أهمية تبليغ العشائر وإيصال فتواه بالجهاد إلى كل بيت ومزرعة وريف، لأن وسائل الاتصال كانت ضعيفة وتعتمد على التحرك الشخصي وإرسال المبعوثين إلى العشائر.

٥ ـ يشدّد السيد على ضرورة قيام وكيله بوعظ ونصيحة وتهييج أبناء العشائر. وهذا يشير إلى عدم وجود حماسة كافية، أو فتورها، تجاه حركة الجهاد، ربما بعد حدوث هزائم متكررة للمجاهدين بسبب الفارق النوعي والكمي بين الجيش البريطاني المدرب جيداً وبقيادة ضباط مهرة، والمسلح بأحدث الأسلحة والمدافع والطائرات والقنابل، وبين قوات المجاهدين التي كان تسليحها ضعيفاً كما إنها غير مدربة على خوض المعارك العسكرية، بل حروب العصابات من الكر والفر.

٦ ـ يؤكد اليزدي فتواه بالجهاد (فحفظ الإسلام واجب على كل واحد بأي وجه يمكن)، أي إن الحالة وصلت إلى حد اعتبار الجهاد واجباً عينياً، أي لم يستثنِ أحداً.

٧ ـ يدرك اليزدي أهمية فتواه وتأثيرها في تعبئة الناس، ولذلك حرص على إبلاغ الناس بها كي يجري تحشيدهم للقتال.

الوثيقة الرابعة

رسالة من السيد اليزدي إلى أهالي الشطرة وعشائرها، يؤكد فيها برقياته وأوامره السابقة إليهم بوجوب الجهاد، جاء فيها:

«السلام على كافة إخواننا في الشطرة وفيما حولها ورحمة الله وبركاته[٤]

غير خفي عليكم أنّا أبرقنا غير مرة لكم ولغيركم، وكتبنا حتى كَلَّ القلم، وشافهنا حتى اضطرب اللسان حثاً على الدفاع، وإلزاماً بحفظ الثغر المهاجَم. وأقول الآن عوداً على بدء، يجب عليكم الدفاع وحفظ بيضة الإسلام. فبأي عذر بعد اليوم تعتذرون، و﴿**اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلّا وأنتم مسلمون**﴾[٥].

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة الرابعة

١ ـ الرسالة تخاطب أهالي الشطرة والعشائر المحيطة بها. وهي بلدة تقع على بعد ٤٠ كم شمال مدينة الناصرية في جنوب العراق.

٢ ـ نبرة التقريع واضحة في الرسالة وتعبّر عن تأسف السيد اليزدي من عدم استجابة أهالي الشطرة إلى نداءاته المتكررة بوجوب الالتحاق بحركة الجهاد. فقد وصف اليزدي كثرة رسائله إليهم حتى عجز القلم عن الكتابة. وأرسل لهم رسائل شفهية عن طريق ممثليه أو

---

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢١ وسليم الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠** (بيروت: دار الغدير، ١٩٩٥)، ص ٨٧.

(٥) **القرآن الكريم**، «سورة آل عمران،» الآية ١٠٢.

من يزوره من أهالي تلك المنطقة، (حتى اضطرب اللسان) من الكلام والتشجيع على المبادرة إلى القتال.

٣ ـ بلغ تأثر اليزدي من موقف أهالي الشطرة اللامبالي بالحرب الدائرة قربهم إلى حدّ اللوم بقوله (بأي عذر بعد اليوم تعتذرون) ثم يحذّر من أنهم قد بلغوا إلى حد الكفر عندما يقول ﴿**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾، أي إن لم تشاركوا في الجهاد فربما تكونون قد خرجتم من الإسلام.

٤ ـ توضح الرسالة مدى قلق المرجعية الدينية من عدم سير الأمور وفق ما كانت تخطط له، وهو ضرورة تحشيد قوات العشائر إلى جانب القوات التركية لمواجهة القوات الغازية. كما إن لهجة اليزدي الحادّة تعبر عن الوضع النفسي والسياسي والعسكري الحرج لقيادة حركة الجهاد.

٥ ـ الرسالة غير مؤرخة، ولكن من خلال سياق الكلام يبدو أنها كتبت قبل احتلال البصرة لأن اليزدي يصفها بـ (الثغر المهاجَم) أي أنها كانت تتعرض للهجوم، في حين أن الحدود التي تعرضت للهجوم هي ميناء الفاو. إن تعبير (الثغر) أو الفم هو مصطلح ما زال مستخدماً للتعبير عن القرى والمدن الحدودية وجمعها (ثغور). كما تطلق في العراق على الفاو والبصرة باعتبارهما تحاذيان الحدود البحرية للعراق. وهذا يعني أن الرسالة ربما كتبت بعد ٦/ ١١/ ١٩١٤ وهو تاريخ احتلال القوات البريطانية لميناء الفاو.

الوثيقة الخامسة

رسالة من السيد اليزدي إلى الشيخ خيّون العبيد رئيس عشائر العبودة في الناصرية يخبره فيها بفتواه بالجهاد ويأمره بالتوجه وعشيرته إلى البصرة، وجاء فيها:

«ذو الرشاد المتكاثر والعقل الوافر ولدنا الأغر خيون[٦]

أدام الله عزته وأجزل توفيقه وكرامته

وبعد فقد بلغك كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين وإحاطتهم بالبصرة ﴿**يريدون** ليطفئوا (الصحيح: **أن يطفئوا**) **نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره**﴾[٧]. وحيث كان الأمر كذلك فإني ألزمك وأوجب عليك أن تتوجه أنت مع جميع المسلمين الذين هم طوع أمرك إلى البصرة لسد ثغرها ودفع الكفرة الحافيِّن بها، فإن ذلك واجب عليك من الله تعالى وعلى كل من بلغه كلامي ممن يتمكن من شد الرحال إلى البصرة بماله ونفسه وخيله وسلاحه ورجاله. وليس لمسلم متمكن من ذلك عذر. والحكومة وساير المسلمين في هذا اليوم سواء في وجوب الدفاع وحفظ بيضة الإسلام. وبلوغ الأجر فيما هنالك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة الخامسة

١ ـ ورد خطأ في الآية الكريمة (التوبة: ٣٢) المذكورة أعلاه حيث جرى خلط بينها وبين آية أخرى مشابهة هي ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون**﴾[٨]. وهذا أمر بعيد صدوره من مرجع ديني كبير، ولكن ربما حدث خطأ من قبل كاتب الرسالة أثناء استنساخها.

٢ ـ يكرر اليزدي رأيه ويشدّد على «هجوم الكفار» الذي يمثل

(٦) الحسني، المصدر نفسه، ص ٨٩، وشبر، المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(٧) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٣٢.

(٨) المصدر نفسه، «سورة الصف،» الآية ٨.

محور حركة الجهاد التي دعا إليها. كما يجب أن يكون الدافع الأساسي لأي مسلم حريص على دينه ووطنه.

٣ ـ صدرت الرسالة قبل سقوط البصرة بأيدي القوات البريطانية في ٢٢/ ١١/ ١٩١٤ لأن اليزدي يذكر بوضوح أن البصرة ما زالت محاطة من قبل القوات الغازية، لذلك فهو يطمح إلى فك الحصار عنها من خلال إرسال ما يمكن من قوات المجاهدين من أبناء العشائر، وبأسرع وقت لإنقاذ المدينة المحاصرة (ودفع الكفرة الحافيّن بها).

٤ ـ يعطي اليزدي أمره الصريح إلى الشيخ خيّون العبيد مع أفراد عشيرته (مع جميع المسلمين الذين هم طوع أمرك). وهذا الأمر يعتبر واجباً عينياً على الشيخ المذكور وأفراد عشيرته، أي إذا تخلفوا عنه فقد اقترفوا إثماً بعدم طاعة الحاكم الشرعي أو نائب الإمام. لقد استخدم اليزدي عبارات قوية ومباشرة وصريحة مثل (فإني ألزمك) و(أوجب عليك) و(ذلك واجب عليك).

٥ ـ بدأ اليزدي رسالته بالمدح والإطراء للشيخ عسى أن يثير فيه العزة والكبرياء وعدم التغافل عن واجب شرعي وديني ووطني. علماً بأن هذا المدح صادر من أعلى سلطة دينية وهي المرجعية الشيعية. وهي شهادة يعتز ويفخر بها أي فرد شيعي، ووسام يعلّقه على صدره، لكن الشيخ خيون، على ما يبدو، لم يستجب لكل تلك المحاولات التي بذلها اليزدي لحثه على الجهاد.

٦ ـ لم يكتفِ اليزدي بإبلاغ الشيخ خيّون وأتباعه، لكنه أمر بالتحرك للجهاد كل من سمع بهذه الرسالة وعرف مضمونها (وعلى كل من بلغه كلامي يتمكن من شد الرحال إلى البصرة). وهذا يشير إلى رغبة اليزدي في إبلاغ فتواه إلى أوسع شريحة من العشائر العراقية، ولكي لا يكون لأحد عذر في التخلف عن حركة الجهاد.

٧ ـ يأمر اليزدي أفراد وشيوخ العشائر أن يجهزوا أنفسهم بأنفسهم، أي يقوم كل من ينخرط في الجهاد أن يوفّر لنفسه سلاحه وخيله وماله. وهذا طبيعي حيث إن قوات العشائر ليست وحدات عسكرية تتلقى تجهيزاتها ورواتبها من الدولة كما هو الحال في الجيوش الحكومية. من جانب آخر يوضح ذلك أن الحكومة التركية التي يُقتل المجاهدون إلى جانبها لم تجهزهم بالسلاح والعتاد والخيل وغيره، رغم أنهم تطوعوا للقتال معها ضد الإنكليز.

٨ ـ استخدم اليزدي كلمة «الحكومة» في قوله (والحكومة وساير المسلمين في هذا اليوم سواء) ويقصد بها الحكومة العثمانية الحاكمة للعراق آنذاك. ورغم ما لقي العراقيون من العثمانيين لكن اليزدي آثر العمل وفق ما يتطلبه منه الموقف الشرعي وهو الدفاع عن البلاد وعن الإسلام.

الوثيقة السادسة

وهي رسالة من السيد اليزدي إلى الشيخ خيّون العبيد يأمره فيها بتجهيز عشيرته وتسليحها لمحاربة الإنكليز، جاء فيها:

«جناب الأفخم خيّون العبيد حرسه الله تعالى[٩]

بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته

يقيناً بلغك كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين، وإحاطتهم بالبصرة (**يريدون** ليطفئوا [الصحيح: **أن يطفئوا**] **نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره** المشركون [الصحيح: **الكافرون**]). وحيث إن الأمر كذلك، فلا يجوز لك أن تشغل نفسك

(٩) الحسني، المصدر نفسه، ص ٩٠، وشبر، المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

بغير مدافعة الكافرين. فإن الواجب عليك وعلى كل من بلغه فتوانا من وجوب الدفاع على المتمكنين من المسلمين عند مهاجمتهم الكفار على بلاد الإسلام أن تشد رحلك إلى حفظ ذلك الثغر، ولا يسوغ التقاعد عن نصرة الإسلام والمسلمين.

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة السادسة

١ ـ من المؤسف أن يتكرر الخطأ في ذكر الآيات القرآنية حيث يحدث الاشتباه عادة اعتماداً على الحفظ غير الدقيق لدى كاتب النص.

٢ ـ من الواضح أن هذه الرسالة والتي قبلها قد صدرتا في وقت متقارب، وهو قبل ٢٢/١١/١٩١٤ وهو يوم احتلال مدينة البصرة من قبل القوات البريطانية، لأن النص يذكر أن الكفار ما زالوا يحيطون بالمدينة (وإحاطتهم بالبصرة).

٣ ـ يوجه السيد اليزدي خطابه إلى الشيخ خيّون مبتدئاً بعبارات التفخيم والتوقير من أجل كسب وده وتوظيف ذلك بهدف خدمة الجهاد والدفاع عن العراق. لكن من سياق النص يبدو أن اليزدي قد خاطبه من قبل دون أن يجد استجابة مناسبة منه.

٤ ـ يحاول اليزدي جهده لإقناع الشيخ المتقاعس عن الجهاد، إذ يبلّغه الحكم الشرعي بعدم جواز التشاغل عن محاربة الغازين، ويوجب عليه شخصياً أن يبادر فوراً إلى الالتحاق بكتائب المجاهدين التي يقودها علماء الشيعة، وأن يحارب معهم وتحت رايتهم، وأن يتوجه إلى البصرة.

٥ ـ تتضمن الرسالة نص الفتوى بشكل موجز حيث يوجب على

جميع المسلمين (من وجوب الدفاع)، أي الجهاد الدفاعي. كما يصدر اليزدي أمره للشيخ خيّون ولكل من بلغه كلامه بشد الرحال إلى البصرة (ولا يسوغ التقاعد عن نصرة الإسلام والمسلمين).

الوثيقة السابعة

وهي رسالة أرسلها السيد كاظم اليزدي إلى الشيخ كاطع آل بطي رئيس عشيرة الإزيرج في الناصرية، يخبره فيها بفتواه، ويطلب منه التحرك مع عشيرته نحو البصرة، جاء فيها:

ذو العز المنيع والمجد الرفيع والفضل الجلي كاطع آل بطي[(١٠)]

أدام الله عزته وأجزل توفيقه وكرامته

وبعد فقد بلغنا أن (الشيخ) خيّون غير موافق للحكومة، والحكومة في هذا اليوم وساير المسلمين سواء في وجوب دفاع الكفار لأنه يجب على كل مسلم متمكن حفظ بيضة الإسلام ودفاع الكفار الهاجمين على المسلمين. فاللازم عليك من قبلنا أن تمنعه من مخالفة الحكومة، وتلزمه مع أصحابه والجمع الذي تحت يده أن يتوجه إلى البصرة لحماية ثغرها ودفع الكفرة المحيطين بها، فإني أوجبت عليكم ذلك. كما أني أوجب عليك أن تتوجه مع جمعك وأصحابك إلى البصرة لسد ثغرها ورد الكفرة عنها. فإن لكم بذلك الأجر الجزيل والثواب الجميل من الله العزيز الجليل وليس لكم ولا لكل مسلم متمكن من ذلك عذر عند الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي»

(١٠) المصدران نفسهما، ص ٩٢ و٤٢٣ على التوالي.

تحليل الوثيقة السابعة

١ ـ يبدأ السيد اليزدي رسالته باستخدام عبارات التبجيل والتوقير بهدف إظهار احترام المرجعية الشيعية له، وأنها تتوقع منه الكثير لخدمة بلده ودينه.

٢ ـ هذه محاولة أخرى من سعي السيد كاظم اليزدي في استنهاض شيوخ العشائر ورؤساء القبائل من أجل دعم حركة الجهاد. إذ إن الشيخ المخاطب كان يعدّ واحداً من الزعامات العشائرية المعروفة في الناصرية، جنوب العراق.

٣ ـ يطلب اليزدي من الشيخ كاطع أن يستخدم نفوذه للتأثير في موقف زعيم عشائري آخر في منطقته نفسها، وهو الشيخ خيّون العبيد، الذي أرسل إليه اليزدي عدة كتب يحثه على المشاركة في الجهاد لكن من دون فائدة. وواضح أن اليزدي قد أيقن بتقاعس الشيخ خيّون، لذلك فهو يوسّط الشيخ كاطع للقيام بهذه المهمة، على اعتبار أنهما من شيوخ العشائر يعرف بعضهما أخلاق وأعراف ومزاج البعض الآخر.

٤ ـ هذه واحدة من الرسائل التي بعثها السيد اليزدي إلى بعض رؤساء العشائر المتنفذين لحثهم على الاتصال بالشيخ خيّون وإقناعه بالمشاركة في حركة الجهاد. فقد أرسل رسالة إلى الشيخ علي الفضل رئيس إحدى العشائر للغرض نفسه(١١).

٥ ـ يذكر اليزدي بأن الشيخ خيّون (غير موافق للحكومة) العثمانية. فهو بذلك يشير إلى قضية تتلخص في أن الشيخ خيّون كان يبرر قعوده بأنه كان قد استولى على كمية من الأسلحة من الأتراك، وهو لا يريد المشاركة في الحرب لأن الأتراك لو امتلكوا القوة فإنهم

---

(١١) شبر، المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

سينتقمون منه، فكتب إليه السيد اليزدي بأنه يضمن عدم تعرضه لسخط الأتراك(١٢). كما يؤكد اليزدي أن الظرف يمنع الشيخ خيّون من (مخالفة الحكومة) العثمانية في الوقت الحاضر حيث تتعرض فيه البلاد إلى تهديد خارجي يتمثل في الهجوم البريطاني على البصرة.

٦ ـ يبدو أن اليزدي كان متفائلاً بنجاح الوساطة حيث إنه يتوقع أن يغيّر الشيخ خيّون موقفه ويلبي نداء المرجعية، ويتوجه هو (وأصحابه والجمع الذي تحت يده) إلى البصرة. إن لشيوخ العشائر مصالحهم الخاصة وطموحاتهم الشخصية، وليس بالضرورة أن تنسجم مع مطالب المرجعية التي يكنّون لها الاحترام.

٧ ـ يطلب اليزدي من الشيخ كاطع أيضاً أن يتوجه مع أفراد عشيرته من المقاتلين إلى البصرة (لرد الكفرة عنها). ولا نعلم هل لبى ذلك الشيخ نداء المرجعية أم لا.

٨ ـ الوثيقة غير مؤرخة لكنها بالتأكيد قبل ٢٢/ ١١/ ١٩١٤ وهو تاريخ احتلال البصرة. إذ إن اليزدي يطلب من مخاطبه أن يتوجه فوراً (إلى البصرة لحماية ثغرها ودفع الكفرة المحيطين بها)، أي إن البصرة كانت محاصرة ولم تسقط بعد بأيدي القوات البريطانية الغازية.

الوثيقة الثامنة

وهي رسالة من السيد كاظم اليزدي إلى واحد من شيوخ عشائر الناصرية يطلب منهم منع الشيخ خيّون من الوقوف ضد مقاومة الإنكليز، كما يأمرهم بالالتحاق بصفوف المجاهدين، جاء فيها:

---

(١٢) يذكر أن اليزدي كتب إلى متصرف المنتفك يطلب منه العفو عن خيون، فاستجاب لطلبه. فكتب اليزدي لولده السيد محمد يطلب منه إبلاغ الشيخ خيّون بالعفو عنه من قبل الحكومة العثمانية. انظر: المصدر نفسه، ص ٤٢٧، والحسني، المصدر نفسه، ص ٩٣.

«بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته[١٣]

بلّغونا أن خيّون العبيد في مثل هذه الأيام، التي يقيناً بلغكم هجوم الكفر فيها على ثغر البصرة من بلاد الإسلام، قد أشغل نفسه بغير ما هو اللازم من مدافعة الكفار. وقد بلغكم فتوانا من وجوب الدفاع عند مهاجمتهم على المسلمين. فاللازم عليكم أن ترشدوه لما هو اللازم والأصح له ولغيره من حفظ بيضة الإسلام وسد ثغوره. وفقكم الله تعالى لكل خير وسعادة.

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة الثامنة

١ ـ لم تذكر الوثيقة اسم أو لقب الشخص الذي يخاطبه اليزدي، لكن من الواضح أنه من عشائر الناصرية والقريبين على الشيخ خيّون العبيد، وهو المعني في الرسالة.

٢ ـ يطلب اليزدي من المخاطب أن يسعى لإقناع الشيخ خيّون وإرشاده إلى أهمية المشاركة في الجهاد ومواجهة الخطر الذي يهدد العراق، وأن يترك حالة التشاغل واللامبالاة من الحرب الدائرة على بعد ٢٠٠ كيلومتر عن مضارب عشيرته، وأنها ستصله شاء أم أبى.

٣ ـ توضح الرسالة الموقف الداخلي المتعثر لحركة الجهاد حيث صار المرجع الديني والقائد الأعلى لحركة الجهاد يشغل نفسه بإقناع هذا الشيخ وذاك وحثهم على المشاركة في الجهاد ضد الجيش الأجنبي الغازي. كما تبين الرسالة حجم المعاناة التي كان يعانيها السيد اليزدي من مواقف بعض شيوخ العشائر المتوانين في دعم حركة الجهاد.

---

(١٣) شبر، المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

٤ ـ يؤكد السيد اليزدي فتوى الجهاد التي أصدرها سابقاً حيث يقول لمخاطبه (بلغكم فتوانا من وجوب الدفاع). وهذه النصوص تؤكد صدور الفتوى أولاً، كما تبين نوعها أي أنها تدعو للجهاد الدفاعي.

٥ ـ يستخدم السيد اليزدي بعض المفردات العربية لكن استخدامها يجري بطريقة فارسية، مثلاً كلمة «المدافعة» ويقصد بها الدفاع أو كمقابل لكلمة مهاجمة. إذ يستخدم الإيرانيون هذه المفردة بالضد من الهجوم. كما يستخدمون لفظة «دافعة» كمقابل لمفردة «جاذبة». علماً بأن كلمة «المدافعة» بالعربية تفيد معنى المماطلة، كما يقول الرازي في **مختار الصحاح**.

٦ ـ تفتقر الوثيقة إلى التاريخ لكن من سياق النص يبدو أنها صدرت بعد ٢٢/ ١١/ ١٩١٤ لأنها تتحدث عن (هجوم الكفر على ثغر البصرة) الذي لم يستغرق طويلاً.

الوثيقة التاسعة

وهي رسالة من السيد كاظم اليزدي إلى الشيخ خيّون العبيد رئيس عشائر العبودة في الناصرية يثني عليه ويبارك له التحاقه بحركة الجهاد، جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ذي العزة والمنعة والإباء والرفعة الأمجد الأكرم[١٤]

جناب الشيخ خيّون المكرم زيد توفيقه

لا زلت مؤيداً منصور، وقلب الشرع بك مسرور، بما أنت فيه من حياطة الإسلام وصيانة أعراض المسلمين، والمحافظة على

---

(١٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

الذمام، وحماية شريعة سيد المرسلين، تعطي السيف حقه جهاداً في سبيل الله، باذلاً نفسك طلباً لرضاه، مخلّداً لك الذكر الجميل في كل جيل وكل قبيل، آمين بمحمد صلى الله عليه وآله الطاهرين. وبعد،

فقد بلغني عنك ما هو المألوف فيك من الشيمة العربية والنهضة الإسلامية، شكر الله تعالى مساعيك، وشدد صولتك على الكافرين، وجعل من طلائعك الرعب والنصر لك قرين، فلعمري لقد نشطتني على المداومة لك بالدعوات، راجياً من الله تعالى أن يزهق بسيفك أرواح المشركين، ويطهّر تلك الصفحات. وها أنا بما أعد الله تعالى للمجاهدين من الخير أهنيك، وبرسم التقوية بالأكرمين عسكر وحط أغريك، فلك البقاء ولهما البشرى بالسعادة الأبدية والحياة السرمدية. والأمل أن تكون المبلغ كافة العشائر المشتركين في هذا الوجه الحسن، عين التشكر لتلك المساعي المشكورة والوثبات المأثورة، وأن تخصهم ونفسك بالتحية والسلام.

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة التاسعة

١ ـ يبدو أن جهود اليزدي قد أفلحت في إقناع الشيخ خيّون بالانخراط في صفوف المجاهدين. إذ إنه قد أرسل إليه رسائل ووسطاء، كما رأينا آنفاً، يحثونه على ترك موقف تجاهل حركة الجهاد، وضرورة أن ينسجم مع الحركة العامة للمرجعية الشيعية ولأبناء العشائر كافة.

٢ ـ يمكن الإشارة هنا إلى أن اليزدي سعى إلى تهدئة الأجواء المتوترة بين الشيخ خيّون والحكومة التركية بسبب قيام الشيخ خيّون بالاستيلاء على بعض الأسلحة التركية، مما أغضب السلطات

العثمانية عليه. وكان السيد محمد سعيد الحبوبي، أحد العلماء من قادة الجهاد، قد أرسل إلى خيّون يطلب حضوره إلى الناصرية، وهناك استحصل له من الحكومة عفواً عنه وعن أتباعه، الأمر الذي ساهم في عملية انخراطه في حركة الجهاد[١٥].

٣ ـ إضافة إلى ألقاب التوقير والاحترام في مطلع الرسالة، استخدم اليزدي عبارات الإطراء مستخدماً جملاً قصيرة وأحياناً مسجوعة، مما يوحي بالاهتمام بالرسالة والشخص المخاطب بها. كما يشير بوضوح إلى قدرة اليزدي وفصاحته وتمكنه من زمام اللغة العربية. ويؤكد هذا ما قيل عن اهتمام اليزدي بالأدب والبلاغة والشعر العربي. وربما استخدم من يكتب له من العلماء العرب، وربما أيضاً كان اليزدي هو الذي يملي على كاتب رسائله لأنه في تلك الفترة كان يبلغ ثلاثة وثمانين عاماً، أي أنه كان طاعناً في السن ولا يباشر الكتابة بيده.

٤ ـ استنهض السيد اليزدي الفارسي الأصل، المعاني الأصيلة في الشخصية العربية عندما وصف «الشيمة العربية» في شخصية الشيخ خيون، حين لامس مفاهيم الشجاعة والرجولة والبأس والعزة والسمعة الحسنة وصيانة الشرف والوطن. فقد استخدم عبارات مثل «المحافظة على الذمام» و«الصولة على الكافرين» و«جعل من طلائعك الرعب والنصر لك قرين» و«يزهق بسيفك أرواح المشركين» و«الوثبات المأثورة»، معرجاً على بقاء هذا الموقف المشهود والذكر المحمود في عشيرته وأولاده وأحفاده والأجيال القادمة حين تمنى له «الذكر الجميل في كل جيل وكل قبيل» و«لك البقاء».

٥ ـ استخدم اليزدي عبارات ذات مضامين إسلامية قوية سواء في

---

(١٥) الحسني، المصدر نفسه، ص ٩٣.

ما يتعلق بالجهاد وثوابه العظيم والسير في سبيل الله من أجل نيل الجنة من قبيل قوله «أعد الله تعالى للمجاهدين من الخير» و«تعطي السيف حقه جهاداً في سبيل الله» و«باذلاً نفسك لرضاه» و«شكر الله تعالى مساعيك» و«البشرى بالسعادة الأبدية والحياة السرمدية».

٦ ـ يعبّر اليزدي عن شعوره بالسعادة والغبطة تجاه تغيير الشيخ خيّون موقفه واستجابته لنداءات المرجعية الدينية، حين يذكر له أنه شخصياً كان يدعو الله تعالى له كثيراً بالتوفيق والتسديد، حيث يقول «فلعمري لقد نشطتني على المداومة لك بالدعوات» ثم يذكر مضمون تلك الدعوات.

٧ ـ لم ينسَ اليزدي التذكير بمواقف الشيخ خيّون السابقة حين كان يتشاغل عن حركة الجهاد، ويماطل في الاستجابة لكتب ورسل اليزدي إليه. فهو ـ أي اليزدي ـ يدعو الله تعالى أن «يطهر تلك الصفحات» من تاريخ الشيخ خيون.

٨ ـ استخدم اليزدي عبارات عربية محرَّفة مثل «التَشَكُّر» ويقصد بها الشكر. ولفظة «تشكر» بصيغة الاسم غير موجودة في العربية، بل كان الأتراك ولا يزالون يستخدمونها تعبيراً عن الشكر. نعم توجد لفظة تشكر بصيغة الفعل وتعطي نفس معنى «شكر»(١٦).

٩ ـ تفتقد الرسالة تاريخ صدورها، ولكن من المؤكد أنها بعد سقوط البصرة في ١٩١٤/١١/٢٢ لأن الوثائق تشير إلى أن موقف الشيخ خيّون كان متردداً أثناء حصار البصرة ثم بعد الهجوم عليها (راجع الوثيقتين السابعة والثامنة).

---

(١٦) لم يذكر الراغب الأصفهاني في كتابه **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. وأما محمد بن أبي بكر الرازي فقد ذكر في كتابه **مختار الصحاح** وكذلك صاحب **المنجد في اللغة** فقد ذكر لفظة (تشكر له) بصيغة الفعل ثم ذكر المعنى بأنه (شكر له).

الوثيقة العاشرة

وهي برقية جوابية على برقية بعث بها الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي من السماوة إلى السيد كاظم اليزدي يعلمه فيها بعدم موافقة الحكومة العثمانية في المدينة على قيام بعض أبناء العشائر المجاهدين ببيع قسم من ذخائرهم في السوق من أجل الاستفادة من مبالغها في تغطية نفقات السفر إلى جنوب العراق للدفاع عنه ضد القوات البريطانية. فكتب اليزدي هذه البرقية إلى متصرف لواء المنتفك ومقره في مدينة الناصرية، جاء فيها:

«ناصرية: لحضور....

وردتنا برقية من السماوة فيها أن السادة والرؤساء ومن يتبعهم من السائرين للدفاع وردوا السماوة. وحيث إنهم عاجزون عن مؤونة سفرهم، اضطروا لنقل بعض الذخائر معهم ليبيعوها بالسماوة، والحكومة منعتهم من بيعها. وقد طالبوا الحكومة في إعطاء رخصة بيعها وتأمين التجارة. فالمأمول إجابة مطلوبهم، وتسهيل السبيل لأمثالهم، فإنه أنجح وأصلح.

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة العاشرة

١ ـ البرقية تمثل خطاباً موجهاً إلى متصرف المنتفك ولم يذكر اسمه لكن من المرجح أن يكون اسمه (محمد حمزة) حيث ورد في برقية باسمه يجيب فيها على برقية اليزدي.

٢ ـ كان الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي أحد العلماء أو الوكلاء في مدينة السماوة قد أرسل إلى اليزدي برقية طلب فيها تدخل اليزدي لدى الحكومة العثمانية.

٣ ـ تمثل البرقية مؤشراً على طبيعة الاتصالات المتعددة الأطراف التي كانت المرجعية الدينية مشغولة بها أثناء حركة الجهاد. ففي هذه البرقية يخاطب السيد اليزدي متصرف لواء المنتفك (جنوب العراق)، الذي كان يمثّل أعلى سلطة إدارية عثمانية في اللواء المذكور. الأمر الذي يوضح وجود اتصالات مباشرة بين المرجعية والحكومة العثمانية. وهذا أمر طبيعي طالما أن المرجعية كانت تتبنى موقف الحكومة العثمانية في الدفاع عن العراق ومحاربة القوات البريطانية الغازية.

٤ ـ تتضمن الرسالة واحداً من الهموم الكثيرة التي كانت تحملها المرجعية الدينية. فهي لم تكتفِ بإصدار فتاوى الجهاد وتقعد ساكتة، بل كانت تواكب وتتابع تطورات الأوضاع في مختلف أنحاء العراق، وتراقب عملية دعم وإسناد حركة الجهاد، وتفعل ما تستطيع من مخاطبات وإرسال الرسل والوسطاء والممثلين، وجمع التبرعات وغيرها.

٥ ـ تتحدث البرقية عن جانب من جوانب النقص في الإمدادات والأموال اللازمة لتفعيل حركة الجهاد. فها هي جماعة من المجاهدين، لم تذكر البرقية مصدر قدومهم، لكن من المرجح أنهم قدموا من الفرات الأوسط أو بغداد في طريقهم إلى البصرة، لأن السماوة تتوسط الطريق بين بغداد والبصرة. لقد وصلوا إلى مدينة السماوة، ويبدو أنهم قد عجزوا عن تغطية نفقات سفرهم إلى البصرة، فتقطعت السبل بهم، مما اضطرهم إلى التفكير ببيع ذخائرهم التي حملوها معهم. وهذا مؤشر على ضعف الإمكانيات المادية للمرجعية التي لم تستطع دعمهم مادياً. كما إنه مؤشر على ضعف الإمكانات اللوجستية لصفوف المجاهدين. فلعلهم أرادوا السفر عبر السفن والقوارب النهرية التي تمخر الفرات باتجاه البصرة.

٦ ـ يتضح من البرقية أن الحكومة العثمانية كانت تقف موقفاً مناقضاً إن لم يكن عدائياً تجاه الشيعة. إذ كان يجب عليها توفير الإمكانات المادية أو دفع نفقات سفر المجاهدين العراقيين الذين يقاتلون إلى جانب الجنود العثمانيين، ويضحون بأنفسهم تاركين أهلهم ومدنهم وقراهم، بل ربما باعوا جزءاً مما كانوا يملكون لتغطية نفقات قسم من رحلة الجهاد نحو البصرة. كما إن الحكومة العثمانية منعتهم من بيع ذخائرهم الخاصة بهم، الأمر الذي دفع شيخ السماوة إلى إرسال برقية إلى السيد اليزدي في النجف الأشرف طالباً وساطته لتسهيل هذه المهمة.

٧ ـ يخاطب اليزدي ممثل الحكومة العثمانية في الناصرية شارحاً الوضع الصعب الذي يمر به المجاهدون من السادة الأشراف ورؤساء العشائر وأتباعهم في طريقهم إلى البصرة، وتوقفهم في السماوة. ويطلب اليزدي تسهيل أمر سفرهم لأنه (أنجح) لحركة الجهاد القائمة في الحرب المستعرة في الجنوب، و(أصلح) للحكومة العثمانية لأنهم يدافعون عنها أيضاً، ويفترض بها تقديم كل ما تستطيع من دعم وإمكانيات لهم.

٨ ـ لا يوجد تاريخ للبرقية، ولكن يرجح بأنها صدرت في منتصف كانون الأول ١٩١٤، إذ إن جواب المتصرف عليها جاء بتاريخ الثالث من صفر ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٤/١٢/٢١، حيث إن إرسال الرسالة وكتابة الجواب قد احتاجت بضعة أيام.

الوثيقة الحادية عشرة

وهي رسالة كتبها متصرف لواء المنتفك محمد حمزة إلى السيد كاظم اليزدي يعرب فيها عن استجابته لطلبه بتسهيل حركة

المجاهدين، ويخبره أيضاً عن تأثير فتواه في تعبئة الناس ضد القوات الغازية، جاء فيها:

إلى جناب الأجلّ الأمجد حضرة مولانا ومقتدانا خادم الشرع الشريف[17] فخر العلماء صاحب الفضيلة السيد كاظم اليزدي المحترم

وفّقه الله وحرسه وحماه بجاه البيت ومن بناه

بعد عرض واجبات الاحترام لدى أعتابكم الشريفة نالت أيدي التكريم والتعظيم كتابكم وأسرّنا خطابكم وللغاية صرنا ممنونين من عباراته الفائقة التي أثارت عواطف المحبة والاشتياق لمشاهدة حضرتكم، نسأله عزّوجلّ أن يمنّ علينا بشرف ملاقاتكم التي هيه (هي) أخص آمالنا، تذكر ومنطرف (من جهة) (الـ)ذخائر التي وضعت عليها اليد بصورة تكاليف الحربية (العسكرية) فأمركم مطاع وإنفاذه من الواجبات، إلّا أن (الـ)ذخائر المذكورة بزمان أسلافنا وضع عليها اليد، نرجو من فضيلتكم المسامحة، ومع ما فيه نسعى على عدم أخذها.

وأما منطرف (من طرف) مسائل الجهادية (حركة الجهاد) فالحمد لله قبل كم يوم تحركو (تحرك) مقدار تسعة آلاف مجاهد من مركز اللواء وألفين خيّال (فارس) إلى مناطق الحربية (الحرب). والعشائر بكمال الشوق والسرور لا زالو(ا) يتواردو(ن) علينا من كل فجّ عميق، وسنلحقهم إلى المحالّ اللازمة (المناطق المطلوبة) وذلك من ثمرة أنفاسكم الطاهرة، ومن تأثير فتاويكم (فتاواكم) الشريفة التي انتشرت وتبلغة (بلغت) (ا)لعالم الإسلامي، وافتهمنا (فهمنا) من أنباء البرقية الواردة أن قضاء القورنة (القرنة) سيرد من قبل عساكرنا المنصورة والمجاهدين. فنرجو دوام دعائكم

---

(١٧) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

المستجاب ونسئله (نسأله) عزّ وجلّ أن يكثر أمثالكم، ويطيل عمركم، ويجعلكم حجة للإسلام، ورحمة الله وبركة، وعمركم باقي (باقٍ) سيدي ومولاي.

٣ ربيع الأول ١٣٣٣
متصرف لواء المنتفك

تحليل الوثيقة الحادية عشرة

١ ـ استخدم متصرف المنتفك عبارات التفخيم والتعظيم في مخاطبة السيد اليزدي. وهذا يشير إلى لغة دبلوماسية رفيعة تحاول إبقاء مواقف السيد اليزدي إلى جانب الحكومة العثمانية في وقت هي بحاجة إلى كل حليف داخلي وخارجي، وخاصة في منزلة اليزدي الذي يحتل موقع المرجع الأعلى للشيعة.

٢ ـ أبدى استجابته الصريحة لطلب اليزدي في رسالته السابقة بصدد الإفراج عن الذخائر التي صادرتها الحكومة العثمانية والعائدة للسادة ورؤساء العشائر في السماوة. فقد خاطبه بأن (أمركم مطاع وإنفاذه من الواجبات). وهذا يُعدّ تواضعاً جمّاً من قبل أعلى سلطة إدارية في لواء المنتفك.

٣ ـ توضّح رسالة المتصرف أن الذخائر كانت مصادرة من قبل الحكومة لأسباب عسكرية، أي إنها بحاجة إليها، ولم ترد دفع ثمنها، أي أخذتها من المجاهدين عنوة وغصباً. وهذا ما لا يليق بدولة تحترم حلفاءها من المجاهدين العراقيين. من جانب آخر كان تفسير الشيخ عبد الرضا من السماوة أن الحكومة العثمانية في السماوة قد منعت بيع الذخائر في السوق، ولم يقل إنها صودرت وانتزعت من أيدي المجاهدين.

٤ ـ في الوقت الذي يفرج المتصرف عن الشحنة المصادرة من قبل ضباطه وموظفيه، يعتذر عن الإفراج عن الذخائر التي صادرها المتصرفون السابقون، ويطلب من السيد اليزدي أن يسامحه في عدم إمكانية استردادها. ويبدو أن مصادرة الذخائر وربما الأسلحة كان أمراً معمولاً به في العهد العثماني، ربما لأسباب أمنية.

٥ ـ وبهدف توجيه نظر المرجعية الشيعية إلى قضية أكثر التصاقاً باهتمامها، يتحدث المتصرف عن حجم القوات العراقية (٩ آلاف راجل وألفي فارس) من أبناء العشائر. وهذا مؤشر على عمق الاستجابة التي أبداها رجال العشائر لنداءات المرجعية الشيعية التي يتزعمها السيد اليزدي. كما يشير إلى أن تأثير الفتوى قد بلغ العالم الإسلامي.

٦ ـ يحاول المتصرف زرع الأمل في سير العمليات العسكرية التي كانت تشهد هزائم للقوات التركية والعراقية معاً. فهو يشير إلى برقية قادمة من الجبهة العثمانية في قضاء القرنة الذي سقط بأيدي القوات البريطانية، بأن القوات التركية وقوات المجاهدين ستستعيد القضاء. وهذا أمر طبيعي تقوم به القيادة العسكرية في شحذ الهمم وبث الأمل بالنصر.

٧ ـ وكأي وثيقة رسمية، يذكر المتصرف تاريخ كتابة الرسالة حيث يشير إلى الثالث من ربيع الأول عام ١٣٣٣ والموافق ١٩ كانون الثاني ١٩١٥. وهو تاريخ يتوافق مع تاريخ الهجوم الذي شنه البريطانيون على موقع الروطة الواقع على بعد ١٥ كم شمال القرنة وذلك في ٢٠/١/١٩١٥[١٨].

---

(١٨) المصدر نفسه، ص ٩٩.

الوثيقة الثانية عشرة

وهي رسالة من السيد كاظم اليزدي إلى والي بغداد يخبره فيها بإصدار فتواه بالجهاد ضد القوات البريطانية، وبإرسال ولده السيد محمد إلى ساحة الحرب، جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله وصحبه الراشدين

لحضور والي ولاية بغداد وقمندان فيلق العراق الفخم، ثم إلى جميع أمرائه الظافرة وجنوده القاهرة وعساكره المنصورة، وإلى عامة المسلمين في نواحي العراق ومَن في ثغوره أعزهم الله جميعاً بالنصر والتمكين والظفر على أعداء الله، خذلهم الله، التسليمات والتحيات المباركة الحسنى تغدو وتروح عليكم بالنصر والسكينة والثبات والطمأنينة، سلام حرب عليكم ضارع إلى الله سبحانه في دفع اللواء عنكم وحراسة الإسلام بكم، فإنه جلّ شأنه خليفتي عليكم وأنتم وديعتي عنده وكفى به حفيظاً وحسيباً وكافياً ونصيراً.

وبعد،

فإنه لمّا دهم الخطب واستفحل البلاء وأعضلت النازلة على ثغور الإسلام والمسلمين، وكان من أهم الواجبات وأعظم شرايع الدين أن ينهض كل مسلم متمكن للدفاع عنه حسب مقدوره. ولا يسوغ لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يتوانى عنه أو يتقاعس دونه، ألا وإني رغبة إلى الله جل شأنه وابتغاءً لمرضاته وحرصاً على الدفاع عن دينه الأقدس وناموسه الأعظم قد قدمت إليكم أعز ما عندي وأنفس ما لديّ ولدي وفلذة كبدي السيد محمد سلمه الله تعالى، آثرتكم به مع مسيس حاجتي له وشدة عوزي إليه.

فإنه أدام الله حراسته على ما له عندي من علاقة الأبوة ومكانة البنوة قد بلغ مراتب الجد والاجتهاد، وسوامي منازل العلم والفضيلة إلى المقام الذي يستغني ولا يُستغنى عنه، ويستقيل ولا يُستقال دونه. وفوق ما هنالك ومع تسامق عرفانه وصلاح على تقى، أسس بنيانه وحصافة عقل أحكمت معاقله، واستكملت منازله.

ولما استنهضته للقيام بأعباء هذه المهمة، والسعي عني للمساعدة في دفع هذه الملمّة، تلقاها برحيب صدر، وثابت قلب، وركين حلم. فأرسلته إليكم داعياً إلى الله ورسوله، آخذاً بحجزة الناس إلى اتباع سبيل رضوانه وسلوك سبيل جنانه. وليبلغ عني ما يلزم إعلانه، ويهمّ بيانه، حفاظاً لله على دينه، ويدفع لأعدائه. وإلى الله أرغب ضارعاً إليه في أن ينفع به الإسلام والمسلمين، ويدفع به كما دفع بأجداده كيد الكافرين.

ألا وإن وصيتي إليكم وعهدي لكم هو ما عهده الله سبحانه إلى عباده أن تخلصوا إلى الله في نياتكم، وتصلحوا طوياتكم، وأن تتظاهروا في مواقفكم كلها بشعاير الإسلام وشرايعه المقدسة على نهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. شعاركم التكبير والتهليل، ولهجتكم الاستعانة بالله واستنزال النصر عنده، فإن الأمر عظيم والخطر جسيم. لكم الأجر خطير، والثواب كثير، والعمل رائد النجاح، وملاك العمل الإخلاص. فلا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. ولا تهنوا وأنتم الأعلون، وإن الله لمع المتقين. وأشد فزعي إلى الله ومسألتي منه أن يصون ولدي وكافة إخواننا المؤمنين بعنايته، ويكفلهم بحياطته، ويدفع عنهم كيد أعدائه، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين وهو المستعان وعليه التكلان.

محمد كاظم الطباطبائي»

تحليل الوثيقة الثانية عشرة

١ ـ تعبّر الوثيقة عن مدى العلاقة بين المرجعية الدينية والحكومة العثمانية من خلال أعلى سلطة إدارية في العراق وهو والي بغداد. ورغم أن الرسالة لم تذكر اسم الوالي، لكن بعض المصادر ذكرت أن والي بغداد في تلك الفترة كان جاويد باشا الذي وصل بغداد في ١٨/ ٢/ ١٩١٤ أي قبل تسعة أشهر من الغزو البريطاني. وكان جاويد باشا عضواً كبيراً في جمعية الاتحاد والترقي. وقد أصبح مرتين وزيراً للمالية في الحكومة العثمانية. وكانت علاقته سيئة برجال العشائر في مناطق أبو صخير والمشخاب[١٩].

٢ ـ يؤكد السيد اليزدي للحكومة العثمانية أنه أصدر فتواه بوجوب الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وأنه قد أوجبه على جميع المسلمين، كما إنه قد حرّم التواني عنه أو التقاعس دونه. فهو يعبّر عن موقف تاريخي وشرعي للمرجعية الدينية رغم المواقف غير الطيبة للحكومة العثمانية تجاه الشيعة والمرجعية الدينية. فقد سبق أن هددت اليزدي بالنفي، لكنه تناسى الماضي وتعامل وفق ما يمليه عليه ضميره وواجبه الشرعي[٢٠].

٣ ـ خصص اليزدي حوالى ثلث الرسالة لمدح ولده السيد محمد اليزدي والتعريف بصفاته وأخلاقه وسجاياه وعلمه واجتهاده، ومكانته من والده باعتباره أنفس ما لديه وأعزّ ما عنده. وهذا شيء طبيعي، لكن اليزدي على ما يبدو من الإطالة في الإطراء بولده قد

---

(١٩) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ج ٣: **من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩١٤**، ص ١٩٥.

(٢٠) شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٤٩.

بالغ كثيراً في ذلك، لأن أبناء العراق وأبناء العشائر الذين تطوعوا للدفاع والقتال ليسوا بأقل قيمة أو معزة عند ذويهم وأهلهم.

٤ ـ أعطى اليزدي توصيات وإرشادات للجنود والضباط الأتراك عندما دعاهم إلى الإخلاص في نياتهم والتمسك بشعائر الإسلام، ورفع شعارات التكبير «الله أكبر» والتهليل «لا إله إلا الله»، وعدم التنازع، إضافة إلى الدعاء لهم.

٥ ـ استخدم اليزدي عبارات التمجيد والتوقير في مطلع الرسالة في مخاطبته والي بغداد الذي لم يذكر اسمه. كما استخدم كلمة (قمندان) وهي اللفظ التركي لكلمة (Commander) الإنكليزية ومعناها القائد أو الآمر.

٦ ـ من باب مجاملة الوالي العثماني السني، استخدم اليزدي عبارات لا تستخدم عادة في الوسط والمخاطبات والخطب والأدبيات الشيعية، لكنها مستخدمة في الوسط السني. ففي مقدمة الرسالة استخدم اليزدي عبارات «التسليمات والتحيات المباركة تغدو وتروح». وفي القسم الأخير استخدم عبارة «نهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان». وهذا دليل المرونة والحنكة السياسية والقدرة البلاغية في مختلف المناسبات والظروف.

٧ ـ الرسالة تفتقد التاريخ، لكن من المرجح أنها بعد ٩/ ١٢/ ١٩١٤ وهو اليوم الذي غادر فيه السيد محمد بغداد، مع بقية العلماء، باتجاه الجنوب. وربما تكون بعد العاشر من ربيع الثاني ١٣٣٣ الموافق ٢٦/ ٢/ ١٩١٥. إذ إن اليزدي ذكر في تلك الرسالة أنه أرسل ولده. وتشير المصادر التاريخية إلى أن السيد محمد اليزدي قد خرج مع مجموعة من العلماء الكبار أمثال السيد مهدي الحيدري وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والسيد محمد سعيد الحبوبي

والسيد محسن الحكيم من النجف الأشرف باتجاه الشعبية[٢١].

الوثيقة الثالثة عشرة

وهي برقية أرسلها السيد اليزدي إلى الشيخ خزعل حاكم إمارة عربستان جنوب إيران يخبره فيها بفتواه ويطلب منه الالتحاق بحركة الجهاد، جاء فيها:

«لا يخفى أن من أهم الواجبات المحافظة على بيضة الإسلام والدفاع عن النفس والنفيس عن ثغور المسلمين ضد مهاجمة الكفار. وأنت في ثغر مهم من تلك الثغور. فالواجب حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفار بكل ما تتمكن. كما يجب ذلك على سائر العشائر القاطنين في تلك الجهات، واللازم عليك تبليغ ذلك إليهم. كما إنه يحرم على كل مسلم معاونة الكفار ومعاضدتهم على محاربة المسلمين. والأمل بهمتك وغيرتك أن تبذل تمام جهدك في دفع الكافرين والله مؤيدك بالنصر على أعدائه إن شاء الله تعالى[٢٢].

محمد كاظم الطباطبائي

الأول من محرم ١٣٣٣»

تحليل الوثيقة الثالثة عشرة

١ ـ تمثل هذه الوثيقة توجه المرجعية الدينية بأهمية تحشيد جميع الإمكانيات والقوى داخل العراق وخارجه من أجل دعم حركة الجهاد. فهو يخاطب شيخ إمارة عربستان شبه المستقلة والتي كانت تابعة شكلياً إلى الحكومة الإيرانية.

---

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

٢ ـ تعبر الوثيقة عن نظرة استراتيجية لسير العمليات العسكرية، فاليزدي يطلب من شيخ المحمّرة مهاجمة القوات البريطانية من الجناح الشرقي، في حين تنهض القوات العراقية والعثمانية في عملية المقاومة من الشمال والغرب. ولو اشترك الشيخ خزعل في تلك المرحلة لربما تغيرت موازين القوى ونتائج الحرب.

٣ ـ تتضمن البرقية فتوى صريحة بالجهاد باعتباره دفاعاً عن النفس، لأن البلاد الإسلامية تتعرض لهجوم الكفار. كما تتضمن وجوباً عينياً على العشائر العربية القاطنة في إيران وقرب البصرة للمشاركة في القتال ومواجهة القوات البريطانية الغازية.

٤ ـ من الواضح أن اليزدي لم يفرّق بين العثماني والإيراني والعراقي، فجميع المسلمين بنظره مكلفون بالجهاد من أجل دفع القوات البريطانية عن البصرة والعراق.

٥ ـ تتضمن البرقية فتوى بتحريم التعاون مع الكفار «ومعاضدتهم على محاربة المسلمين». وفي ذلك إشارة واضحة إلى علاقات الشيخ خزعل، بالإنكليز، وغيره من شيوخ العشائر والزعامات المحلية التي بقيت بعيدة عن المساهمة في الجهاد.

٦ ـ للأسف لم يستجب الشيخ خزعل لنداء السيد اليزدي، كما لم يستجب لبرقية أخرى بعثها كبار العلماء في النجف أمثال الشيخ فتح الله الأصفهاني (شيخ الشريعة) والسيد مصطفى الكاشاني والميرزا مهدي الخراساني والسيد علي التبريزي والشيخ محمد حسين المهدي[٢٣].

٧ ـ تشير بعض المصادر إلى أن بعض العشائر الخاضعة للشيخ

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

خزعل في إيران قد استجابت لفتاوى المرجعية الدينية في النجف. ففي ٥/ ٢/ ١٩١٥ أعلنت عشيرة الباوية التي تسكن الشرق من مدينة أهواز انضمامها إلى حركة الجهاد، وقامت بقطع أنابيب النفط، واستولت على مخازن شركة النفط البريطانية. وبسبب موقفه غير الآبه بنداء المرجعية الدينية، تعرّض الشيخ خزعل لتمرد العشائر عليه. ففي ٢٥/ ٢/ ١٩١٥ ثارت عليه عشيرة بني كعب[٢٤].

٨ ـ لحسن الحظ، الفتوى مؤرخة في الأول من محرم ١٣٣٣ الذي يصادف ١٩/ ١١/ ١٩١٤. فهي صادرة بعد قرابة أسبوعين من احتلال الفاو في ٦/ ١١/ ١٩١٤.

الوثيقة الرابعة عشرة

وهي وثيقة نادرة لم يسبق نشرها في المصادر العربية، ولكنني عثرت عليها في مصدر ألماني منشور عام ١٩١٥، أي أنه كان معاصراً لصدور الفتوى. وهي واحدة من الفتاوى القليلة التي يشترك فيها السيد كاظم اليزدي مع علماء آخرين. وتتضمن الفتوى نداء المرجعية الدينية في النجف وسامراء والكاظمية والحلة إلى المسلمين تدعوهم إلى الجهاد ضد القوات البريطانية. وقد جاء فيها (بالمعنى لا بالنص):

إلى جميع المسلمين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر[٢٥]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيها المسلمون، لقد هاجم عدو الإسلام أرضكم من أجل محو الإسلام ولكن ﴿**يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾[٢٦].

---

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٢٥) *Die Welt des Islams*, vol. 3 (1915), pp. 51-52.

(٢٦) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٣٢.

انهضوا دفاعاً عن إلهكم وكتاب نبيكم وسنة رسوله. انهضوا دفاعاً عن حرماتكم وحرمات رسوله (ﷺ) وعتبات آل بيت نبيه وأسلافكم. انهضوا دفاعاً عن أرض آبائكم. قوموا للدفاع عن شرفكم وقيمكم. انهضوا دفاعاً عن حياتكم وأموالكم. إذا قام العدو ـ لعنه الله ـ باحتلال بلادكم ـ لا سامح الله ـ وصاروا أسيادنا، فلا يُعلم ما سيفعلون. سينتقمون منا وسيحرقون الحرث والنسل. واليوم ندعو ـ من أجل قهر العدو ـ جميع المسلمين باسم الإسلام. ندعوهم للدفاع عن القيم الإسلامية المقدسة، وإلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.

إن الأعداء يُظهرون ما كانوا يكنّون. إنهم يريدون القضاء على الدين الإسلامي من الأرض، وتحويل مساجدنا إلى كنائس، ويقومون بتنصيرنا، كما فعلوا في الأندلس من قبل (١٤٩٢م) ومؤخراً في البلقان (١٩١٢م). فلتقوموا للوحدة، للمساعدة المتبادلة، لإطفاء الغضب والحقد والحسد، وللعمل بإخلاص مع جميع أبناء العشائر. انهضوا لدعم الحكومة بالرجال والمال والقول والنصيحة.

من أجل التطوع لأداء واجب الجهاد العظيم، نخاطب جميع المسلمين. إنهم يعلمون أن الجهاد فرض، وأن المشاركة في الجهاد شرف في الدنيا وثواب في الآخرة. إن كتاب الله يدعوكم لمساعدة الإسلام، والرسول (ﷺ) يدعوكم أيضاً للجهاد، فالجهاد في سبيل الله والدفاع عن قيم الإسلام واجب، ولا يجوز إغفاله أو تأخيره من قبل جميع المؤمنين ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**﴾[٢٧].

أيها المسلمون لا تخشوا العدو الضعيف ﴿**فالله أحق أن**

(٢٧) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٤١.

تخشوه﴾[٢٨] **﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾**[٢٩].

إن نصر الله بانتظاركم كما قال تعالى **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**[٣٠] فانتظروا العون والنصر من الله، كما وعد بقوله تعالى **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾**[٣١]. فانفروا خفافاً وجاهدوا ولا تتأخروا كي لا يتغلب عليكم عدوكم، وإلا فإن غضب الله وعقابه يحل بكم وبمن **﴿خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾**[٣٢]. يا عباد الله! قوموا ينصركم الله، إنه هو القوي المجيد.

يا رب! نحن متمسكون برسالتك، وحذّرنا وقمنا بواجبنا! أنت معتمدنا ومولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

(الموقعـون)

من النجف:

١ ـ محمد كاظم الطباطبائي اليزدي

٢ ـ شيخ الشريعة الأصفهاني

٣ ـ السيد علي التبريزي

٤ ـ السيد مصطفى الكاشاني

٥ ـ الشيخ علي الرفيعي

---

(٢٨) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ١٣.

(٢٩) المصدر نفسه، «سورة النساء» الآية ١٠٤.

(٣٠) المصدر نفسه، «سورة الروم،» الآية ٤٧.

(٣١) المصدر نفسه، «سورة محمد،» الآية ٧.

(٣٢) المصدر نفسه، «سورة الحج،» الآية ١١.

٦ ـ الشيخ محمد علي الحلو

٧ ـ الشيخ جواد مشكور

٨ ـ السيد محمد سعيد الحبوبي

٩ ـ السيد إسماعيل الصدر

١٠ ـ الشيخ حسين زين العابدين

١١ ـ السيد محمد الكاشاني

١٢ ـ الشيخ هادي الأصفهاني

من سامراء

١٣ ـ الميرزا محمد تقي الشيرازي

من الكاظمية

١٤ ـ السيد مهدي الحيدري

١٥ ـ الميرزا ابراهيم السلماسي

١٦ ـ الشيخ راضي

١٧ ـ الشيخ عزيز

١٨ ـ الشيخ عبد الحسين آل ياسين

١٩ ـ الشيخ محمد مهدي الخالصي

٢٠ ـ الشيخ صادق

٢١ ـ الشيخ مهدي المراياتي

٢٢ ـ الشيخ عبد الحسين أسد الله

من الحلة

٢٣ ـ السيد محمد القزويني

تحليل الوثيقة الرابعة عشرة

١ ـ إن أصل النص العربي للفتوى قد نشر في صحيفة **خاور** الصادرة في طهران في عددها رقم (١٦) المؤرخ في ١٦ صفر ١٣٣٣ (الموافق ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٤).

٢ ـ تضمنت الترجمة الألمانية مجموعة من الأخطاء في ترقيم الآيات القرآنية مثلاً الآية ١٠٤ من سورة النساء جاء رقمها ١٠٥ وهكذا. وجاء ذلك الخطأ لأن أرقام الآيات في الترجمات الأجنبية يوضع في بداية الآية، بينما في الطبعات العربية التقليدية للقرآن الكريم يوضع رقم الآية في نهايتها.

٣ ـ لم يتضمن النص العربي، كما يبدو، على ذكر اسم السورة ورقم الآية، لكن المترجم الألماني أضافها إلى الترجمة الألمانية.

٤ ـ كما ذكرت، لم أعثر على أي مصدر عربي أو غيره، نشر هذه الفتوى من قبل. ولذلك فهي، ربما، تنشر لأول مرة، حسب علمي.

٥ ـ لم يذكر تاريخ صدور الفتوى، ولكن من الواضح أنها جاءت كرد فعل للغزو البريطاني في تشرين الثاني ١٩١٤. وذكر المصدر الألماني أن الفتوى نشرت بعد يوم واحد من صدورها. وهذا يعني أنها صدرت في ٣٠/ ١٢/ ١٩١٤، ويشير أيضاً إلى أنها صدرت بعد بضعة أسابيع من احتلال البصرة في ٢٢/ ١١/ ١٩١٤.

٦ ـ تضمنت الفتوى أسماء ٢٣ مجتهداً متوزعين على المدن المقدسة (الكاظمية والنجف وسامراء) إضافة إلى الحلة. في تلك الظروف كان من الصعب جمع هذا العدد الكبير من العلماء الكبار، ولا يوجد مصدر يذكر أين اجتمعوا، ولكن من المرجح أن الفتوى صدرت في النجف الأشرف بعد اجتماع ضم أولئك العلماء للتداول في شؤون العراق الذي تعرض للغزو من قبل القوات البريطانية. إذ

كانت النجف، وما زالت، المدينة التي تحتضن الحوزة العلمية والمرجعية الدينية. ولكن كانت هناك حوزات علمية في مدن أخرى مثل سامراء والكاظمية والحلة، ويشرف عليها كبار العلماء. ومن الممكن أن تكون الفتوى قد كتبت في مكان، ثم جرى إرسالها إلى العلماء القاطنين في المدن الأخرى للتوقيع عليها. ويلاحظ أن علماء مدينة كربلاء لم يشاركوا في التوقيع على الفتوى.

٧ ـ لم تذكر الفتوى الجهة أو الطرف الذي استفتى العلماء فجاءت إجابة عليه. والفتوى تخاطب جميع المسلمين، ولم تذكر أسماء الأمكنة أو البلدان الإسلامية التي تخاطبها.

٨ ـ لم تتضمن الفتوى استدلالات شرعية وفقهية توضح الأسس التي اعتمدتها في إعلان الجهاد. يلاحظ أن الجهاد الدفاعي هو المحور الأساسي فيها.

٩ ـ استخدمت الفتوى عبارات «حافظوا على القيم الإسلامية» و«حافظوا على الأراضي الإسلامية». وهذه العبارات توضح فكرة «الدفاع» عن هذه القيم والأراضي. وهي الفكرة السائدة في فتاوى العلماء الشيعة المتعلقة بالجهاد. فمن منظور شرعي، يعتبر الدفاع عن المال والنفس والعرض والأرض واجباً شرعياً يستدعي التضحية من أجله، كما يجب حمايتها والمحافظة عليها. إن هذا الدافع يلعب دوراً هاماً في إعلان الجهاد. وهذا ما تحقق فعلاً في ١٩١٤/١١/٦ عندما غزت القوات البريطانية الأراضي العراقية. فلم يبق هناك مجال للتأخير أو التردد في إصدار فتوى الجهاد. وقد تصرف العلماء الشيعة بشكل مسؤول تجاه الحدث، فكان لا بد أن يعطوا رأيهم في أمر خطير يهدد البلاد.

١٠ ـ تميزت الفتوى بطولها، وهي أشبه بالبيان منها إلى الفتوى العادية التي يصدرها الفقهاء الشيعة، والتي تمتاز بقصرها.

الوثيقة الخامسة عشرة

وهي فتوى نادرة أصدرها سبعة من الفقهاء الكبار من النجف وكربلاء، عندما اجتمعوا في الصحن الحيدري في النجف الأشرف، وبحضور حوالى أربعين ألف رجل من أبناء العشائر. وقد تم إعلان وقراءة الفتوى على زوار العتبة المقدسة التي تضم ضريح الإمام علي (عليه السلام). وقد دعت الفتوى المسلمين كافة إلى الوحدة، وجاء فيها (بالمعنى لا بالنص):

بسم الله الرحمن الرحيم[٣٣]

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

السلام عليكم أيها الإخوة المسلمون، المؤمنون بالله وباليوم الآخر ورحمة الله وبركاته.

﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قوم مؤمنين**﴾[٣٤]. وكونوا ممن ﴿**آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[٣٥]. وقد تحقق اليوم قوله تعالى ﴿**وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم**﴾[٣٦]. والمحظوظ من قُتل عدوه بأيدي عدوّ آخر.

تمسكوا بحبل وحدتكم الدينية. كونوا إخواناً مع بعضكم البعض كما كان رسول الله وأصحابه. كونوا متحدين وافعلوا ما هو مفيد لدينكم ودنياكم. ضعوا قوتكم وسيادتكم على أرض الواقع.

---

(٣٣) *Die Welt des Islams*, vol. 3 (1915), pp. 51-52 and *Khawar*, no. 10 (30 Thul Hijjah 1332 H/19 October 1914).

(٣٤) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ١٤.

(٣٥) المصدر نفسه، «سورة المائدة،» الآية ٦٩.

(٣٦) المصدر نفسه، «سورة الحشر،» الآية ٢.

ارضوا بتحذيرات زعماء دينكم وقادة الدولة. احذروا كيد عدوكم الذي يسمح بتفتيت وحدتكم. احذروا من قيام أحد بزرع الحقد والعداوة بينكم، ويغيّر تقاربكم إلى عداوة.

كونوا مدركين بأن الحكومة العثمانية مشغولة بالتعبئة. ولديها هدف بحماية الدين، ومن أجل تقدم العالم الإسلامي وسلامتكم القانونية، المحرومة من القرون الماضية، إنها أزالت الامتيازات. إن الحياة الحقيقية هي بعد الموت، والحرية بعد العبودية. لا فرق بين الحكومة العثمانية العلية والإيرانية، التي تسعى بشرف من أجل استعادة حقوق المسلمين السليبة، وأرضهم المنهوبة، وتأمين الاستقلال الآن وفي المستقبل.

لا تسمعوا لأولئك الذين ركبهم الشيطان، ولا الذين يبثون الشائعات، مثلاً: إن القوات التركية والإيرانية تواجه بعضها البعض. لا يوجد أي شيء حول أغراض الحكومة العثمانية ضد إخوانهم. فهم يحترمون حق الإيرانيين. يجب أن يكون لديكم تروّ وحيطة وفكر ويقظة ضد مكائد الأجانب، الذين هم جيران العثمانيين والإيرانيين، وأعداء الله والدين، لأنهم ليس لديهم ما يفعلونه سوى سماع همزات الشياطين. يريدون أن يبعدوكم عن منافعكم، وإسقاط الإسلام.

يجب أن يكون لديكم كد من أجل أخوّتكم، أمانتكم، ونقائكم الذي يزيد في قوتكم. بالطبع إن المسلمين إخوة والله تعالى يقول ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾[٣٧]. وعلى العلماء، الذين هم خدام الشريعة والداعين إلى مجتمع إسلامي مستقل، أن يفعلوا ما بوسعهم من أجل إبلاغ جميع الناس ورؤساء العشائر، في سبيل أن

---

(٣٧) المصدر نفسه، «سورة الروم،» الآية ٤٧.

تكون هناك صورة صحيحة من وجهة نظر دينية، وأن يحذّروا شعبهم، عسى الله أن يمنحكم الرخاء.

(الموقعـون)

١ ـ السيد علي التبريزي

٢ ـ شيخ الشريعة الأصفهاني

٣ ـ السيد مصطفى الغروي الكاشاني

٤ ـ الشيخ محمد جواد الشيخ مشكور الخلخالي

٥ ـ آية الله زاده مهدي الخراساني

٦ ـ السيد محمد علي بحر العلوم زاده

٧ ـ جواد، نجل صاحب كتاب **الجواهر** [وهو محمد حسن النجفي]

تحليل الوثيقة الخامسة عشرة

١ ـ هذه فتوى غير منشورة في مصدر عربي، حسب علمي، وقد عثرت عليها في مصدر ألماني صادر عام ١٩١٥ الذي نقلها من صحيفة إيرانية تدعى **خاور** والتي ذكرت أن اجتماعاً كبيراً ضم أربعين ألفاً من رجال القبائل العراقية عقد في الصحن الحيدري في النجف الأشرف.

٢ ـ ذكر المؤرخ العراقي علي الوردي بأن وفداً من الحكومة التركية وصل النجف، ثم عقد اجتماع ضخم في مسجد الهندي وليس في الصحن الحيدري. وحضر الاجتماع مجموعة من العلماء وطلاب الحوزة العلمية ورجال العشائر وشيوخها.

٣ ـ وأضاف الوردي بأن ثلاثة من كبار العلماء وهم السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد

الجواهري قد ألقوا خطابات في الاجتماع الحاشد[٣٨]. إن العلماء الذين وقّعوا الفتوى كانوا سبعة، لكن واحداً منهم فقط وهو الشيخ جواد الجواهري، كما ذكر، كان حاضراً في الاجتماع. وحضر الاجتماع اثنان من كبار العلماء وهما السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري، لكنهما لم يوقعا على الفتوى. فلعل الفتوى قد صدرت في اجتماع آخر، أو أن الاجتماع الذي عقد في مسجد الهندي هو غير الاجتماع الذي عقد في الصحن الحيدري. على أية حال اجتماعات بهذه الضخامة وفي تلك الظروف السياسية الصعبة لا بد أن يجري ذكرها في المصادر التاريخية.

٤ ـ وليس من المعلوم إن كانت الفتوى قد صدرت في اجتماع مسجد الهندي أم لا.

٥ ـ يبدو أن الفتوى قد صدرت قبل الغزو البريطاني للعراق في ٦/ ١١/ ١٩١٤، لأن صحيفة **خاور** ذكرت بأن الفتوى كانت في ١٩/ ١٠/ ١٩١٤. ولو كان ذلك صحيحاً فهذا يعني أنها صدرت قبل إعلان الجهاد من قبل شيخ الإسلام العثماني خيري أفندي في ٧/ ١١/ ١٩١٤[٣٩]. كما إنها صدرت قبل أن يعلن الحلفاء الحرب على تركيا في ٢٩/ ١٠/ ١٩١٤[٤٠].

٦ ـ من المرجح أن تكون الفتوى قد صدرت استباقاً لتطور الأوضاع في ظل ظروف سياسية وعسكرية متجهة نحو تصعيد النزاع المباشر. فالفتوى أرادت تعبئة المسلمين ضد خطر

---

(٣٨) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ١٢٨.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٤٠) Gertrude Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (London: H.M. Stationery Office, 1920), p. 1.

خارجي داهم ومتوقع وهو الحرب العالمية الأولى.

٧ ـ تنفي الفتوى وجود صراع عسكري بين الدولتين العثمانية والإيرانية. كما تؤكد عدم وجود أطماع لدى العثمانيين، وأنهم يحترمون حقوق الإيرانيين، ولكن أين؟ وما هي الحقوق؟ فغير معروف، وبحاجة إلى البحث في المصادر التاريخية.

٨ ـ تشير الفتوى إلى أن الحكومة العثمانية مهتمة بالتعبئة، وهذا يعني أنها على وشك دخول الحرب، وبدأت استعداداتها لها. كما تثبت الفتوى تأييد المرجعية الشيعية للدولة العثمانية في مواقفها، وأن الحكومة العثمانية تسعى إلى المحافظة على حقوق العراقيين وازدهار العالم الإسلامي والدفاع عن الدين الإسلامي.

٩ ـ تحذّر الفتوى من عدوّ أجنبي وجار للدولتين العثمانية والإيرانية، والمقصود هو روسيا القيصرية المجاورة لهما، وأنها عدوّ لله والدين. وأنها تستخدم مكائدها لدحر الإسلام.

١٠ ـ تؤكد الفتوى على عدة محاور هي:

أ ـ ضرورة الوحدة بين الدولتين المسلمتين، العثمانية والإيرانية من أجل مواجهة الحرب.

ب ـ نسي العلماء الشيعة القمع والتمييز الطائفي ضد الشيعة الذي مارسته الدولة العثمانية طوال قرون من حكم العراق. كما إن موقفهم الشرعي والسياسي كان لصالح الدولة العثمانية.

ج ـ تضمنت الفتوى إعلان الجهاد الدفاعي ضد خطر هجوم محتمل من قبل محارب كافر.

د ـ توضح دَوْر العلماء في الحياة السياسية وفي المحافظة على المجتمع الإسلامي واستقلال البلاد.

الفصل السابع

مواقف العلماء المسلمين المعاصرين لليزدي



أولاً: فتوى مفتي الدولة العثمانية

في الحادي عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤ أعلن السلطان العثماني محمد رشاد الخامس (١٨٤٤ ـ ١٩١٨) الحرب على روسيا وفرنسا وبريطانيا العظمى. وطبقاً للأعراف السائدة في الدولة العثمانية، ترافق إعلان الحرب مع صدور فتوى تبرر الحرب على أنها حرب شرعية بحسب الظروف السياسية والعسكرية آنذاك، وأن الجهاد صار واجباً على كل فرد من أجل تقوية النفير العام الذي نادى به السلطان. وكانت صياغة تلك الفتوى أو على الأصح الفتاوى الخمس المترابطة، تجري على الأسلوب المألوف، وتتخذ شكل سؤال مفصل يعدّد كل الدقائق المتصلة بالموضوع وتكفي للإجابة عنه كلمة واحدة سلباً أو إيجاباً. فقد أصدر شيخ الإسلام خيري أفندي فتواه بإعلان الجهاد، جاء فيها:

سؤال: عندما يقع أن يهاجم الأعداء دار الإسلام، وعندما يثبت أنهم يستولون على بلاد إسلامية وينهبونها، ويأسرون مسلمين، وعندما يقضي جلالة سلطان الإسلام، في ذلك الحين، بالجهاد في هيئة النفير العام، فهل الجهاد، في هذه الحال، بمقتضى الآية القرآنية ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾[١] فرض على المسلمين

(١) **القرآن الكريم**، «سورة التوبة،» الآية ٤١.

كافة، وفرض عين على كل مسلم في بقاع الأرض كافة شباباً كانوا أم شيوخاً، راجلين كانوا أم راكبين، أن يسارعوا إلى المشاركة في الجهاد بأموالهم وممتلكاتهم؟

جواب: نعم.

سؤال: أما وقد ثبت الآن أن روسيا وإنكلترا وفرنسا والحكومات التي تؤيدها وتحالفها انما تعادي الخلافة الإسلامية، ما دامت بوارجها وجيوشها تهاجم حاضرة الخلافة الإسلامية وولاياتها، وتعمل ـ حفظنا الله ـ على ﴿**أن يطفئوا**﴾[٢] نور الإسلام فهل يجب، في هذه الحال، على كل المسلمين الذين تحكمهم هذه الحكومات أن يعلنوا عليها الجهاد، وأن ينهضوا للهجوم عليها بلا إمهال؟

جواب: نعم.

سؤال: أما وقد ثبت أن بلوغ هذا المرمى (حماية الدولة العثمانية) إنما يعتمد على أن يسارع المسلمون كافة إلى الجهاد، فإذا امتنع بعض المسلمين عن ذلك ـ حفظنا الله من ذلك ـ فهل يعتبر ذلك من الكبائر، وهل يحق عليهم غضب الله وعقابه على تلك المعصية الكبيرة؟

جواب: نعم.

سؤال: فإذا كانت هذه الدول التي ذكرناها والتي تحارب الحكومة الإسلامية تجبر المسلحين من سكانها وتهددهم بالقتل، بل بإبادة عائلاتهم، فهل تقضي الشريعة، حتى في هذه الحال،

(٢) المصدر نفسه، «سورة التوبة،» الآية ٣٢.

بتحريم اشتراكهم في القتال ضد جيوش البلاد الإسلامية؟ فإذا لم يمتثلوا لهذا التحريم، أتحق عليهم نار جهنم، إذ هم عندئذ قتلة ومجرمون؟

جواب: نعم.

سؤال: وفي هذه الحال، فهل المسلمون الذين يخضعون في هذه الحرب لحكم إنكلترا وفرنسا وروسيا والصرب والجبل الأسود وحلفائها، يقترفون معصية كبيرة ـ إذ إنها تلحق الضرر بالخلافة الإسلامية ـ عندما يقاتلون ضد ألمانيا والنمسا اللتين هما حليفتان للحكومة الإسلامية العلية، وهل يحق عليهم العقاب الأليم؟

جواب: نعم(٣).

تم ترجمة الفتوى إلى اللغات الإسلامية الأخرى كالعربية والفارسية والأوردية والترية. كما صدرت بيانات عديدة موجهة إلى الشعوب المسلمة من خارج الدولة العثمانية.

يلاحظ أن المفتي العثماني أصدر فتوى اعتبر فيها الجهاد واجباً عينياً (فرض عين) أي أن الجهاد صار واجباً على كل فرد مسلم، شباب وشيوخ، وأن يتبرعوا بأموالهم وممتلكاتهم. وهذا يعني تجنيد جميع سكان الدولة العثمانية للانخراط في الجيش العثماني، مع العلم أن كثيراً منهم غير مدربين على السلاح، أو غير قادرين على حمل السلاح لعجز أو عاهة أو ضعف أو مرض. إذ لم تستثن الفتوى أحداً.

وسعى المفتي العثماني إلى تعبئة المسلمين خارج الدولة

---

(٣) Rudolph Peters, *Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History*, Religion and Society; 20 (The Hague; New York: Mouton, 1979), pp. 90-91.

العثمانية من الذين تقع بلدانهم تحت النفوذ الروسي والفرنسي والبريطاني (مثل القِرِم والقوقاز وتركستان والهند والصين وأفغانستان وإيران وبلدان شمال أفريقيا كالمغرب وتونس والجزائر، بحيث يشجعهم على الثورة ضد هذه الدول، ومحاربتهم دفاعاً عن الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية. كما حرّم المفتي العثماني مشاركة أبناء البلدان المحتلة في جيوش الدول المستعمِرة ومحاربة الدولة العثمانية، وحتى لو أجبرهم الفرنسيون والروس والإنكليز على قتال العثمانيين. ولم يقتصر المفتي العثماني على تحريم محاربة الدولة العثمانية من قبل المسلمين في أنحاء العالم، لكنه سعى إلى حماية الدول المتحالفة مع الدولة العثمانية أمثال ألمانيا والنمسا، واعتبر من يحاربهما يستحق العقاب الأليم.

من الواضح الموقف المنافق للدولة العثمانية، فهي تستغل المفاهيم الإسلامية بأسوأ صورة ولأغراض تركية. ففي الوقت الذي لم تتحمل مسؤولياتها الشرعية والأخلاقية تجاه المسلمين الذين تخاطبهم، تأمل وتنتظر أن يلبوا نداءها ويشاركوا في الجهاد من أجل خططها وأهدافها وتحالفاتها الأوروبية. وهذا الموقف المتناقض لا يقتصر على الرعايا العثمانيين، بل يشمل المسلمين الذين يعيشون في بلدان إسلامية محتلة من قبل دول غربية أخرى. ترى ماذا كان موقف المسلمين وخاصة العلماء المسلمين السنة في أطراف العالم الإسلامي تجاه دعوة الجهاد التي أطلقها شيخ الإسلام مفتي الدولة العثمانية؟

ثانياً: ردود أفعال علماء السنة في العالم الإسلامي

وفي الوقت الذي استجاب العلماء الشيعة في العراق لها، لم تجد فتوى مفتي الدولة العثمانية أية استجابة تذكر من المؤسسات والزعامات السنية المعروفة في العالم الإسلامي. وربما وجدت

الفتوى صدى محدوداً على مستوى بعض الشخصيات المحلية التي تأثرت بأمر السلطان الذي يعتبر من أولي الأمر في الوسط السني. فقد أصدر الشيخ محمد أديب الجراح الذي كان يعمل قاضياً في محكمة الاستئناف بالموصل، «رسالة الجهاد على فتوى خليفتنا الأعظم السلطان الغازي محمد رشاد». كما أصدر أحمد فخر الدين عبد الله الفيضي رسالة «إرشاد العباد إلى الغزو والجهاد» في إسطنبول[٤].

ولم تقف بريطانيا وفرنسا متفرجتين على الدعاية العثمانية وتعبئة المسلمين ضدها، بل ردت بالأسلوب نفسه: الفتوى. فقد دفعت هذه الدول العلماء السنة في البلدان الواقعة تحت نفوذها إلى تأييد موقف هاتين الدولتين تأييداً علنياً يمنع أية استجابة لنداء الخليفة العثماني من قبل المواطنين المحليين. ففي الجزائر الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي أصدر شيوخ الطرق وأصحاب الإفتاء بيانات تدين حماقة الأتراك في إعلان الجهاد وتحث المسلمين الجزائريين على البقاء موالين للسلطات الشرعية التي تحكمهم، فرنسا. وصدرت فتاوى مشابهة في مصر والهند، الواقعتين آنذاك تحت النفوذ البريطاني، مؤداها أن طاعة الإنكليز فريضة شرعية[٥].

قامت الحكومة البريطانية في الهند بسؤال الآغا خان الموالي للإنكليز لإعلان هذا الموقف. إذ كان عدد من المسلمين الهنود يرون فيه زعيمهم الروحي. أعلن الآغا خان ولاءه للتاج البريطاني حيث صرح: لقد فقدت تركيا وضعها في الوصاية على الإسلام، وغلبها

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٧.
(٥) المصدر نفسه، ص ٩٤.

الشيطان. ولا شيء يجعل الأتراك أو حلفاءهم الألمان أن بإمكانهم إضعاف ولاء المسلمين الهنود(٦).

وكانت المفاجأة الكبرى للدولة العثمانية هي موقف الزعماء الدينيين في الحجاز. إذ كانت بريطانيا قد أقامت علاقات وأجرت اتصالات لتعزيز موقعها في العالم الإسلامي قبل نشوب الحرب. فقد كتبت المسز بيل تقول: إن المفاوضات مع شريف مكة، الملك حسين ملك الحجاز، قد سارت بمهارة، وطالما جعلناه ضمن اللعبة، فلا خوف من أية حركة دينية كبيرة. فهو الشخص الوحيد الذي باستطاعته إعلان الجهاد كما تسعى الدعاية التركية والألمانية، لكن يوجد إقتناع ضئيل بأنه قد يقوم بذلك(٧). رفض الشريف حسين الاستجابة لنداء السلطان العثماني محمد رشاد أو شيخ الإسلام خيري أفندي في الارتباط علناً بالجهاد العثماني، وذلك بحجة أنه لو فعل لتعرض للحصار، وتعرضت الموانئ الحجازية للقصف حيث كان للأسطول البريطاني السيادة المطلقة في البحر الأحمر. وكان الشريف حسين قد أجرى مفاوضات وحصل على وعود بريطانية بتأسيس مملكة عربية في حال قيامه بالثورة ضد الأتراك.

واصلت الحكومتان العثمانية والألمانية الدعاية الحربية الدينية التي بدأت بصدور فتوى الجهاد من قبل شيخ الإسلام العثماني. فقامت بتشكيل لجنة موالية للأتراك من العلماء والشخصيات الإسلامية البارزة مثل الأمير اللبناني شكيب أرسلان (١٨٧١ ـ

(٦) A. J. Barker, *The Neglected War: Mesopotamia, 1914-1918* (London: Faber, 1941), p. 25.

(٧) Elizabeth Burgoyne, *Gertrude Bell, from her Personal Papers 1914-1926*, 2 vols. (London: E. Benn, [1958-1961]), p. 32.

١٩٤٦) وعباس حلمي الثاني (١٨٩٢ ـ ١٩١٤) خديوي مصر السابق الذي خلعه البريطانيون عام ١٩١٤، ومن العلماء التونسيين صالح الشريف وباش حنبه علي في إسطنبول وبرلين وسويسرا. وقامت تلك اللجان بنشر كتيبات ومجلات دعائية تشجع المسلمين في المستعمرات البريطانية والفرنسية على الثورة على قاهريهم. وفي «معسكر الهلال» في ونسدورف بألمانيا، وهو معسكر لأسرى الحرب مخصص للأسرى المسلمين، جرى استخدام العلماء بهدف كسب أسرى الحرب إلى جانب دول المحور، من أجل إقناع زملائهم بترك جيوشهم، وذلك بإثارة المشاعر الدينية فيهم وحفز مشاعر الولاء للسلطان العثماني المفروضة على المسلمين جميعاً. ومع أن تلك الدعاية كانت موجهة للمسلمين من شمال أفريقيا إلّا أنه قد تمت اتصالات بين السلطات العثمانية والوطنيين المسلمين الهنود(٨).

يحلل القائد البريطاني أي. جَي. باركر خلفية الدور الألماني في الإعلان التركي للجهاد، حيث كتب يقول: إن فكرة الحرب المقدسة كانت دعاية فعالة جداً، وكان الألمان يستعدون للذهاب إلى أبعد مدى في الكذب من أجل استنهاض العالم الإسلامي. في النمط البنائي لا توجد أنصاف إجراءات، وكل شيء جرى بحذق. أولاً، تم توزيع تقرير يفيد بأن امبراطور ألمانيا غليوم الثاني (١٨٨٨ ـ ١٩١٨) قد اعتنق الإسلام وأصبح يحمل اسم حاج محمد غليوم، وأنه ملتزم بشعائر الإسلام، وأنه يريد إعادة الإسلام إلى مجده قبل آلاف السنين، أو هكذا قيل. وسافر إلى مكة، ومكث ثلاثة أيام وليالٍ يدعو الله في الحرم المقدس. وقد جاءه صوت من السماء يناديه بأنه

---

(٨) Peters, *Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History*, p. 93.

«منقذ الإسلام وسيف الله» داعياً إياه بعبارة «قم وقاتل»(٩).

يتفق معظم المؤرخين على أن حركة الجهاد التي أعلنتها الدولة العثمانية لم تثمر شيئاً. لقد كان الأتراك والألمان يتوقعون، من خلال إعلان الجهاد، أن المسلمين في الهند وبقية البلدان الإسلامية الواقعة تحت نفوذ الحلفاء ستثور بوجه السلطات الحاكمة، لكنهم أصيبوا بخيبة أمل. فقد تطوع كثير من المسلمين في جيوش الحلفاء، وقاتلوا إلى جانبهم بإخلاص(١٠).

كان السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) قد توقع خيبة الأمل هذه، فقد كتب في مذكراته قائلاً: لقد أخطأ أخي عندما أعلن الجهاد، بل كان عليه أن يلوّح به فقط. لقد كان بإمكانه أن يستخدمه كسلاح يخوّف به لا أن يعلنه. أنا متأكد بأنه لن يستجيب أي مسلم لدعوته. أنا أعلم نفسية الإنسان. لقد هددت بإعلان الجهاد، مجرد تهديد(١١).

ثالثاً: مواقف العلماء المسلمين في العراق

لقد أدى الغزو البريطاني للعراق إلى ردود أفعال متباينة من مختلف الفئات الاجتماعية: الوجهاء، التجار، الإقطاعيون، وبالطبع العلماء. وكان عدد أصحاب المهن والمثقفين قليلاً جداً(١٢).

---

(٩) Barker, *The Neglected War: Mesopotamia, 1914-1918*, p. 24

(١٠) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ٢١.

(١١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(١٢) Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), p. 86.

ويمكن تقسيم مواقف العلماء المسلمين في العراق كالآتي:

١ ـ موقف العلماء الشيعة في العراق

ينقسم موقف العلماء الشيعة إلى قسمين هما:

أ ـ موقف أغلبية علماء الشيعة

وهم الذين أيدوا وساندوا إعلان الجهاد. وقد أصدروا فتاوى قبل وبعد فتاوى السيد كاظم اليزدي. أرسلت الحكومة التركية وفداً مؤلفاً من الشخصيات السنية المعروفة أمثال فاضل باشا الداغستاني وشوكت باشا. وقد استقبل الوفد بترحاب في النجف الأشرف. وعقد اجتماع ضخم في مسجد الهندي حيث حضره العديد من الوجهاء والعلماء ورؤساء العشائر. وقد ألقى كبار العلماء في الحوزة العلمية كلمات في الاجتماع، أمثال السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري. وقد أعلنوا بوضوح ضرورة التعاون مع الحكومة العثمانية المسلمة من أجل طرد الكفار من الأراضي الإسلامية[١٣]. وقد أصدر العلماء فتاوى الجهاد.

في الكاظمية، كتب الشيخ مهدي الخالصي رسالة بعنوان (الحسام البتار في جهاد الكفار). وقد أصدر حكماً تضمن دعوة جميع المسلمين إلى إنفاق كل ما يملكونه في سبيل الجهاد، وكل من يأبى ذلك يجب أن تؤخذ منه عنوة[١٤].

ولم يكتفِ بعض المجتهدين بإصدار الفتاوى فحسب، بل شاركوا في المعارك، وقادوا كتائب المجاهدين ضد القوات

---

(١٣) الوردي، المصدر نفسه، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

البريطانية. لقد حدثت أول مواجهة بين المسلمين والإنكليز في العراق بتاريخ ١٨/ ١/ ١٩١٥ في معركة الروطة، التي تبعد ١٥كم شمال القرنة. إذ قام السيد مهدي الحيدري (من الكاظمية) البالغ من العمر ثمانين عاماً بقيادة المقاتلين المسلمين، في حين كان القائد التركي سليمان العسكري باشا يقود الوحدات العثمانية. وكان الجنرال باريت يقود القوات البريطانية في الجانب الآخر. وقد أصيبت القوات البريطانية بهزيمة منكرة في تلك المعركة على الرغم من تفوّق تجهيزاتها العسكرية وامتلاكها مدفعية[١٥]. وشارك مجتهدون آخرون مشاركة فعلية في جبهات القتال. وسنناقش دورهم ومواقفهم في الفصل القادم من هذه الدراسة.

ب ـ موقف الأقلية من العلماء الشيعة

وهم مجموعة صغيرة من علماء الشيعة رفضوا إعلان الجهاد ومعاونة الحكومة العثمانية. إذ تذكر بعض المصادر اسم اثنين من العلماء الذين خالفوا موقف الأكثرية من علماء الشيعة. وقد ظهر هذا الموقف في اجتماع العلماء الذي عقد في مدينة الكاظمية. إذ دعا المرجع الديني الكبير الشيخ محمد مهدي الخالصي العلماء إلى اجتماع للتداول بصدد تقييم الوضع والآثار المترتبة إذا ما أصدروا فتوى بالجهاد. وقد وافقه غالبية العلماء الحاضرين على إعلان الجهاد، لكن قلة منهم كان لها رأي آخر. فقد قال كل من السيد حسن الصدر والشيخ عبد الحسين الأسدي بأن قتال البريطانيين سيعرّضنا إلى التهلكة، لأن الإنكليز لديهم أسلحة قوية وأعتدة كثيرة بحيث لا يمكن المسلمين مواجهتهم[١٦]. لقد كان

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٣٦ ـ ١٣٨.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

تحفظهم ينطلق من أرضية دينية واجتهاد معين لمعنى إلقاء النفس في التهلكة انطلاقاً من قوله تعالى ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[١٧]، لكن أولئك المجتهدين لم يضعوا فرقاً بين الإنكليز والعثمانيين، فكلاهما أجنبي وكلاهما محتل للعراق. لم يجر بحث هذه القضية بعد في أدبيات حركة الجهاد أو الأحداث السياسية في تاريخ العراق الحديث. وأعتقد أن هناك حاجة لتسليط الضوء على وجهة النظر تلك، لأن الهزيمة قد لحقت بالمسلمين في النهاية، وتعرّض العراق للاحتلال بالرغم من إعلان الجهاد وموت الآلاف من المجاهدين والمدنيين.

٢ ـ مواقف العلماء السنة العراقيين

وتنقسم إلى موقفين، أحدهما مؤيد لحركة الجهاد، والآخر رافض لاتخاذ موقف لصالح الدولة العثمانية.

أ ـ موقف غالبية العلماء السنة

كما ذكرنا من قبل، كان لعلماء السنة في العراق علاقات قوية مع الأتراك خلال القرون الأربعة من الحكم العثماني في العراق. وتمتعوا بجميع الامتيازات من مناصب إدارية وقضاء وبلدية ورؤساء أوقاف وغيرها من المناصب الحكومية. في عام ١٨٩٤ أصدرت لائحة رسمية اعترفت فيها بخمس عائلات من الأشراف مشمولة بالمنح السلطانية والامتيازات. فأثرت ثراء لا حدود له وامتلكت إقطاعيات واسعة، غير أنها تعاونت مع الاحتلال البريطاني، أو سكتت عنه. وهذه الأسر هي الكيلاني وآل الجميل والآلوسي والسنوي والحيدري (وهي غير أسرة الحيدري

---

(١٧) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ١٩٥.

الشيعية المعروفة)[١٨]. وكانت المنح الكبيرة جداً التي توهب للمقام تعتبر من بين الأوقاف الأحد عشر التي كانت مستثناة من رقابة وإشراف وزارة المالية في الإمبراطورية العثمانية. وكان النقيب مثله مثل متولي الأوقاف، كان يدير العائدات بما يلائم صالحه وصالح عائلته[١٩].

وكان نقيب أشراف بغداد عبد الرحمن الكيلاني مسؤولاً عن الحضرة القادرية، التي أُنشِئت في القرن الثاني عشر تكريماً لعبد القادر الكيلاني (توفي ٥٦١ هـ/ ١١٦٦م)، كان من أحفاد هذا الصوفي والداعية الشهير[٢٠]. وبموجب فرمان صدر عام ١٦٩٥ كان من صلاحيات النقيب أن يشرف على شؤون طبقة الأشراف الروحية والمدنية في بغداد ويحافظ على نقائها ويدافع عن مصالحها. وكانت للنقيب كلمة في (الديوان أو الباشليق) أي مجلس الباشوية. كما تمتع النقيب بمكانة مرموقة جعلت السلطان عبد الحميد الثاني يصدر في عام ١٨٧٩ أمراً يعفي عائلته من التجنيد، كما إنه عُيّن مستشاراً للوالي وعضواً دائماً لمجلس إدارة بغداد. وأصدر السلطان أمراً آخر يكرّس ريع العشر على أراضي الدولة للأوقاف القادرية التي يشرف عليها النقيب. وكان النقيب ينتمي إلى (الأجلّاء) في المدينة، الذين كانوا يُستثنَوْن من دفع أية ضريبة عن أراضيهم، وكان له الحق في معاقبة فلاحيه. وكان الكيلاني يشغل منصب رئيس بلدية بغداد حتى

---

(١٨) حسن العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق** (لندن: [د. ن.]، ١٩٩٠)، ص ٦٣.

(١٩) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, Princeton Studies on the Near East (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), p. 162.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٦١.

سقوطها عام ١٩١٧. وكان للنقيب أملاك واسعة وثمينة حول بعقوبة وعلى شاطئ الفرات. وقبل الحرب العالمية الأولى كان يعتبر من أغنى التجار في العراق[٢١]. وكان العلماء السنة يهيمنون على التعليم الديني، مما يعني أنهم كانوا يقومون بتشكيل الرأي العام للعراقيين. ومن بين تلك العائلات الثرية كان يجري اختيار المفتين والقضاة والمسؤولين الشرعيين والدينيين في الدولة.

في بداية الغزو البريطاني للعراق، لم يكن للعلماء السنة أي موقف، لا سلباً ولا إيجاباً تجاه الحرب. لا يوجد مصدر يذكر آراءهم في ذلك الوقت. هذا الوضع الغامض بحاجة إلى بحث وتنقيب ومناقشة، لأن موقف العلماء السنة يبدو غير مقنع للعراقيين. ويتجاهل المؤرخون السنّة مناقشة هذا الأمر وذلك الموقف الغريب. في نهاية عام ١٩١٥، بعد عام من الغزو الأجنبي، عقد العلماء والوجهاء السنة اجتماعاً في دار النقيب عبد الرحمن الكيلاني، من أجل اتخاذ قرار حول كيفية التعامل مع البريطانيين. وكان من بين الحاضرين موسى كاظم الباججي وجميل زاده عبد الرحمن ويوسف السويدي ويوسف الباججي وصاحب الدار عبد الرحمن الكيلاني. كما حضره مجموعة من المثقفين أمثال عبد اللطيف ثويني والسيد محيي الدين الكيلاني ورشيد الهاشمي[٢٢].

في ذلك الوقت كانت القوات البريطانية متورطة في الكوت، ١٦٠كم جنوب بغداد، حين أحاطت بها قوات المجاهدين من كل مكان. اقترح اثنان إرسال خطاب إلى القوات البريطانية لعرض تقديم المساعدة إليها والتأييد للإنكليز المحتلين. وقد وافق

---

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(٢٢) Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study*, p. 97.

المجتمعون ما عدا الكيلاني الذي تظاهر بالاعتراض قائلاً: لقد عشت كل هذه الحياة تحت الحكم العثماني (وكان قد ناهز السبعين عاماً) ولن أقاتل العثمانيين[٢٣]. لم ينتج الاجتماع شيئاً، لكن معظم المشاركين فيه غادروا بغداد بعد الاجتماع خوفاً من الأتراك. «لم يذكر شيئاً عن ذلك الاجتماع في المصادر البريطانية. ولم يكن هناك رد فعل ملموس من البغداديين سواء في الدفاع أو الهجوم على النظام التركي»[٢٤].

ـ دور عبد الرحمن الكيلاني

إن نقص المعلومات حول موقف العلماء السنة تجاه الغزو البريطاني يمكن شرحه في ضوء رأي الإنكليز بالنقيب وبقية العلماء السنة، ومن خلال مواقفهم بعد سقوط بغداد. تقول المسز بيل، التي لعبت دوراً هاماً في تأسيس أول حكومة عراقية، في واحدة من رسائلها لأبيها: عندما كنت مع النقيب هذا الصباح قال لي بأنه يكره تصرفات القوميين، وستكون صفقة كبيرة مع أي كافر ما عدا الفرنسيين. ولكن افترضي أنني ارتقيت المنبر وقلت كل ما فكرت به، سينتشر كلامي في أنحاء أفغانستان والهند حيث أجد احتراماً كبيراً هناك. وأنني في خدمة الإنكليز وخائن للإسلام[٢٥].

وفي مكان آخر كتبت تقول: بعد احتلال بغداد، قام النقيب بزيارة الجنرال مود لإظهار احترامه الشخصي لقائد الجيش. وعرض منزله المطلّ على النهر على السلطات العسكرية، وأعرب عن قناعته بأن رئيس الحكام السياسيين الإنكليز يعمل جميع ما بوسعه. وكان

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٢٥) Burgoyne, *Gertrude Bell, from her Personal Papers 1914-1926*, vol. 2, p. 161.

مستعداً لصنع الجميل حتى في الأمور التي تمس مسجد وضريح جده الشيخ عبد القادر الذي عاش في القرن الثاني عشر(٢٦). لقد كان عبد الرحمن النقيب رجل الإنكليز في العراق. فقد لعب دوراً هاماً في إعطاء الحكم البريطاني مقبولية واحتراماً في صفوف العراقيين، لأنه رجل دين ذو سمعة واسعة. وكان باستطاعة الإنكليز الاتفاق معه بسهولة ونجاح. فقد عينوه أول رئيس وزراء للعراق عام ١٩٢٠. وتقيّم المسز بيل دوره فتقول: لقد وقف النقيب بصلابة ضد زعماء ثورة العشرين حتى تم تأسيس الحكومة العربية. أليس كل هذا الارتياح في العالم قد جاء من النقيب وليس منا! تعيش الحكومة العربية! أعطوهم المسؤوليات واجعلوهم يحققوا شؤونهم الخاصة سيقومون بها أفضل منا بآلاف المرات(٢٧).

لقد نشأت العلاقة بين النقيب والإنكليز قبل نشوب الحرب العالمية الأولى، وقويت بعدها. وفي الوقت الذي لم يكن للعراقيين أي سبب يدفعهم لقبول الاحتلال البريطاني، كان النقيب يعرض تقديم مساعدة مالية لبناء مستشفى عسكري للقوات البريطانية. تقول المسز بيل: بدأت المساهمة لبناء المستشفى، وأول تبرع جاء من النقيب. فقد جاء ولده بحوالة من الرجل العجوز، وأعتقد، وأنا على حق بقولي، إنه لم يُعرف عنه أبداً أنه أعطى مثل هذا المبلغ الكبير في أي نشاط خيري عام طوال أعوامه الثمانية والسبعين. وأنا شاكرة له(٢٨).

لم يكن النقيب يخفي إعجابه ومشاعره تجاه الإنكليز. ففي أحد

---

(٢٦) Gertrude Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (London: H.M. Stationery Office, 1920), pp. 32-33.

(٢٧) Burgoyne, Ibid., vol. 2, p. 178.

(٢٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣١.

أيام شهر شباط عام ١٩١٩ خاطب المسز بيل قائلاً: «إني أعترف بانتصاركم، وعندما أسأل عن رأيي في استمرار الحكم البريطاني أجيب: أنا تابع للمنتصر»(٢٩). وفي أحد أيام شهر آب/أغسطس عام ١٩٢١ أكد النقيب ولاءه للإنكليز عندما خاطب المسز بيل قائلاً: «خاتون! أنت بمثابة ابنتي، وسأقول لك ما يخطر ببالي، بأنني منذ قدوم السير بيرسي كوكس لم أفعل أبداً ما يخالف نصيحته أو رغبة الحكومة البريطانية»(٣٠). لا توجد أية مبررات فقهية أو توضيحات شرعية لهذا الموقف، لا منه ولا من أي مؤرخ أو عالم عراقي أو باحث في بلد إسلامي. يبدو أنهم متفقون على إخفاء هذا الموقف المخزي.

لم يصدر النقيب ولا بقية العلماء السنة في بغداد أية فتوى ضد الغزو البريطاني، كما لم يشاركوا بقية العراقيين في حركة الجهاد. إبان الغزو كان هناك مجموعة من كبار العلماء والمفتين أمثال:

- عبد الرحمن الكيلاني، نقيب الأشراف ورئيس بلدية بغداد.
- محمد درويش الآلوسي، عضو مجلس إدارة بغداد، وعضو مجلس التعليم.
- نجم الدين الواعظ، قاضي بغداد.
- أمجد الزهاوي، كبير علماء بغداد.
- عبد الوهاب النقيب، أحد علماء بغداد.

---

(٢٩) ذكر حنا بطاطو هذا التصريح نقلاً عن مذكرات المسز بيل وكتاب **صراع الولاءات** للسير أرنولد ويلسن، انظر: Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, p. 173.

(٣٠) Burgoyne, Ibid., vol. 2, p. 231

ـ محمد سعيد النقشبندي، أحد علماء بغداد.

ـ محمد شكري الآلوسي، أحد علماء بغداد، ثم صار وزيراً للعدل.

ـ علي الآلوسي، (أنجمن ولاية).

ـ قاسم القيسي، مفتي الجزيرة في الموصل.

ـ عثمان الدواجي، عضو مجلس الأوقاف في الموصل.

كما لم يشارك في حركة الجهاد السياسيين وأعضاء البرلمان العثماني من العراقيين أمثال:

ـ شوكت باشا، والد ناجي شوكت، رئيس الوزراء السابق.

ـ مصطفى الواعظ، من عائلة قاضي بغداد.

ـ خضر لطفي.

ـ رافع السنوي، من عائلة السنوي الثرية.

ـ عبد المحسن السعدون، إقطاعي في المنتفك، ثم صار رئيساً للوزراء.

ـ عبد المجيد الشاوي، إقطاعي في البصرة.

ـ مراد بيك سليمان، أخو رئيس الوزراء حكمت سليمان.

ـ محيي الدين الكيلاني، ابن عبد الرحمن النقيب.

فهؤلاء جميعاً لم يدافعوا عن أرضهم ولا عن البلاد الإسلامية. وكان قاضي البصرة قد غادرها إلى بغداد قبل أن يحتلها البريطانيون[٣١].

---

(٣١) Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study*, p. 94.

ب ـ موقف الأقلية من علماء السنّة

ما عدا قاضياً سنياً واحداً، لم يكن هناك أي رد فعل إيجابي من قبل العلماء السنة تجاه الجهاد. وكما ذكرنا آنفاً، قام محمد أديب الجراح القاضي في محكمة الاستئناف بالموصل بإصدار فتوى تدعو إلى الجهاد ضد البريطانيين. وكانت مقالته بعنوان «رسالة الجهاد على فتوى خليفتنا الأعظم السلطان غازي محمد رشاد». وقد صدرت في مطبعة نينوى بالموصل عام ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤م. ولا توجد معلومات حول هذا القاضي الذي انفرد عن بقية العلماء السنة في العراق، ولا توجد مصادر تتحدث عن نشاطاته أثناء حركة الجهاد. ويبدو أنه لم يكن لفتواه تأثير يذكر بين الأوساط السنية العراقية، وإلا لذكرها المؤرخون الذين أرخوا للعراق وحوادثه وخاصة في تلك الفترة.

الفصل الثامن

موقف اليهود والمسيحيين
تجاه الاحتلال البريطاني



أولاً: الأقليات غير المسلمة في العراق

إن وجود اليهود والنصارى في العراق يعود إلى عهود ما قبل الفتح الإسلامي للعراق في منتصف القرن السابع الميلادي. وكانوا يتركزون في المناطق الحضرية وخاصة في المدن الكبرى مثل بغداد والموصل والبصرة. وحسب إحصاء رسمي للسكان قامت به السلطات البريطانية عام ١٩٢٠ فإن حجم الأقليات اليهودية كان يبلغ تسعين ألفاً والمسيحية ثمانين ألف نسمة[١]. وغالبية النصارى يعيشون في الموصل وأطرافها (شمال العراق) حيث كان يعيش خمس وخمسون نسمة[٢]. وكان يعيش في البصرة عدد كبير من المسيحيين أغلبهم من الكاثوليك الشرقيين[٣]. وينقسم المسيحيون إلى عدة طوائف ومذاهب مثل الكلدان الكاثوليك، السريان الكاثوليك، اليعاقبة، وجماعات صغيرة مثل الأرمن والبروتستانت واليونان. وكان المسيحيون مرتبطين بقوة بكنائسهم التي إضافة إلى وظائفها الدينية، تعمل حاميةً للحقوق الاجتماعية والسياسية لأعضائها. وفي المقابل، فإن الكنائس كانت تعتمد على حماية القوى الأجنبية: كانت فرنسا،

(١) Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), p. 33.

(٢) Philip Willard Ireland, *Iraq; a Study in Political Development* (London: J. Cape, [1937]), p. 168.

(٣) Gertrude Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (London: H.M. Stationery Office, 1920), p. 11.

على سبيل المثال، تحمي الكاثوليك[٤]. وكانت التجارة والمهن اليدوية تحتل الاهتمام الرئيس للمسيحيين، لكن بعضهم كان يعمل في الزراعة في أرياف القرى شمال العراق[٥].

كان اليهود يتركزون في بغداد، إذ نما عددهم بشكل مضاعف من ألفين وخمسمائة نسمة (٣,٣ بالمئة من عدد سكان بغداد) عام ١٧٩٤ إلى ثلاثة وخمسين ألف نسمة (٣٥,٣ بالمئة من عدد سكان بغداد) عام ١٩٠٨[٦]. وفي الموصل كان عددهم حوالى أربعة عشر ألف نسمة[٧]. ويعزو الباحث الفلسطيني حنا بطاطو هذه الزيادة السريعة في أعداد اليهود إلى الهجرة من إيران، التي وجدوا فيها معاملة سيئة استفزتهم وجعلتهم يغادرونها متوجهين إلى العراق المجاور[٨].

ثانياً: الهيمنة على التجارة العراقية

كانت الأقلية اليهودية أكثر غنى وثراءً من المسيحيين، وكانوا يركزون نشاطهم بشكل رئيس في التجارة، وبدرجة أقل في الحرف اليدوية. إذ كان عدد قليل من العائلات اليهودية يمتلك أراضي زراعية في أطراف بغداد والبصرة والحلة[٩].

في عام ١٥٨٠ منحت الدولة العثمانية امتيازاً للبريطانيين، ثم

---

(٤) Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study*, p. 33.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٦) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, Princeton Studies on the Near East (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), p. 248.

(٧) Ireland, *Iraq; a Study in Political Development*, p. 168.

(٨) Batatu, Ibid., p. 247.

(٩) Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study*, p. 33.

أنشأ البريطانيون فرعاً لشركة الهند الشرقية. وفي عام ١٦٤٣ أنشأ الإنكليز أول مصنع إنكليزي في البصرة[١٠]. وفي ١٧٦٤ تم افتتاح أول قنصلية بريطانية في البصرة. وفي عام ١٧٩٨ تم إرسال المقيم البريطاني في البصرة هرفورد جونز إلى بغداد ليكون المقيم الدائم هناك[١١].

اعتمد الإنكليز على الأقليات الدينية وخاصة اليهود كممثلين تجاريين لهم. يشير تقرير قنصل بريطاني يعود تاريخه إلى عام ١٨٧٩، بلا لبس، إلى تمركز الكثير من عمليات بيع وشراء البضائع الإنكليزية في بغداد بأيديهم. وتقول رواية أخرى صادرة عن بغداد عام ١٩١٠ أن اليهود احتكروا التجارة المحلية بكل معنى الكلمة، ولا يستطيع المسلمون ولا المسيحيون منافستهم في ذلك[١٢]. وإذا كانوا قد لعبوا في الموصل دوراً اقتصادياً ضئيلاً جداً، فقد كان جزء جيد من تجارة البصرة تحت سيطرتهم حتى العام ١٩٢٠ على الأقل. وكانت أغلبية تجار النسيج بالجملة من اليهود. ففي البصرة كان عدد تجار النسيج اليهود ١٤ والعرب ٦ فقط. وكانت تجارة المواشي في كردستان بأيدي التجار المسيحيين[١٣]. وكتب المفوض المدني البريطاني في العراق يقول في العام ١٩١٨: لقد وجهت عنايتي دوماً إلى القيام بدعم ناشط للجماعة التجارية اليهودية كإمكانية ثمينة ذات قيمة سياسية كبيرة، وفعلت ما باستطاعتي لكي أظهر لهم أن ثمرة

---

(١٠) Ireland, *Iraq; a Study in Political Development*, p. 44.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(١٢) Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, pp. 244-247.

(١٣) عبد الحليم الرهيمي، **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)** (بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ص ٥٣.

نيّاتنا في هذه البلاد ستكون لذيذة المذاق ومفيدة لهم، وربما لهم أكثر من أي فئة أخرى[(١٤)].

ومع بداية القرن العشرين كان قد صار لكل تاجر يهودي بغدادي مهمّ، تقريباً، بيوت تجارية خاصة به في الهند وإنكلترا. وهكذا فإن عزرا ساسون سحيّق، الذي كان ذا دخل أو ممتلكات تساوي حوالى مليون جنيه استرليني عام ١٩١٩. وكان له وزن كبير في عالم الأعمال، إذ كان مالكاً لشركة (مستر ج. س. سايكس أند كومباني) في مانشستر. وكان من بين أثرياء التجار المالكين لبيوتات تجارية في مانشستر كل من حسقيل شماش وشاؤول معلم حسقيل (ديفيد إخوان) ويهودا زلوف. وكان اليهود البغداديون قد قزّموا كل الآخرين، سواء بالثروة أو بالتفرع الجغرافي، هم أبناء عائلة ساسون، الذين كثيراً ما أشير إليهم على أنهم روتشيلد الشرق، بالرغم من أن آل ساسون كانوا تجار مجوهرات، وآل روتشيلد أصحاب مؤسسات مالية وبنوك. وكان مؤسس بيت ساسون هو داود بن ساسون بن صالح، الذي كان لسنوات طويلة صراف باشي مماليك بغداد. وعندما افتتح مصرف (إيسترن بنك ليمتد) الذي كان مسجلاً في لندن عام ١٩٠٩ برأسمال يبلغ مليون جنيه استرليني، فرعاً له في بغداد عام ١٩١٢، بدا على السطح وكأنه رأسمال بريطاني آخذ في توسيع عملياته إلى العراق. أما في الواقع فقد كان أبناء من كان يوماً صراف باشي المماليك يعيدون إحياء وجودهم المالي في مدينة أجدادهم القدامى، سراً هذه المرة وعلى مستوى أكثر تطوراً[(١٥)].

بالطبع كان للربا دور كبير في جمع الثروات الضخمة التي

---

(١٤) Batatu, Ibid., pp. 247-248.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

كدسها التجار والصرافون اليهود. ومعروف أن المسلمين لم يكونوا يتاجرون بالمال لأن القرآن يمنع الربا بكل أشكاله. كما إن الديانة اليهودية لم تمنع أخذ الربا من غير اليهود بل حرّمت أخذ الربا من اليهود بين بعضهم البعض «للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك»[١٦]. وكان التجار والصيارفة اليهود يتقاضون معدلات فائدة عالية تصل إلى ٣٠ ـ ٤٠ بالمئة حتى نهاية القرن التاسع عشر. وحتى عام ١٩١٩ كان يتم تقاضي فوائد تبلغ ٥٨ بالمئة، وتصل أحياناً إلى ١٠٠ بالمئة من المزارعين. وأما صرافو بغداد فكانوا يتقاضون بين ١٠ ـ ١٣ بالمئة على حسم الكمبيالات[١٧].

ومن المثير للانتباه أن الزعماء اليهود في أغلب الأحيان كانوا تجاراً بارزين في الطائفة. إذ لم تكن هناك هوة بين التجارة والتدين أو ترؤس المؤسسة الدينية، كما هو الحال في المؤسسة الدينية الإسلامية. ففي عام ١٨٤٦ كان واحد من الحاخامات وهو إلياهو عبدية يصدّر البضائع بواسطة القوافل على مستوى كبير. وكان حاخام آخر هو عبدالله من أبرز تجار بغداد. وكان الحاخامات وأبناؤهم، والكتّاب وأبناؤهم، وكل من يشغل وظيفة عندهم يتمتعون بإعفاء من الضرائب[١٨].

وكان يهود العراق تحت حكم العثمانيين مثلهم مثل بقية الطوائف غير المسلمة، يديرون بأنفسهم شؤون طائفتهم. وكانوا يؤلفون في ما بينهم جماعة معترفاً بها، أو «ملة» حسب القانون

---

(١٦) **الكتاب المقدس**، «سفر التثنية،» الأصحاح ٢٣، الآية ٢٠.

(١٧) Batatu, Ibid., p. 251.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٢٥١.

العثماني. وكانت الحكومة العثمانية تتعامل مع الطائفة عبر قادتها المعينين. وكان على رأس الطائفة اليهودية في بغداد مجلسان، أحدهما علماني والآخر روحي. وكان المجلسان موجودين منذ أزمنة طويلة جداً. وكانا يستمدان صلاحيتهما القانونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من مرسوم سلطاني صادر عام ١٨٦٤[١٩].

ثالثاً: الحقوق والامتيازات

تمتّع اليهود والمسيحيون العراقيون بالحقوق والحريات والامتيازات التي ضمنها لهم قانون «الملي» الذي أصدرته الدولة العثمانية. إذ كانت لديهم مدارسهم الخاصة التي يديرونها بأنفسهم وينفقون عليها من أموالهم. إذ كانت مدارس الإليانس الإسرائيلية تستقبل الطلاب اليهود من بنين وبنات. في حين قام الآباء الكرمليون والطوائف الكاثوليكية والأرمنية والكلدانية بفتح مدارس خاصة بأولاد الطائفة المسيحية. وافتتحت إرسالية التبشير الأمريكية مدارس في البصرة، واحدة للبنين وأخرى للبنات[٢٠].

ويزعم الكاتب الإنكليزي جورج هاريس أن المسيحيين وبقية الطوائف غير المسلمة كانوا في ظل الدولة العثمانية يعانون الاستصغار وسوء المعاملة، وأحياناً القمع من قبل السلطات الحاكمة[٢١]. فإذا كان ذلك صحيحاً فلماذا هاجر اليهود من إيران إلى العراق الواقع تحت النفوذ العثماني؟ من الممكن القبول بوجود شعور

---

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٢٠) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 12.

(٢١) George Harris, *Iraq: Its People, Its Society, Its Culture*, in collaboration with Moukhtar Ani [et al.], Survey of World Cultures; [3] (New Haven, CT: HRAF Press, [1958]), pp. 61-62.

عدائي ضد المسيحيين لأن الدولة العثمانية كانت دائماً في حروب مستمرة مع أوروبا المسيحية، لكن ذلك لم يمنع عقد اتفاقيات سياسية وتجارية وبحرية بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية المسيحية.

استفادت الأقليات غير المسلمة من الامتيازات التي كانت تمنحها الدولة العثمانية للدول الغربية. إذ كان نظام الامتيازات يقدم حماية للرعايا الأجانب والمترجمين وبعض الرعايا العثمانيين الذين يعملون في القنصليات الأجنبية والشؤون الدبلوماسية، إلّا أن الدول الغربية أخذت تتوسع في حماية عناصر معينة في ما سمي بـ(نظام الحماية). إذ توسعت صلاحيات السفارات والقنصليات الأجنبية لتشمل الأقليات المسيحية في الدولة العثمانية[٢٢].

ووجد اليهود والمسيحيون الطريق للحصول على مناصب متوسطة وعالية في إدارات الدولة العثمانية. ففي منتصف القرن التاسع عشر كان اليهودي عبد القادر بن زياده الموصلي الشخص المقرب لوالي بغداد علي رضا باشا (١٨٣١ ـ ١٨٤٢)، أصبح رئيس دائرة الجمارك[٢٣]. وفي عام ١٩٠٩، جرى تنصيب جواد بيك، وهو نائب يهودي عن مدينة سالونيك اليونانية، وزيراً للمالية في الدولة العثمانية[٢٤]. وذكر سفير بريطاني في إسطنبول أن العناصر اليهودية نجحت في تكوين حلقة غير قابلة للاختراق جزئياً في القيادة البحرية التركية والضباط[٢٥].

---

(٢٢) صلاح عبد الرزاق، **العالم الإسلامي والغرب: دراسة في القانون الدولي الإسلامي** (لندن: دار الإسلام، ٢٠٠٢)، ص ٢٢٠

(٢٣) Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, p. 284.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

وكان اليهود والمسيحيون يتمتعون بحق اختيار ممثليهم في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان)[٢٦]. فعلى سبيل المثال كان داود أفندي يوسفياني، وهو مسيحي، عضواً في البرلمان للفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩١٧[٢٧].

لقد كان اليهود فرحين أكثر من غيرهم بالاحتلال البريطاني للعراق[٢٨]. فخلال الحرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ سعى اليهود إلى تفادي الخدمة العسكرية، ومن كان فعلاً في الخدمة حاول الهروب منها. ومن أمسكت به السلطات التركية جرى شنقه علناً ليكون عبرة للهاربين والجواسيس[٢٩]. واستقبل اليهود دخول القوات البريطانية بترحاب وفرح، حيث أصبحوا أقوى مؤيد للإدارة البريطانية[٣٠].

رابعاً: العلاقة مع البريطانيين

لقد اعتمد الإنكليز على اليهود والمسيحيين في الإدارة الجديدة في العراق. فقد أنشأوا صحيفة موالية لبريطانيا اسمها **العرب**. صدر العدد الأول منها بتاريخ ٤/ ٧/ ١٩١٧، وكانت المسز بيل تشرف على إدارة التحرير بمساعدة راهب هو أنستانس ماري الكرملي[٣١]. في

(٢٦) حسن العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق** (لندن: [د. ن.]، ١٩٩٠)، ص ٥٩.

(٢٧) Elizabeth Burgoyne, *Gertrude Bell, from her Personal Papers 1914-1926*, 2 vols. (London: E. Benn, [1958-1961]), p. 184.

(٢٨) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ص ٣٤٥.

(٢٩) Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study*, p. 95.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٣١) الوردي، المصدر نفسه، ص ٣٧١، و Burgoyne, *Gertrude Bell, from her Personal Papers 1914-1926*, p. 66.

١٤/١١/١٩١٧ أقامت مدرسة الإليانس الإسرائيلية حفلة على شرف الجنرال البريطاني مود، وحضرها كبير الحاخامات اليهود[٣٢]. بعد ثلاثة أيام توفي الجنرال مود بسبب إصابته بمرض الكوليرا الذي تعرض له في تلك الحفلة، وقد دفن في بغداد. وسرت شائعة بأن اليهود قتلوه، لكن القائد الجديد الجنرال مارشال قال بأنه يأسف لاتهام اليهود بذلك. وأوضح الضابط السياسي السير بيرسي كوكس بأن موقف اليهود وسلوكهم كان مثالياً تجاه البريطانيين في كل الأزمان[٣٣].

في عام ١٩٢٠، وضمن أول حكومة عراقية تألفت من ثمانية وزراء، التي ترأسها عبد الرحمن النقيب، كان هناك وزير يهودي هو ساسون أفندي حسقيل، حيث أصبح وزيراً للمالية[٣٤]. كما ضمت وزيرين بلا وزارة، وهما من القيادات المسيحية مثل عبد الجبار باشا خياط من بغداد وداود يوسفياني من الموصل[٣٥]. وكان لليهود والمسيحيين ممثلوهم في الجمعية التأسيسية، حيث تم انتخابهم في الموصل وبغداد والبصرة، كالتالي:

- الموصل مسيحيان ويهودي واحد
- بغداد مسيحي واحد ويهوديان
- البصرة مسيحي واحد ويهودي واحد[٣٦]

وطوال عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٧ ـ ١٩٥٨) للعراق أحرز

---

(٣٢) Burgoyne, Ibid., pp. 67-68.

(٣٣) الوردي، المصدر نفسه، ص ٣٧٧.

(٣٤) Ireland, *Iraq; a Study in Political Development*, p. 227.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

اليهود والمسيحيون موقعاً قوياً في السلطة والمجتمع. فقد تمكنوا من الهيمنة تماماً على التجارة الخارجية والتجارة الداخلية والبنوك والمؤسسات المالية. ففي السنة المالية ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ ضمت غرفة تجارة بغداد ٢١٢ يهودياً من مجموع ٤٩٨ تاجراً (مسلمين، انكليز، مسيحيين، وصابئة)، وعدد المسيحيين بلغ ٤٣ تاجراً[٣٧]. وفي عام ١٩٣٦ كان تركيب الصرافين في بغداد كالتالي:

عدد اليهود	٣٥
المسيحيين	١
المسلمين	٣
مجموع الصرافين	**٣٩**

وكان اليهود والمسيحيون يميلون بشدة إلى الثقافة الغربية. إذ ظهرت نزعتان في الوسط المسيحي العراقي. الأولى، أولئك الذين يؤمنون بالتغريب أكثر من أي جماعة أخرى من السكان العراقيين. فهم أول من تعلم اللغات الأوروبية، وأول من نزع الملابس التقليدية، وأول من أعطى الدور الوظيفي للمرأة، وأول من دخل التدريبات التكنولوجية الحديثة. الثانية، إن ديانتهم واستعدادهم لتقبّل التطوير من خلال تعزيز الهوية العلمانية بين الأكثرية العربية المسلمة التي تشترك معهم في اللغة والسلوك والنظرة السياسية[٣٨].

---

(٣٧) Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*, p. 245

(٣٨) Harris, *Iraq: Its People, Its Society, Its Culture*, p. 39.

الفصل التاسع

وقائع حركة الجهاد ضد الاحتلال



أولاً: الفتوى والحركة الوطنية

إن الفتاوى التي يصدرها الفقهاء والمجتهدون لا تأتي من فراغ أو مجرد تنظير فكري، بل تنطلق من واقع يفرض ظروفاً معينة أو أحداثاً تؤثر في مسيرة المجتمع تأثيراً بالغاً. الأمر الذي يستدعي تدخّل المرجعية الدينية باعتبارها المؤتمنة على دين الناس، والمدافعة عن مصالحهم ونفوسهم وأموالهم وأعراضهم وسيادتهم. كما إنها قد تمثل رافداً هاماً في الحركة الوطنية من خلال تأثيرها التعبوي على الجماهير المسلمة، حتى غدت الفتوى سلاحاً فعالاً ضد التدخلات الأجنبية والاستبداد السياسي الداخلي.

وقد تتباين الدوافع المباشرة لصدور الفتوى، فتارة تكون دوافع اقتصادية، مثلاً: تهديد الاقتصاد الوطني أو إلحاق الضرر بالتجارة الداخلية والخارجية للبلاد، مثلاً: صدور فتوى السيد محمد حسن الشيرازي عام ١٨٩١ بتحريم استعمال التبغ رداً على منح شاه إيران امتياز حصر تجارة التبغ في إيران إلى شركة ريجي البريطانية. الأمر الذي هدد التجارة الداخلية وسبّب إفلاس آلاف التجار والمزارعين.

وقد تكون الدوافع سياسية كما حدث في موقف المرجعية الدينية من إصدار فتاوى دعمت ثورة الدستور عام ١٩٠٥، ثم إصدار فتوى بإسقاط الشاه محمد علي لأنه أغلق مجلس الشورى عام ١٩٠٨، حيث أفتى الملّا كاظم الخراساني وعبد الله المازندراني والميرزا حسين الطهراني بإزاحته من السلطة، واعتبروا دفع

الضرائب للحكومة من أعظم المحرمات[1]. وقد تكون دوافع أيديولوجية، مثلاً: أصدر المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم في ٢٠/ ٢/ ١٩٦١ فتوى بحرمة الشيوعية حين اعتبرها كفراً وإلحاداً[2]. وفي عام ١٩٧٨، أصدر المرجع السيد محمد باقر الصدر فتوى بحرمة الانتماء إلى حزب البعث العراقي[3]. وقد تكون بدوافع عسكرية لصد العدوان ومساعدة المجاهدين، مثلاً: قيام الإمام الخميني بإصدار فتوى في ٢٠/ ٧/ ١٩٦٨ تتضمن جواز صرف الحقوق الشرعية من الزكاة والصدقات لدعم الفدائيين الفلسطينيين في نشاطهم العسكري ضد الاحتلال الإسرائيلي[4].

أثناء، وبعد، الاحتلال البريطاني للعراق، حدثت تطورات عميقة في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية. آنذاك كان السيد محمد كاظم اليزدي هو المرجع الأعلى للشيعة يقيم في النجف الأشرف، إضافة إلى مجموعة من المراجع والمجتهدين الكبار المقيمين في المدن المقدسة كالنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء. وقد أدّى أولئك العلماء دوراً هاماً في التاريخ السياسي العراقي، وخاصة في الوسط الشيعي الذي امتاز بديناميكيته وتطلعاته وتنظيمه. تقع ثلاث من هذه المدن (النجف وكربلاء والكوفة) على شاطئ الفرات حيث تسكن أكبر كثافة سكانية على طول ضفتَي النهر. وفي

---

(١) صلاح عبد الرزاق، **الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي** (طهران: مؤسسة الأعراف للنشر، ٢٠٠٠)، ص ٣١.

(٢) عادل رؤوف، **العمل الإسلامي في العراق: بين المرجعية والحزبية** (دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، ٢٠٠٠)، ص ٣٤.

(٣) محمد باقر الصدر، **دراسات في حياته وفكره** (لندن: دار الإسلام، ١٩٩٦)، ص ٩٩.

(٤) صلاح عبد الرزاق، **الإسلاميون والقضية الفلسطينية** (طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٨٩)، ص ١١٣.

هذه المنطقة (الفرات الأوسط) يوجد أكبر تجمع سكاني في الجنوب العراقي، وخاصة على ضفاف الأنهار الفرعية في الحسينية والحلة[٥].

ثانياً: الأهمية الاستراتيجية للعراق

ترافق بداية الاحتلال العثماني للعراق عام ١٦٣٨م مع صعود القوة البحرية الأوروبية وانتعاش المصالح الغربية في آسيا. ومقارنة بين الجهد المجهض للصليبيين قبل بضعة قرون، فإن هذا الجَيَشان التوسعي من الغرب يعود إلى قوة أكبر والدوافع التي ظهرت مع الثورة التجارية. إن ثروة الهند وآسيا تقع خلف دجلة والفرات، المزودة وِديانها ببديل جذاب لكليهما: الطرق البحرية الطويلة حول أفريقيا، والطريق الأقصر وغير الآمن عبر قناة السويس وخلال البحر الأحمر. وطالما كانت القوة التركية تزعج التورط الغربي في آسيا، أخذ العراق أهمية إضافية كمنطقة استراتيجية التي منها يمكن ممارسة الضغط على إيران المعادية، ومنها يسهل الوصول إلى الهند[٦].

لقد هيمن عاملان على الموقف البريطاني تجاه العراق:

الأول، العامل السياسي الذي تصاعد بسبب ازدياد أهمية موقع العراق باعتباره ممراً يوصل إلى جنوب شرقي آسيا وإطلالته على الخليج الفارسي، ومنطقة التفوق البريطاني.

الثاني، تصاعد أهمية العامل التجاري للمصالح الاقتصادية البريطانية والهندية في العراق. لقد كان واحداً من أهداف السياسة

---

(٥) George Harris, *Iraq: Its People, Its Society, Its Culture*, in collaboration with Moukhtar Ani [et al.], Survey of World Cultures; [3] (New Haven, CT: HRAF Press, [1958]), p. 33.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠ ـ ٢١.

البريطانية في الإمبراطورية العثمانية تأمينُ هذه المصالح بمنع سطوة أية قوة عظمى على العراق، ما عدا بريطانيا. وقد تحقق ذلك خلال القرن التاسع عشر من خلال دعم استقلال ووحدة الإمبراطورية العثمانية(٧).

ويكشف فيليب إيرلاند عن الأهداف الحقيقية في خلال برقية مرسلة إلى وزير الدولة في حكومة الهند البريطانية تقول: باحتلال بلاد الرافدين خلال الحرب زرعنا إسفيناً في العالم الإسلامي يمنع احتمال ارتباط المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط(٨). ولا يخفى أن الإسفين المغروس في الشرق الأوسط هو إسرائيل.

لقد كان البريطانيون متأكدين من وجود النفط في العراق وبشكل اقتصادي وبكميات ضخمة. ففي برقية مؤرخة في ١٩١٩/٧/٢١ أشارت إلى قيمة المصادر المعدنية جاء فيها: وأخيراً، وحسب تخمينات متحفظة، تبلغ قيمة رأسمال حقول النفط في بلاد الرافدين خمسين مليون جنيه إسترليني. وهناك مصادر أخرى للثروات مثل الموانئ والسكك الحديد والسفن البخارية والطرق والأبنية التي سيتم إنشاؤها بالرأسمال البريطاني سواء الخاص أو العام، على الأقل، ما يبلغ عشرة ملايين جنيه استرليني(٩).

إن احتلال الفاو والبصرة انطلاقاً من الهند، لم يكن مشروعاً جديداً، ففي وقت سابق تم تقديم مشروع كهذا من قبل لجنة خاصة

---

(٧) Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), p. 71.

(٨) Philip Willard Ireland, *Iraq; a Study in Political Development* (London: J. Cape, [1937]), p. 139.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

مؤلفة من الأدميرال السير إي. سليد قائد البحرية في الهند الشرقية، والفريق السير بيرسي ليك مدير الموظفين في الهند، والفريق السير أج. مكماهون، وزير الخارجية في الهند، والسير بيرسي كوكس المقيم السياسي في الخليج الفارسي بتاريخ ١٩١٢/١/١٥. وتم إحياء المشروع مرة أخرى في كانون الثاني/ يناير ١٩١٤ لارتباطه بالدفاع عن حقول شركة النفط الإنكليزية الفارسية[١٠].

لقد كان لحقول ومصافي النفط في مدينة عبادان الإيرانية دور هام في الحرب العالمية الأولى. فقد اعتمدت عليها ماكنة الحرب لقوات الحلفاء. واشتهرت مقولة اللورد كورزون التي توضح الدور الذي لعبه النفط الإيراني في أن «يعوّل الحلفاء نحو النصر على سلعة النفط»[١١]. وهناك رؤية أخرى لوزير خارجية الحكومة البريطانية في الهند، ضمّنها في رسالة شخصية إلى نائب الملك في الهند: من بين الأشياء المتنوعة التي سنحرزها بإرسال قوة إلى الخليج، كنت دائماً أؤكد على التأثير المعنوي على مشايخ العرب أولاً، وحماية منابع النفط ثانياً[١٢].

قامت السياسة البريطانية بترتيب أمورها في المنطقة منذ وقت طويل جداً سبق الحرب. إذ تشير المسز بيل إلى: أن وضعنا في ما يخص نفوذ الزعماء العرب على طول الشواطئ قد ترسخ تدريجياً. لقد دخلنا في معاهدة علاقات مع سلطان مسقط، وشيوخ الساحل المتصالح وجزيرة البحرين. أما بالنسبة إلى ابن سعود حاكم نجد، الذي اندفع بطريقه نحو البحر عام ١٩١٣، فقد كان متلهفاً للحصول

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٢ والمصدر يستخدم مصطلح الخليج الفارسي وليس العربي.
(١١) المصدر نفسه، ص ٢٤.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.

على اعترافنا ودعمنا. وشيخ الكويت، الذي كان دائماً قلقاً من الانتهاكات العثمانية، فقد تم ضمان حمايتنا له. وبالنسبة إلى شيخ المحمرة، العربي الأصل والأداة بيد الإيرانيين، ينظر إلينا للمساعدة في إصلاح وضعه ضد الشاه والسلطان وأمثالهم[١٣].

ثالثاً: المرجعية تصدر فتاوى الجهاد

في السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٤ نزلت القوات البريطانية ـ الهندية إلى شواطئ جنوب العراق باحتلالها ميناء الفاو الذي يطلّ على شط العرب، كما يشرف على الخليج العربي. وكانت تلك القوات قد تجمعت في البحرين، بقيادة الجنرال ديلامين، مستعدة لاحتلال العراق لتبدأ مرحلة جديدة من التاريخ السياسي الحديث. وفي اليوم نفسه أصدر السير بيرسي كوكس الذي رافق القوة العسكرية الغازية من الهند باعتباره الضابط السياسي العام، بلاغاً ذكر فيه أن «ليس للحكومة البريطانية شأن بالسكان المحليين على ضفتي النهر، طالما أظهروا أنهم أصدقاء ولا يؤوون قوات تركية أو يتجولون مسلحين، فليس هناك ما يخافونه، ولا تُمسّ ممتلكاتهم»[١٤].

في التاسع من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٤ وصلت برقية بعثها أهالي البصرة إلى العلماء والمجتهدين في المدن المقدسة وفي مدن عراقية أخرى تقول:

«ثغر البصرة الكفار محيطون به. الجميع تحت السلاح. نخشى

---

(١٣) Gertrude Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (London: H.M. Stationery Office, 1920), p. 1.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢.

على باقي بلاد الإسلام. ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع»[١٥].
١٩١٤/١١/٩

تم توزيع البرقية بسرعة في المساجد والأسواق والشوارع والاجتماعات. في النجف الأشرف، عقد العلماء اجتماعاً عاماً في الصحن الحيدري الشريف. حضر الاجتماع قرابة أربعين ألفاً من الجمهور الذي استمع إلى خطابات تبعث الحماس وتشحذ الهمم من أجل المشاركة في تلبية فتاوى الجهاد التي أصدرها المراجع العظام والفقهاء الكبار[١٦]. في ذلك الوقت أصدر المرجع الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي فتواه بوجوب الدفاع، وأرسل ولده السيد محمد اليزدي بهدف إبلاغ وتشجيع أبناء العشائر وزعماء القبائل على المشاركة في قتال القوات الغازية[١٧]. في السادس عشر من كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٤ أعطى اليزدي أوامره من أجل البدء بالزحف جنوباً للدفاع عن الأراضي الإسلامية. كما أفتى بوجوب أن يقوم الغني العاجز عن القتال بالإنفاق من ماله على تجهيز الفقير القادر على القتال[١٨].

في النجف الأشرف قام العلماء وعلى رأسهم السيد محمد سعيد الحبوبي بتعبئة قوات المجاهدين التي تألفت من أتباعهم ومقلديهم والمتطوعين من السكان المحليين في المدن. وفي الكاظمية تصدى الشيخ مهدي الخالصي والسيد مهدي الحيدري

---

(١٥) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ١٢٧.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، والوثيقة الخامسة عشر من وثائق الجهاد.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

لحركة الجهاد. فقد كتب الخالصي رسالة بعنوان «الحسام البتار في جهاد الكفار». ولم يكتفِ بذلك بل أصدر حكماً أوجب فيه على المسلمين صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفار، ومن امتنع عن بذل ماله وجب أخذه منه بالقوة. كما عقد اجتماعاً لعلماء الكاظمية في غرفة الكليدار في الصحن الكاظمي الشريف لبحث مسألة الجهاد وإصدار حكم بشأنه[١٩].

وقد بعث السيد مهدي الحيدري، وكان عمره ثمانين عاماً، إلى علماء الدين في النجف الأشرف وكربلاء، يطلب الاجتماع بهم لبحث الأوضاع الخطيرة التي تهدد العراق بعد شن القوات البريطانية هجوماً على الفاو. فاستجاب له ثلاثة من العلماء البارزين وهم شيخ الشريعة الأصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد. وعند قدومهم إلى الكاظمية جرى لهم استقبال جماهيري ضخم. أما بقية علماء الدين فقد كتبوا له بأنهم في طريقهم للالتحاق بالسيد الحبوبي في الشعيبة. وعقد السيد الحيدري اجتماعاً عاماً في الصحن الكاظمي، وخطب في جماهير الحاضرين حاثاً إياهم على الخروج للجهاد. وفي سامراء أفتى الشيخ محمد تقي الشيرازي بوجوب محاربة الإنكليز، وأرسل ابنه الشيخ محمد رضا للالتحاق بالسيد مهدي الحيدري[٢٠].

وفي بغداد وجدت فتاوى العلماء استجابة حيث انضم أبناؤها إلى حركة الجهاد، يتقدمهم وجهاء بغداد أمثال الحاج داود أبو التمن الذي قام بتجهيز حملة عدد أفرادها ٤٠٠ مجاهد وترأسها بنفسه وأنفق عليها من ماله. وقد سار بالحملة إلى القرنة فاشترك في موقعة

---

(١٩) حسن شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ٢ ج (بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠)، ص ١٤٩.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

مزيرعة، وفيها أَسَرته القوات البريطانية، فنقل إلى البصرة، وظل معتقلاً حتى توفي هناك.

رابعاً: علماء الشيعة في مقدمة المقاتلين

لم تكتفِ المرجعية الدينية بالإفتاء وإطلاق الدعوة للجهاد، بل شاركت مشاركة فعالة في العمليات العسكرية ودخلت ساحات الوغى إلا من قعد به المرض أو العجز أو الشيخوخة، رغم أنها لم تمارس القتال من قبل، كما إنها غير مدربة على استخدام السلاح كرجال القبائل مثلاً أو بقية السكان. ولذلك اكتسبت فتاواهم ونداءاتهم صدقية كبيرة وتأثيراً واسعاً، نظراً لمشاهدة الناس إياهم في مواكب، مرتدين ملابس القتال ومتقلدين السيوف والأسلحة، وحاملين الرايات والأعلام، ترافقهم الطبول والحركة والنشاط.

تحرك السيد محمد سعيد الحبوبي من النجف في ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ الموافق ١٤/ ١١/ ١٩١٤ عن طريق السماوة والناصرية. وفي ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٢هـ تحرك السيد عبد الرزاق الحلو. وفي ٧ محرم ١٣٣٣ الموافق ٢٥/ ١١/ ١٩١٤ تحرك عن طريق بغداد كل من شيخ الشريعة والسيد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد وموفدي السيد اليزدي وهم كل من نجله السيد محمد والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والسيد إسماعيل اليزدي وقسم من طلبة العلوم الدينية من العرب والإيرانيين. وفي ٤ صفر ١٣٣٣ الموافق ٢٢/ ١٢/ ١٩١٤ غادر النجف الشيخ عبد الحسين والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ حسين الحلي والشيخ حسين الواسطي والشيخ منصور المحتصر، وكثير من علماء الدين وطلبة الحوزة العلمية[٢١].

---

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٥١.

وأثناء توجههم إلى الجبهات التحقت بهم كتائب المقاتلين من أبناء العشائر. إذ كانوا يتوقفون قليلاً بين عشائر الفرات الأوسط والمدن الواقعة في طريقهم نحو الجنوب. وبلغ عدد المجاهدين أكثر من أربعين ألفاً، منهم ثلاثون ألف راجل وعشرة آلاف فارس. وفي ٧ ربيع الثاني ١٣٣٣هـ الموافق ٢٢/ ٢/ ١٩١٥ وصل إلى النجف ستمائة فارس من المجاهدين الكرد، فقاموا بزيارة مرقد الإمام علي (عليه السلام)، ثم غادروا المدينة بعد ثلاثة أيام (٢٥/ ٢/ ١٩١٥) متوجهين إلى الشعيبة، جنوباً[٢٢].

خامساً: معركة الروطة

في الوقت الذي كان العلماء يحشدون الناس ويعبئون المجاهدين باتجاه المشاركة في حركة الجهاد، كانت القوات البريطانية تتقدم شمالاً حيث قامت باحتلال مدينة البصرة بتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٩١٤[٢٣]. كتب القائد البريطاني السير جورج بوكانان قائلاً: «أصبحت البصرة الآن القاعدة الرئيسية للجيش لكل العمليات المستقبلية»[٢٤]. ثم قام البريطانيون باحتلال القرنة التي تقع على ملتقى نهري دجلة والفرات في ٩/ ١٢/ ١٩١٤. تقول المسز بيل تصف تعزيز البريطانيين لمواقعهم: «عندها صار بحوزتنا كل النهر (شط العرب) من القرنة إلى البحر»[٢٥].

دافع المجاهدون بقيادة العلماء دفاعاً مستميتاً عن أرضهم

---

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٢٣) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 3.

(٢٤) George Buchanan, *The Tragedy of Mesopotamia* (Edinburgh; London: W. Blackwood, 1938), p. 15.

(٢٥) Bell, Ibid., p. 3.

ودينهم. وحدثت أول معركة بين الطرفين في موقع الروطة الواقع على بعد ١٥كم شمال القرنة بتاريخ الرابع من ربيع الأول عام ١٣٣٣هـ الموافق ٢٠/ ١/ ١٩١٥. وكان المجاهدون بقيادة السيد مهدي الحيدري الذي نصب خيامه في الخطوط الأمامية قريباً من مواقع الإنكليز. كما شاركت في القتال وحدات عسكرية تركية بقيادة القائد العثماني سليمان العسكري. بدأ البريطانيون هجومهم بقصف مدفعي مكثّف على مواقع المسلمين. وكانت القذائف تسقط حول خيام السيد الحيدري. فطلب منه أصحابه الانسحاب إلى الخلف، لكنه رفض قائلاً: «إن معنويات الجيش كله ستنكسر إذا قوضتم خيامنا، وربما ظنوا بأننا قد انسحبنا عن مراكزنا، فتضعف عزيمتهم، وتنهار قدرتهم، بل يجب أن تبقى خيامنا قوة للجيش، وراية للإسلام، وهيبة للمسلمين، ورهبة للكافرين». ولم يكتف السيد الحيدري بذلك بل خرج يحث المجاهدين على الثبات والصمود[٢٦].

كان البريطانيون قد استخدموا مدفعيتهم بشكل كثيف مما أوقع إصابات كثيرة في صفوف المجاهدين، لكنهم ثبتوا في المعركة، في حين أن الضباط الأتراك أخذوا يفكرون بالانسحاب خاصة بعد إصابة القائد سليمان العسكري بجروح، لكن إصرار السيد مهدي الحيدري والمقاتلين العراقيين على مواصلة القتال جعلهم يتركون هذه الفكرة. وقد انتهت المعركة بانتصار المسلمين وتراجع القوات البريطانية[٢٧].

كان لموقف السيد الحيدري البطولي أثر في القائد العثماني

---

(٢٦) شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٥٧، وسليم الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠** (بيروت: دار الغدير، ١٩٩٥)، ص ٩٩.

(٢٧) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٠٠.

الذي جرح في المعركة. فعندما زاره في المستشفى ببغداد أحد رجال الدين من الموظفين في الحكومة، عاب عليه العسكري قعوده عن القتال قائلاً له: «أنت ها هنا ترفل بالراحة والطمأنينة والنعيم، وإنك تتقاضى راتباً ضخماً من الدولة طيلة عمرك، وإن الإمام السيد مهدي الحيدري يحارب الإنكليز بنفسه ـ على شيخوخته وعظمته ـ وهو الآن في الصفوف الأولى، مع أنه لم يقبل من أموال الدولة قليلاً ولا كثيراً طيلة عمره»[٢٨].

سادساً: معركة الشعيبة

تقع الشعيبة على بعد ١٥كم جنوب شرقي البصرة، وقد بنت القوات البريطانية فيها تحصينات وخطوطاً دفاعية محكمة. وقد وقعت المعركة في ١٢/٤/١٩١٥ أي بعد ٧٢ يوماً من معركة الروطة التي انتصر فيها المجاهدون.

وحسب المصادر الإنكليزية، استطاع المسلمون تحشيد قوة تتألف من ١٨ ألف مقاتل عربي وسبعة آلاف وستمائة جندي تركي[٢٩]. وانقسمت قوات المجاهدين إلى ثلاث جبهات هي:

أ ـ القلب، في القرنة، التي تزعّمها السيد مهدي الحيدري وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد والسيد عبد الرزاق الحلو.

ب ـ الجناح الأيمن، في الشعيبة وعلى رأسها السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر والسيد محسن الحكيم.

ج ـ الجناح الأيسر، في الحويزة، وعلى رأسها الشيخ مهدي

---

(٢٨) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢٩) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 4.

الخالصي ونجله الشيخ محمد الخالصي، وجعفر آل شيخ راضي وعبد الكريم الجزائري وعيسى مال الله والسيد كمال الحلي والسيد محمد اليزدي نجل السيد محمد كاظم اليزدي[٣٠].

كانت الخطة التي وضعها القائد العثماني سليمان العسكري تقضي بقيام الجيش النظامي (التركي) بالهجوم على موقع الشعيبة من القلب، فيما يشن المجاهدون هجومهم من الجانبين الأيسر والأيمن. وقد اقترح عليه قادة المجاهدين أن الهجوم على الشعيبة لا يحقق النتائج المطلوبة نظراً لقوة التحصينات التي أقامها الإنكليز، كما إن الضباط الألمان أبدوا لسليمان العسكري وجهة نظر مشابهة[٣١].

وتشير بعض المصادر البريطانية إلى خطر قوات العشائر وتهديد «الراية البريطانية بصورة خطيرة في ربيع ١٩١٥، عندما كانت هناك جموع من رجال العشائر تتجمع في الغرب، في البادية بين الزبير والناصرية. لأن الأتراك دعوا جميع الرؤساء في دجلة والفرات إلى المشاركة في الهجوم على الشعيبة دون أن يعبأوا بعدم كفاءة القوات العشائرية الأجيرة من الوجهة العسكرية»[٣٢].

مع الفارق النوعي في التسليح والتدريب بين الطرفين، إلّا أن المجاهدين أبدوا شجاعة فائقة شاركهم فيها الجيش العثماني. وكان القتال ضارياً حتى وصل إلى الاشتباك بالسلاح الأبيض. وفي اليوم الثالث من المعركة، قرر الإنكليز الانسحاب إلى الوراء، فأمر القائد

(٣٠) الوردي، المصدر نفسه، ص ١٤٥ ـ ١٤٨؛ حسن العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق** (لندن: [د. ن.]، ١٩٩٠)، ص ٦٧، وشبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٥٢.

(٣١) الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠**، ص ١٠٠.

(٣٢) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 4.

البريطاني الجنرال مليس بإحضار سرية النقل بسرعة لنقل الجرحى إلى الخطوط الخلفية قبل انسحاب قواته. إن قدوم سرية نقل الجرحى جعل الأتراك يظنون أن هناك إمدادات جديدة وصلت إلى الجبهة لمساعدة القوات البريطانية، فقرروا الانسحاب بسرعة. وبذلك تغيرت نتائج المعركة تماماً، وبدل أن يقطفوا ثمار صبرهم وبسالتهم، تحولوا إلى مهزومين متراجعين بسبب سوء تقدير قيادتهم[٣٣].

تكبد الطرفان خسائر جسيمة، إذ فقد البريطانيون ١٢٩٧ قتيلاً وجريحاً، في حين فقد المسلمون ٣٠٠٠ شهيد و٧٠٠ أسير نقلوا إلى البصرة، بينهم بعض علماء الدين أمثال الشيخ باقر حيدر والشيخ عيسى مال الله[٣٤]. كتب أي. جَي. باركر عن معركة الشعيبة يقول: «إن مواجهة هجوم محتمل من قبل عشرين ألف عدوّ يعتبر قوة كبيرة»[٣٥]. وتصف المسز بيل الوضع إذ ذكرت بأن «المعركة قد استمرت لمدة ٧٢ ساعة، في مساء اليوم الثالث بدأت القوات النظامية (التركية) بالانسحاب، في حين فر رجال القبائل من قبل. في حين توسل القائد التركي علي بيك إلى سليمان العسكري بإعطاء أوامر بالانسحاب العام.. وبدا أن الجنرال قد وافق، لكن قبل أن يغادر علي بيك، أطلق سليمان العسكري النار على نفسه عندما كان مستلقياً على نقالة الجرحى»[٣٦]. وكتب قائد بريطاني شارك في المعركة يقول: «كان القتال شرساً، واستمر ثلاثة أيام، ولكنه انتهى

---

(٣٣) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ص ١٤٩، والحسني، المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٣٤) الوردي، المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٣٥) A. J. Barker, *The Neglected War: Mesopotamia, 1914-1918* (London: Faber, 1941), p. 68.

(٣٦) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, pp. 4-5.

بهزيمة تامة للعدو، الذي كان، على أية حال، قادراً على التراجع مع مدافعه. وقد أصيب مشاتنا بالإعياء»[٣٧].

ورغم أن قرار الانسحاب قد اتخذه الأتراك، وكانوا سبباً في الهزيمة، لكنهم أخذوا يلقون باللوم على المجاهدين متّهمينهم بالخيانة، وأنهم السبب وراء خسارة المعركة. كما تعرض المجاهدون إلى إهانات وسخرية الأتراك، من دون اعتبار إلى الظرف النفسي بعد خسارة آلاف الشهداء والجرحى والأسرى من إخوانهم وعشائرهم. كما لم يقدّر الأتراك اندفاع المجاهدين بحماس نحو الجبهات ومشاركة الأتراك في قتال البريطانيين. يصرح أحد القادة الأتراك اسمه أحمد بيك أوراق قائلاً أمام المجاهدين: «إننا لو فتحنا الشعيبة والبصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق وخاصة الفرات أولاً، وعشائر شط دجلة ثانياً لأنهم خونة». فأجابه الشيخ بدر الرميض رئيس بني لام: «أنتم الخونة للإسلام وتحزبكم ضد العرب كاف لمصداق قولي، وأنتم بعد هذا أولى بالحرب والقتال ممن نحارب. ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها»[٣٨].

لقد كان لنتائج معركة الشعيبة أثرها العميق في نفوس المجاهدين. وقد تسببت في وفاة السيد محمد سعيد الحبوبي كمداً لما شاهده من هزيمة في الوقت الذي كان بالإمكان فيه تحقيق النصر على الإنكليز لولا سوء تقدير وإدارة القيادة العثمانية للعمليات الحربية.

---

(٣٧) Buchanan, *The Tragedy of Mesopotamia*, p. 11.

(٣٨) فريق المزهر الفرعون، **الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها** (بغداد: مؤسسة البلاغ، ١٩٥٢)، ص ٤٠.

سابعاً: دور علماء الدين في التعبئة

كان السيد الحبوبي ينفق من إمكانياته الخاصة في تغطية نفقات الجهاد. وعندما قدّم بعض القادة الأتراك، قائد الحركات ومتصرف الناصرية، مبلغاً أسبوعياً قدره ألف ليرة يضعه تحت تصرفه لينفقه على شؤونه وشؤون المجاهدين، رفض الحبوبي بإصرار قائلاً: «إني مكلف بالتضحية في مالي ونفسي. فإذا نفد المال بقيت نوبة النفس، اعتبروني جندياً من الجند، آكل مما يأكلون، وأشرب مما يشربون، وجهاد النفس أفضل، لا. لا أقبل درهماً واحداً. وقائد الجيش أعرف بمواقع الصرف. ولا أسمح لكل أحد أن يفاتحني في هذا الشأن»[٣٩]. هذا مع العلم أن الحبوبي قد أنفق أمواله على شيوخ القبائل والمجاهدين المصاحبين له. وكان يستدين من أخيه في النجف الأشرف حتى أرهقه. كما كان هذا موقف السيد مهدي الحيدري الذي لم يأخذ من العثمانيين أية مساعدة مالية، وكان ينفق على المجاهدين من ماله الخاص.

هذه المواقف المبدئية من الزعامات الدينية والمراجع الشيعية جعلت أبناء القبائل وشيوخ العشائر يمارسون هذا المبدأ في الاكتفاء الذاتي لتمويل نفقات سفرهم وأسلحتهم وعتادهم وخيلهم وكل متطلبات المشاركة في حركة الجهاد. فقد اعتمدوا على أموالهم الخاصة في تجهيز أنفسهم باحتياجات الجهاد من دون الاعتماد على الحكومة. إذ لم تكن الحكومة على استعداد لدفع رواتب للمجاهدين أو تغطية نفقات سفرهم، بل منعت بعضهم من بيع ذخائرهم لتوفير المال اللازم للسفر إلى الجبهات. وكان بعض رجال القبائل يبيعون ما لديهم من متاع وأثاث على ما هم عليه من فقر، لكي يبتاعوا

---

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٩.

سلاحاً، إطاعة لفتوى المراجع. وهذه المواقف وحدها تكفي للرد على بعض المؤرخين الذين يعتبرون العشائر إنما استجابوا لدعوة الجهاد بدافع الحصول على الغنائم[٤٠]. إذ تزعم المسز بيل أن رجال قبائل الفرات ودجلة قد استثارها الأمل في كسب الغنائم الوفيرة أكثر مما استثارها ثواب الآخرة[٤١].

لقد كان التحاق العشائر بحركة الجهاد قائماً على سبب رئيس هو طاعة المرجعية الدينية، ولم تكن لديهم أفكار تحررية أو الحفاظ على السيادة الوطنية لأنهم كانوا محتلين من قبل الدولة العثمانية لأربعة قرون ماضية. يقول الشيخ فريق المزهر الفرعون إن (العراقيين لم يساندوا الجيش العثماني أمام الإنكليز عن عقيدة تحرير أو استقلال، بل إجابة لأوامر تلقوها من مصادر محترمة يصعب التقاعس عن تنفيذها دينياً، حيث إن هؤلاء العلماء يعتقدون أن الحكومة التركية حكومة مسلمة وبريطانيا حكومة مسيحية التقاليد، ولهذا أفتى العلماء في الجهاد، أما زعماء القبائل والعشائر فقد أخذوا هذا الأمر أخذاً تعبدياً لأنهم ملزمون حسب تعليماتهم الدينية بامتثال أوامر العلماء الأعلام بدون قيد أو شرط أو سؤال. ولما كان العلماء بعيدين حسب العادة عن كل ما يمتّ إلى السياسة بصلة، فقد استغلت السلطة العثمانية هذه الناحية، فاستنجدوا بالعلماء على أساس كيان الإسلام وإبقائه»[٤٢].

تصف المسز بيل تأثير المرجعية في المجتمع العراقي وخاصة رجال العشائر، حيث تقول: وصل السيد محمد اليزدي ابن المرجع

---

(٤٠) شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٥٦.

(٤١) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 2.

(٤٢) الفرعون، **الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها**، ص ٣٧.

الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي إلى العمارة في كانون الثاني (١٩١٥) ليدعو عشائرها إلى الجهاد. وسرت عدوى تلك الدعوة عن طريق العشائر إلى أهوار الحويزة في منطقة شيخ المحمرة، الذي بدأ يعرب عن قلقه.

لم تكتفِ المرجعية الدينية بتوجيه ندائها بالجهاد إلى العراقيين فقط، بل خاطبت سكان الدول المجاورة والزعامات المحلية فيها. فقد وجه مجموعة من علماء النجف الأشرف برقية إلى الشيخ خزعل حاكم إمارة المحمرة (عربستان) جاء فيها:

باسم الشريعة المحمدية يجب عليك النهوض والقيام واتفاقكم مع المسلمين في مدافعة الكفار عن ثغر البصرة بالمال والنفس وبكل ما تقدرون عليه. وهذا حكم ديني لا يفرق بين الإيراني والعثماني. جاهدوا بأموالكم وأنفسكم لينصركم الله بحوله[٤٣].

وقد وقّع هذه البرقية كل من:

- الشيخ فتح الله (شيخ الشريعة) الأصفهاني
- السيد مصطفى الكاشاني
- الميرزا مهدي الخراساني
- السيد علي التبريزي
- الشيخ محمد حسين المهدي

وكان للشيخ خزعل علاقة احترام وطاعة وتقليد للمرجع الديني الشيخ عبد الكريم الجزائري في النجف. وعلى أساس هذه العلاقة كتب إليه الشيخ الجزائري يأمره بالوقوف إلى جانب

---

(٤٣) شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٥٢.

العثمانيين في الحرب، وأن يجهز حملة عسكرية من العشائر ضد الإنكليز، لكن الشيخ خزعل اعتذر عن تنفيذ ذلك، وأوضح له موقفه من الإنكليز. وقد تأثر الشيخ الجزائري كثيراً بهذا الموقف، فقام بقطع علاقته مع الشيخ خزعل الذي حاول بعد انتهاء الحرب إعادتها من أجل الحصول على دعم المرجعية في ترشيحه لعرش العراق الذي صار لفيصل، لكن الجزائري قال له: فرّق ما بيني وبينك الإسلام(٤٤).

ورغم أن الشيخ خزعل بقي معارضاً لحركة الجهاد، إلّا أن موقفه هذا لم ينسحب على العشائر الخاضعة لإمارته. فقد استجابت هذه العشائر لفتاوى المرجعية الدينية. وكان السيد عيسى كمال الدين وهو كبير علماء عربستان يحثّ العشائر على المشاركة في الجهاد. وقد نجح في مساعيه، عندما قامت عشيرة الباوية التي تسكن إلى الشرق من مدينة الأهواز الجنوبية، وقامت بمهاجمة المنشآت النفطية البريطانية. وذلك فور وصول قوة تركية مع قوات العشائر العراقية إلى ضفاف نهر الكرخة على بعد ٣٥كم من الأهواز. وكان على رأس المجاهدين الشيخ مهدي الخالصي ونجله الشيخ محمد والسيد محمد نجل السيد كاظم اليزدي والشيخ عبد الكريم الجزائري يرافقهم السيد عيسى كمال الدين(٤٥).

وتؤكد المصادر البريطانية دَوْر العلماء في تعبئة العشائر، إذ تذكر أن الحركة نجحت، وتمت مهاجمة المنشآت النفطية البريطانية في الأهواز. وقد حقق العدو المسلم ذروة النجاح في هذه الجبهة عندما قطع أنابيب النفط بشكل مؤقت من حقول النفط

(٤٤) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ص ١٤١.

(٤٥) شبر، المصدر نفسه، ص ١٥٤.

بواسطة العشائر المنتفضة في الجهاد[٤٦]. وفي المقابل، قام البريطانيون بشنّ حملة عسكرية كبيرة في عربستان، لأن مشكلة النفط أصبحت خطرة جداً. كانت الحملة تهدف إلى تأمين التأسيسات النفطية، وضمت تسعة آلاف رجل. وقد ارتكبوا مذبحة وحشية في قرية الخفاجية[٤٧].

وفي الكويت كانت هناك استجابة ملحوظة لدعوة الجهاد، حيث تزعّم الدعوة اثنان من العلماء هما محمد الشنقيطي وحافظ وهبة. وقد تمكن شيخ الكويت من القضاء عليها باستخدام العنف. فقد عاقب بعضهم، وهرب الآخرون إلى العراق وشاركوا في معركة الشعيبة[٤٨].

ثامناً: الدعوة الثانية للجهاد

بعد انتصار البريطانيين في الشعيبة، أخذوا يعززون مواقعهم وتحصيناتهم، وبدأوا باستثمار النصر العسكري من خلال تقدمهم شمالاً ملحقين هزائم متواصلة بالقوات التركية التي بدت مرتبكة وخائفة. فتقدمت قوات بريطانية على جبهتين إحداهما يقودها الفريق غورنغ متقدماً باتجاه العمارة. والأخرى يقودها الفريق تاونزند على طول خط دجلة[٤٩]. وتمكنت من احتلال مدن الجنوب الهامة. فقد احتلت العمارة في ٣/ ٦/ ١٩١٥ وسوق الشيوخ في ٦/ ٧/ ١٩١٥ والناصرية في ٢٥/ ٧/ ١٩١٥ التي تعتبر قلب لواء المنتفك، وصارت جميع ولاية البصرة في قبضة البريطانيين.

---

(٤٦) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 4.

(٤٧) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ص ١٥٣ ـ ١٥٦.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٤٣ ـ ١٤٥.

(٤٩) Bell, Ibid., p. 5.

إزاء هذه الهزائم المتتالية، لم تجد الحكومة العثمانية سوى اللجوء إلى المرجعية الشيعية بعد أن تأكدت من قدرتها على تعبئة الجماهير باتجاه مواجهة الغزو البريطاني. لذلك تجاوزت تحفظاتها المذهبية السابقة وقررت أن يكون الجهاد هذه المرة ذا صبغة شيعية واضحة. ويعود ذلك إلى سببين واقعيين:

الأول، أن نسبة الشيعة عالية حيث تمثل أكثرية سكان العراق. وعليه، فإن الشيعة سيقدّمون عدداً كبيراً من المجاهدين الجاهزين للمشاركة في جبهات القتال.

الثاني، أن المرجعية الشيعية هي المؤسسة الدينية الوحيدة في العراق التي تفاعلت مع حركة الجهاد. في حين تخلفت المؤسسة السنية وبقيت متفرجة على القوات البريطانية وهي تقضم البلاد يوماً بعد آخر. كما إن الجماهير والشخصيات العربية السنية لم تلتزم بنداء شيخ الإسلام التركي، ولا بدعوة السلطان العثماني الذي يعتبر من «أولي الأمر» الواجب الطاعة وفق المذاهب السنية. وعلى عكس المتوقع، قام مجموعة من العلماء والوجهاء في أواخر عام ١٩١٥ بعقد اجتماع في منزل عبد الرحمن الكيلاني قرروا فيه تأييد الإنكليز وعرض إمكانياتهم لمساعدة القوات البريطانية[٥٠].

بعد عام واحد على الحملة الأولى عام ١٩١٤، بدأت الحملة الإعلامية العثمانية بالدعوة إلى الجهاد تحت شعار (العلم الحيدري الشريف). وهو شعار يداعب المشاعر الشيعية، ويلهب حماسها، خاصة بعد التغييب القسري للرموز الشيعية في العراق طوال العهد العثماني. كما إن تبني الحكومة العثمانية لشعار شيعي وبشكل علني جعل الناس يتصورون بأن العثمانيين لم يعودوا أعداء. استجاب علماء

---

(٥٠) شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

الشيعة لدعوة الجهاد، وبدأوا بتعبئة العراقيين باتجاه الحرب، إيماناً منهم بأن الكيان الإسلامي في خطر.

في ١١ محرم ١٣٣٤ هـ الموافق ١٩/ ١١/ ١٩١٥ تم إخراج العلم من فوق الضريح المطهر للإمام علي (عليه السلام)، وخرج المجاهدون من النجف الأشرف في موكب كبير يتقدمهم علماء كبار أمثال شيخ الشريعة الأصفهاني والسيد علي التبريزي والسيد مصطفى الكاشاني والشيخ باقر القمي والشيخ حسين القمشئي والسيد عبد الرزاق الحلو والميرزا مهدي نجل الملا كاظم الخراساني والسيد علي نجل السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي والسيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجواهري والسيد هبة الدين الشهرستاني والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد حسين الجعفري والشيخ إسحق الرشتي والشيخ عبد الحسين الجواهري والشيخ حسن علي القطيفي وغيرهم يرافقهم ٢٥٠ من طلابهم[٥١].

صادف هذا التحرك انتصار العثمانيين على الإنكليز في معركة الكوت (١٦٠كم جنوب بغداد) وذلك في ٢٩/ ٤/ ١٩١٦. إذ قامت القوات التركية بمحاصرة القوات البريطانية في الكوت، وكانت بقيادة الفريق الإنكليزي تاونزند، حتى اضطرتها للاستسلام، وتم أسر الكثير من جنودها.

وفي ٩/ ١/ ١٩١٧ استعاد الإنكليز مدينة الكوت بقيادة الجنرال مود. واستمرت القوات البريطانية في تقدمها باتجاه بغداد حتى وصلت إلى قرية سلمان باك، الواقعة على بعد ٢٠كم جنوبي بغداد، ويقع فيها ضريح الصحابي سلمان الفارسي. كان الإنكليز يعتقدون

---

(٥١) المصدر نفسه، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

أنهم متأكدون من أن احتلال بغداد سيتم خلال أيام معدودة. ولكن القوات التركية كانت قد تهيأت وتعبأت بشكل جيد بقيادة نورالدين بيك[٥٢]. وقام الأتراك بتوزيع منشور بين الجنود المسلمين الهنود المشاركين ضمن القوات البريطانية يشجعونهم على الفرار من الكفار والالتحاق بإخوانهم في الدين. وذكر في المنشور أنهم بجوار الصحابي سلمان الفارسي. ويبدو أن تأثير ذلك المنشور كان ضئيلاً إذ استجاب عدد قليل من الهنود له، وهربوا من معسكرهم. وقد أدت تلك الحوادث إلى قيام الجنرال تاونزند بسحب وحدة البنجاب إلى الخطوط الخلفية، وعدم استخدام اسم (سلمان باك) والاستعاضة عنه بالاسم القديم (طيسفون) في كل الخرائط[٥٣].

في ٢٢/ ١١/ ١٩١٥ بدأت معركة سلمان باك التي استمرت ثلاثة أيام. وقد مني الجانبان بإصابات كبيرة، مما أدى بالقوات البريطانية إلى الانسحاب إلى الكوت.

بعد أن لمست حجم المشاركة الشيعية ودور المرجعية الدينية فيها، أخذت الحكومة التركية تضغط على العلماء السنة من أجل قيامهم بدور مشابه في تشجيع العشائر على المشاركة في حركة الجهاد. إذ قام بعض العلماء السنة أمثال إسماعيل الواعظ مفتي الديوانية ونجم الدين الواعظ قاضي بغداد، والشيخ نعمان الأعظمي بنشاطات بعد انتصار الأتراك على الإنكليز في معركة سلمان باك[٥٤].

تم نقل المتطوعين والقيادات الدينية في ثلاثين سفينة من

(٥٢) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٤.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٥ ـ ٢٥٧.

الكوفة إلى الكفل. والتحق السيد محمد نجل السيد كاظم اليزدي متأخراً، حيث وصل إلى الكوفة مباشرة ليرافق المجاهدين نحو الجبهة. في ٢٨/ ١١/ ١٩١٥ وصل المجاهدون. وفي ٣/ ١/ ١٩١٦ قام مجموعة من علماء الشيعة بزيارة منطقة الأعظمية التي تعتبر أكبر مركز سني لعلماء بغداد. وعقد اجتماع عظيم من قبل علماء المذهبين، وألقيت خطب وكلمات في الجمهور. لقد كان حدثاً فريداً، وأول زيارة في التاريخ بين الطرفين[٥٥].

في العام نفسه، ١٩١٦، واجهت القوات البريطانية هزيمة كبيرة في الكوت. فقد حوصرت من قبل القوات العثمانية ولمدة خمسة أشهر ابتداءً من كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٥ إلى نهاية نيسان/ أبريل ١٩١٦. وعانت القوات البريطانية بشكل فظيع من الجوع حتى أكلوا لحم الكلاب والقطط والبغال والخيل. وكانت القوات البريطانية تصطحب معها خيلاً لأداء بعض الأعمال كالحمل والنقل وجر العربات وغيرها. ومن أجل الحصول على إجازة دينية تبيح أكل لحم الخيول، أرسل الجنرال تاونزند مبعوثاً إلى زعماء الهندوس والمذاهب الهندية وبضمنهم المسلمين يطلب منهم إصدار فتوى تبيح أكل لحم الخيل. لقد كان من الغريب أن يرفض الجنود المسلمون أكل لحم الخيل مع أنه جائز في الشريعة الإسلامية. وعلى ذلك أصدر البانديت (الهندوسي) وإمام دلهي فتواهما بجواز أكل لحم الخيل. وأما الإمام المسلم فقد وضع شرطاً يتضمن أن يكون الذبح حسب أحكام الشريعة الإسلامية. وقد امتنع بعض الجنود المسلمين في الجيش البريطاني من تناول لحم الخيل لأنهم لم يكونوا يثقون بتلك الفتاوى لأنها نقلت إليهم عن طريق الإذاعة، وكانوا يريدون

---

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

التأكد من صحة صدورها ويرون توقيع العلماء الهنود عليها[٥٦]. في ٢٩/ ٤/ ١٩١٦ اضطرت القوات البريطانية إلى الاستسلام إلى القوات التركية. وبلغ عدد الأسرى ١٣٠٠٠ أسير، منهم ٢٨٧٠ إنكليزياً و١٠٤٤٠ هندياً[٥٧]. وقد تم أسر القائد البريطاني تاونزند نفسه.

بعد هذه الهزيمة الساحقة، قام البريطانيون بتعيين قائد جديد هو الجنرال ستانلي مود. في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٦ غادر الجنرال مود البصرة مع جيشه متوجهاً نحو الكوت. في ١٣/ ١٢/ ١٩١٦ بدأ الهجوم على الكوت واستمر لمدة ثلاثة أسابيع من جهة الخضيري، ولمدة عشرة أيام من جهة الغراف. فتح الانتصار البريطاني في الكوت الطريق نحو بغداد، في حين أخذت القوات التركية تتقهقر منسحبة. في ١١/ ٣/ ١٩١٧ دخل الجنرال مود بغداد فاتحاً منتصراً ليحقق أكبر مجد للتاج البريطاني. وفي أيلول/ سبتمبر من العام نفسه سقطت الرمادي. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٨ احتل البريطانيون الموصل. يقيّم فيليب إيرلاند ذلك النصر قائلاً: خلال أربع سنوات، من ١٩١٤ إلى ١٩١٨، أكمل السلاح البريطاني ما بدأته التجارة والدبلوماسية البريطانية لمدة ثلاثة قرون[٥٨].

أظهرت السياسة البريطانية الجديدة الصداقة للسكان العرب وخاصة في ما يتعلق بالشؤون الدينية وممارسة الشعائر والطقوس. فقد كان الإنكليز يقومون بزيارات مستمرة إلى علماء الدين لكسب ودهم، نظراً لتأثيرهم الواسع في المجتمع العراقي. ومن تلك المظاهر قيام البريطانيين بإعطاء الأموال والدعم للشيعة وإقامة

---

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٥٨) Ireland, *Iraq; a Study in Political Development*, p. 63.

مراسمهم في شهر محرم الذي تقام فيه المآتم والمجالس إحياءً لذكرى شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) في العاشر من محرم عام ٦١هـ الموافق ١٠/ ١٠/ ٦٨٠م[٥٩]. في ٨/ ٥/ ١٩١٧ قام السير رونالد ستورز، عضو المكتب العربي في القاهرة، بزيارة العراق. وبدأ رحلته بزيارة القادة الدينيين في بغداد أمثال علي الآلوسي وعبد الرحمن النقيب، ثم زار العلماء الشيعة في الكاظمية أمثال السيد مهدي الحيدري والسيد حسن الصدر. وفي ١٧/ ٥/ ١٩١٧ وصل إلى كربلاء المقدسة حيث زار حسين المازندراني. وفي ١٨/ ٥/ ١٩١٧ قام بزيارة المرجع الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي في منزله بالكوفة. «لقد كان لقاء رائعاً، فقد سأل السير رونالد ستورز السيد اليزدي إذا ما كان هناك شيء يمكن أن يفعله البريطانيون له؟ فأجاب: صيانة الحرم المقدس. ثم طلب عدم تعيين موظفين غير شيعة في المدن الشيعية. ورفض اليزدي هدية قيمتها ألف جنيه إسترليني بالرغم من إصرار ستورز عليه[٦٠].

تاسعاً: اليزدي قائد ديني وسياسي

عندما كان الإنكليز مشغولين بتوطيد حكمهم وفتح المدن العراقية واحدة تلو الأخرى، شهدت الساحة العراقية حدثاً هاماً وذلك حين نشبت ثورة مسلحة ضد الحكم البريطاني في النجف الأشرف. في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧ عينت السلطات البريطانية الكابتن بلفور حاكماً سياسياً في الشامية. وكانت شرارة الثورة قد بدأت في ١٩/ ٣/ ١٩١٨ عندما هاجم الحاج نجم البقال مع جماعة من أتباعه مقر الحاكم الإنكليزي مارشالاً في ثكنته العسكرية

(٥٩) الوردي، المصدر نفسه، ص ٣٤٧.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٩.

بالنجف. وتمكنت المجموعة من قتل القائد الإنكليزي وعدد من أفراد الحامية. إثر ذلك قامت القوات البريطانية بالتحشد حول النجف بهدف اجتياح المدينة. استمر الحصار لمدة شهر ونصف، وانتهى بدخول القوات البريطانية المدينة المقدسة.

كانت جمعية النهضة الإسلامية التي تأسست في أواخر عام ١٩١٧ تقف وراء الثورة. وكانت الجمعية بزعامة السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري، وضمت في عضويتها عدداً كبيراً من الشخصيات الاجتماعية في النجف الأشرف. ومنذ تأسيسها، ركزت الجمعية على الجانب العسكري في توجهاتها، حيث شكّلت جناحاً عسكرياً ضم أكثر من مائتي مقاتل[٦١].

بعكس حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني، لم تحظَ جمعية النهضة بدعم وتأييد كبار العلماء ومراجع الدين أمثال الشيخ محمد تقي الشيرازي والسيد كاظم اليزدي والشيخ مهدي الخالصي. وحتى عندما قامت الثورة لم يؤيدها هؤلاء العلماء على الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها النجف أثناء الحصار. كما إن العشائر العراقية المجاورة لم تتحرك لأنها كانت تنتظر موقف المرجعية وصدور فتوى دينية تؤكد الجهاد ضد الإنكليز في تلك الظروف، خاصة بعد سقوط بغداد واستحكام النفوذ البريطاني في العراق. من المرجح أن اندلاع الثورة من قبل شخصيات اجتماعية وليس من قبل المرجعية الدينية، التي يفترض أخذ رأيها قبل أي تحرك، قد جعل العلماء يتحفظون على مساندة الثورة.

وكانت قيادة الثورة لا تنسّق ولا تستشير المرجعية الدينية، مما أدى إلى انعزالها. ففي أثناء الهجوم على الحامية الإنكليزية قتل أحمد

---

(٦١) شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ص ١٦٦.

ومحسن ولدا الحاج سعد الحاج راضي وكان أحد زعماء النجف، شرطيين تابعين للسلطة البريطانية، وهو الحادث الذي أدى إلى تأزم الأوضاع، طلب السيد كاظم اليزدي من والدهما أن يقوم بتسليم ولديه مع تعهده بالمحافظة على حياتهما، لكن الأب رفض ذلك وخرج ناقماً. وهكذا بقي قادة الثورة يديرون شؤونها بمعزل عن المرجعية الدينية التي لم يعد لها تأثير في مجريات الأمور. وقد تأكد ذلك في يوم ٢١/ ٣/ ١٩١٨ وهو اليوم الثالث للثورة، عندما عقد اليزدي اجتماعاً كبيراً في مدرسته، دعا إليه العلماء والأعيان والرؤساء والوجهاء، من أجل مناقشة الوضع وكيفية التفاوض مع قيادة الثورة، وانفض الاجتماع من دون أن يتوصل المشاركون إلى نتيجة. إذ كان الثوار يرون أن المفاوضات ليست في صالحهم، وأنها تضعف موقفهم(٦٢).

في ٤/ ٥/ ١٩١٨ رفع الحصار عن النجف، بعد إلقاء القبض على الثوار، وحوكموا من قبل محكمة بريطانية حكمت على ثلاثة عشر شخصاً بالإعدام، ثم تحول الحكم على واحد منهم إلى السجن. كما حكم على خمسة بالسجن المؤبد وعلى اثنين بالسجن لمدة أقصر. كما جرى نفي مائة شخص إلى الهند كأسرى حرب، وفيهم بعض العلماء أمثال الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم، وبعض الزعامات الاجتماعية أمثال سعد الحاج راضي وعطية أبو كلل وأولاده وأقاربه. وتدخل الشيخ خزعل أمير المحمرة والشيخ محمد تقي الشيرازي فتم إعفاء الجزائري وبحر العلوم من النفي وبقيا في المحمرة. وتم تنفيذ حكم الإعدام بالمحكومين في ٣٠/ ٥/ ١٩١٨(٦٣).

---

(٦٢) المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٦٣) Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*, p. 40.

تشير بعض المصادر إلى أن السيد اليزدي رفض التوسط للعلماء المعتقلين، وأن الحاكم البريطاني بلفور قد اتصل باليزدي قبل أن ينفذ حكم الإعدام، وسأله إن كان لديه ما يقول في حق المحكوم عليهم، فلم يقل شيئاً، ولم يطلب العفو عنهم أو تخفيف الحكم الصادر بحقهم[٦٤]. كما تعرض اليزدي إلى نقد شديد في الدراسات التاريخية التي تناولت ثورة النجف عام ١٩١٨. إذ يرى خصوم اليزدي في ذلك الموقف دليلاً على علاقته القوية مع الإنكليز، ثم انسحب هذا الاقتناع على سيرة اليزدي السياسية سواء قبل الثورة أو بعدها[٦٥].

وهناك من يرى أن السيد اليزدي كان إيجابياً مع ثورة النجف رغم إيمانه بأنها كانت مبكرة جداً وغير مسيطر عليها، الأمر الذي جعل المراجع والفقهاء الكبار أمثال الشيخ محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ مهدي الخالصي، ممن ناوأ الإنكليز وقاد الجهاد، يتحفظ في دعم الثورة أو استمرارها[٦٦].

من جانب آخر سعى اليزدي لإقناع السلطات البريطانية بإصدار العفو العام عن كل الذين اشتركوا في الثورة بدءاً من مقتل الكابتن مارشال في ١٩/٣/١٩١٨ وحتى أيام الثورة اللاحقة. وقد أدرك الثوار أنفسهم دور اليزدي من خلال تحركاته وتعاطفه معهم، لذلك بادروا إلى تزويد منزله بالمواد الغذائية ليتمكن من مقاومة الحصار المضروب على النجف. لقد رفض اليزدي مغادرة النجف بعد طلب الإنكليز ذلك منه، كي لا يتضرر بالقصف المدفعي المقرر القيام به

---

(٦٤) شبر، المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٦٥) الحسني، **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠**، ص ١١٨.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

من قبل الجيش البريطاني. لقد اشترط اليزدي على الإنكليز أنه يستطيع مغادرة النجف في حالة واحدة وهي أن يصطحب معه أهله ومتعلقيه كافة. وافق الإنكليز على الشرط، فقال لهم: إن أهله هم كل سكان النجف الأشرف. لقد رفض مغادرة المدينة لردع الإنكليز عن القيام بعمل عسكري وحشي ضد الثوار وسكان المدينة[٦٧].

في عام ١٩١٨ قررت الإدارة البريطانية في العراق القيام باستفتاء حول مستقبل ونوع الحكم في العراق. في ١١/١٢/١٩١٨ قام المفوض السامي في بغداد أي. تي. ويلسون بزيارة النجف والتقى بالسيد كاظم اليزدي، حيث كان يأمل دعم المرجع الشيعي في إنجاح الاستفتاء[٦٨].

في ١٣/١٢/١٩١٨ عقد ويلسون اجتماعاً حضره كبار العلماء كالشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري، وزعماء سياسيون مثل الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد باقر الشبيبي، وزعماء العشائر في المنطقة مثل هادي النقيب والسيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد سكر. رفض المجتمعون إعطاء رأيهم بالاستفتاء قبل أخذ رأي المرجعية.

لقد كان هناك خلاف بين الوجهاء والعلماء والقادة المحليين حول الموضوع. إذ كان بعضهم يريد إدارة بريطانية مباشرة في العراق، والآخرون يرغبون بحكومة عربية مسلمة مستقلة. ولحل الخلاف طلبوا من السيد اليزدي إبداء رأيه بهذا الصدد، فقال لهم: القضية هامة، ولكل عراقي الحق في ذلك. يجب أن تعقدوا اجتماعاً عاماً يحضر الجميع فيه، ومن أية طبقة. ولكل فرد الحق

---

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٦٨) Ireland, *Iraq; a Study in Political Development*, p. 169.

في إبداء رأيه سواء كان غنياً أو بقالاً، سيداً أو حمّالاً[٦٩].

اتفقت غالبية العراقيين على قيام حكومة عربية إسلامية يتزعمها ملك عربي مسلم، هو نجل الشريف حسين ملك الحجاز، وأن يخضع إلى مجلس وطني[٧٠]. ولكن الموالين لبريطانيا أعلنوا قبولهم الحكم البريطاني وطلبوا تعيين حكام بريطانيين[٧١]. وكرد فعل لتلك المواقف طلب مجموعة من العلماء ورؤساء العشائر من المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي أن يبدي رأيه بالاستفتاء فاصدر الفتوى الآتية:

«ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين.

٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٧٧ هـ (٢٣ كانون الثاني/ يناير ١٩١٩)»

في الأشهر الأخيرة من حياة اليزدي، بذل جهوداً كبيرة في تعبئة الأمة من أجل تأسيس حكم عربي إسلامي يرأسه ملك عربي مسلم، أصبح فيصل بن الشريف حسين ملك الحجاز. فقد أجرى اتصالات مع كربلاء والكاظمية وبغداد من أجل منع قيام حكومة بريطانية في العراق على غرار الحكومة البريطانية في الهند.

في ٣٠ نيسان/ أبريل ١٩١٩ رحل السيد محمد كاظم اليزدي عن الحياة، منهياً بذلك مرحلة تاريخية رائعة من تاريخ المرجعية

---

(٦٩) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٥: **حول ثورة العشرين**، ص ٧١.

(٧٠) عبد الحليم الرهيمي، **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)** (بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ص ٢٠١.

(٧١) Ireland, *Iraq; a Study in Political Development*, p. 168.

الشيعية. تسلم الشيخ محمد تقي الشيرازي المرجعية العليا من بعده، وواصل الجهاد ضد الإنكليز، حيث قاد ثورة العشرين ١٩٢٠ التي تعتبر ثورة التأسيس، والتي على إثرها تشكلت الدولة العراقية الحديثة. وبذلك طويت صفحة مجيدة من الجهاد السياسي للمرجعية الدينية في مواجهة الاحتلال الأجنبي.

لقد بذل اليزدي ما استطاع من جهده وماله، وأرسل ولديه إلى جبهات القتال، وخاطب العشائر، وشحذ الهمم، وراسل الأمراء والولاة والقادة الأتراك، واجتمع بالقواد العسكريين الإنكليز. كل تحركاته واجتماعاته وخطاباته ومواقفه تؤكد حرصه على الأمة العراقية، وحماية العراق، والحفاظ على الدين الإسلامي.

الفصل العاشر

العلاقات بين الشيعة والإنكليز

بعد دخول بغداد في ١١ آذار/ مارس ١٩١٧، تجنّب الإنكليز القيام بأي رد فعل أو انتقام من العلماء والزعماء الدينيين والوطنيين الذين شاركوا في حركة الجهاد، وقاتلوا البريطانيين في الحرب بين الإنكليز والعثمانيين. لقد كانت الإدارة البريطانية حذرة من إثارة المشاعر الدينية في المدن المقدسة. وكانت دائماً تؤكد للعلماء الشيعة بأن حريتهم الدينية وحرمة المدن المقدسة ستبقى مضمونة. ومع ذلك فإن الإنكليز كانوا يرفضون بقاء المدن المقدسة تدار ذاتياً من قبل سكان المدينة أو المراجع الشيعة. ففي آب/ أغسطس ١٩١٧ تم تعيين حميد خان حاكماً على النجف، وهو هندي مسلم قدم مع القوات البريطانية. وفي أيلول/ سبتمبر ١٩١٧ تم وضع مدينة كربلاء تحت إشراف حاكم سياسي بريطاني[١].

وخلال السنتين قبل انتهاء الحرب في العراق، كانت المدينتان المقدستان قد تحررتا من الحكم العثماني. ففي عام ١٩١٥ و١٩١٦ تمكن سكان كربلاء والنجف من طرد الإدارة العثمانية، وأخذوا يديرون شؤون المدينة بأنفسهم. وخلال ثورة النجف بين عامي ١٩١٧ و١٩١٨ تدخلت المرجعية الشيعية، في الوساطة مع الإنكليز للحصول على عفو عام للمتهمين بقتل الكابتن بلفور حاكم الشامية.

(١) Ghassan R. Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study* (Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973), p. 228.

أولاً: تحسن أوضاع الشيعة

على العكس من الحكم العثماني، تحسنت أوضاع الشيعة تحت الحكم البريطاني في العراق. فقد تطورت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية بشكل ملحوظ، على الرغم من مواقفهم العدائية السابقة ومحاربتهم القوات البريطانية. إذ قادوا حركات الجهاد عامي ١٩١٤ و١٩١٥ وثورة النجف ١٩١٨، كما تزعّموا ثورة واسعة عام ١٩٢٠. لقد كلفت «حرب وادي الرافدين» البريطانيين حوالى مائة ألف قتيل وجريح[٢]، ولعب فيها الشيعة دوراً محورياً.

على الصعيد السياسي ضمت أول تشكيلة وزارية للدولة الجديدة المسماة «المملكة العراقية» وزيراً شيعياً واحداً هو محمد مهدي بحر العلوم. وكان تعيينه قد جاء على الرغم من معارضة رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب الذي كان يصرّ على عدم دخول أي شيعي للوزارة. وكان بحر العلوم يشغل سكرتير الحاكم السياسي البريطاني في كربلاء[٣]. صحيح أنه شغل منصب وزير التربية والصحة، اللتين لا تعتبران سياسياً من الوزارات الهامة أو السيادية، لكن تعيين شيعي وزيراً يعتبر مؤشراً على اعتراف البريطانيين والسنة بدور الشيعة في المجتمع العراقي، وأنه يجب تمثيل الشيعة في الحكومة. مثل تلك النظرة لم تكن متحققة مطلقاً خلال القرون الأربعة من الحكم العثماني. بالإضافة إلى ذلك الوزير، كان هناك أربعة وزراء دولة (وزير بلا حقيبة وزارية) وهم عبد الغني كبة من بغداد، والسيد هادي

---

(٢) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ٦ ج في ٤ مج، ط ٢ ([بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م)، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ٤٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦: **من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٤**، ص ٣١.

القزويني من الحلّة، وعجيل باشا بن علي السمرمد الذي كان شيخ زبيد السابق، وأمير محمد صيهود زعيم بني ربيعة[٤]. ومنذ ذلك التاريخ بدأ حجم مشاركة الشيعة يرتفع تدريجياً في الوزارات العراقية بحسب الجدول التالي:

السنــة	مجموع عدد المناصب	عدد مناصب الشيعة	النسبة المئوية
١٩٢١ ـ ١٩٣٢ (مرحلةالانتداب البريطاني)	١١٣	٢٠	١٧,٧
١٩٣٢ ـ ١٩٣٦	٥٧	٩	١٥,٨
١٩٣٦ ـ ١٩٤١(مرحلة الانقلابات العسكرية)	٦٥	١٨	٢٧,٧
١٩٤١ ـ ١٩٤٦ (مرحلة الاحتلال البريطاني الثاني)	٨٩	٢٥	٢٨,١
١٩٤٧ ـ ١٩٥٨	٢٥١	٨٧	٣٤,٧

المصدر: حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**، ترجمة عفيف الرزاز (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥)، ج ١، ص ٦٩.

بعد خمس وعشرين سنة على وصول أول وزير شيعي، وصل أول سياسي شيعي إلى منصب رئيس الوزراء. ففي ٢٩/ ٣/ ١٩٤٧ أصبح صالح جبر (١٨٩٥ ـ ١٩٥٧) رئيساً للوزراء في العراق. في ٢٩ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٤٨ تولّى شيعي آخر هو محمد الصدر (١٨٨٣ ـ ١٩٥٦) منصب رئيس الوزراء. ومن بين ٥٩ تشكيلة وزارية لم يتولَّ سوى أربعة من الشيعة منصب رئيس الوزراء أي بنسبة ٨,٤٧ بالمئة.

الجدير بالذكر أن السياسيين الشيعة الذين تولوا رئاسة الوزراء في العراق في العهد الملكي قد استمروا في مناصبهم لفترات قصيرة،

(٤) Philip Willard Ireland, *Iraq; a Study in Political Development* (London: J. Cape, [1937]), pp. 284-285.

وهم: صالح جبر (آذار/ مارس ١٩٤٧ ـ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨)، محمد الصدر (كانون الثاني/ يناير ـ حزيران/ يونيو ١٩٤٨)، فاضل الجمالي (آذار/ مارس ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٤)، عبد الوهاب مرجان (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٧ ـ آذار/ مارس ١٩٥٨)[٥].

أما بالنسبة إلى تمثيل الشيعة في البرلمان العراقي في العهد الملكي فقد تراوح بين ٢٧ بالمئة و٣٥ بالمئة، وبلغت ٤٠ بالمئة عام ١٩٤٧ لأول مرة، بينما نسبة الشيعة في العراق تتجاوز ٦٠ بالمئة[٦]. وتعود هذه النسبة القليلة من التمثيل الشيعي إلى قيام الحكومة السنية بترشيح ممثلين سنة عن المدن الشيعية. فعلى سبيل المثال في الدورة الحادية عشرة عام ١٩٤٧، كان هناك سبعة نواب شيعة من مجموع عشرين نائباً يمثلون بغداد. أما في الدورة الثالثة للبرلمان العراقي فكان طائفياً بحتاً، حيث مثل بغداد تسعة نواب مسلمين كلهم من السنة، واثنان من اليهود ونائب مسيحي واحد. ولم يكن هناك نائب شيعي واحد[٧]. ورغم أن هذه النسب ضئيلة وغير مقبولة في الحياة السياسية وفي الحكومة إلّا أنّها تعتبر إنجازات كبيرة للشيعة مقارنة بوضعهم في العهد العثماني.

والإنجاز الآخر هو اعتراف الإدارة البريطانية بالمذهب الإسلامي الشيعي على صعيد القضاء. فلأول مرة يتم تعيين قضاة شيعة للنظر في دعاوى الأحوال الشخصية. وكان الشيعة قبل ذلك يرفعون قضاياهم للتحكيم عند العلماء ووكلائهم بدلاً من رفعها إلى

---

(٥) حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**، ترجمة عفيف الرزاز (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥)، ص ٢١٦.

(٦) حسن العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق** (لندن: [د. ن.]، ١٩٩٠)، ص ١٩٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

المحاكم التركية. وكانت الصعوبة في تعيين قضاة شرع في مدينتي النجف وكربلاء اللتين تضمان مئات المجتهدين والمراجع الكبار. في ٦/ ١/ ١٩٢٠ تم تعيين الشيخ محمد أول قاضٍ في كربلاء[٨].

وارتفع عدد المدارس من ٥٤ إلى ٧٥ مدرسة عام ١٩١٩، وفي نيسان/ أبريل ١٩٢٠ بلغت ٨٥ مدرسة[٩]. لقد استفاد الشيعة من نمو قطاع التعليم نوعياً وكمياً. وكانت المدارس الشيعية مثل بقية المدارس السنية والمسيحية تتلقى منحاً حكومية مالية من الإدارة البريطانية. من جانب آخر، استعاد الشيعة التعليم باللغة العربية بعد أن كانت اللغة التركية هي السائدة في العهد العثماني. وبدأ تدريس اللغة الإنكليزية ينتشر تدريجياً. وفي عام ١٩٢٠ كان عدد الطلاب القادمين من خارج بغداد لا يقلّ عن أربعة وأربعين طالباً من مجموع ثمانية وستين، وكانوا يعيشون في القسم الداخلي على نفقة الحكومة، وهم من الشيعة والسنة والنصارى[١٠].

وقد روعي في المنهج الدراسي لدروس الدين أن يحتوي على المواد التي يتفق عليها السنة والشيعة قدر المستطاع. واستجابت السلطات البريطانية إلى طلب بعض الأوساط الشيعية يتضمن وضع منهج ديني يعتمد على تعاليم المذهب الشيعي فقط. وقد طبق هذا المنهج في مدارس كربلاء والنجف، حيث يكون الطلاب كلهم من الشيعة[١١]. وهذا الإنجاز يعتبر عظيماً في تلك الفترة، وبعد قرون من الظلم الطائفي والتمييز المذهبي الذي مارسه العثمانيون ضد الشيعة.

---

(٨) Gertrude Bell, *Review of the Civil Administration of Mesopotamia* (London: H.M. Stationery Office, 1920), p. 98.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

ثانياً: وقف مملكة أوده وتأثيراته

أثبت ظهور دولة أوده الشيعية في شمال الهند في القرن الثامن عشر إلى أواسط القرن التاسع عشر (١٧٢٠ ـ ١٨٥٦) أنها مصدر مالي هام لمدن العتبات المقدسة. ففي الفترة بين عامي ١٧٨٠ و١٨٤٤ قام حكام أوده ووزراؤها ووجهاؤها بتحويل أكثر من مليون روبية أنفقت لتمويل مشاريع خيرية واجتماعية واقتصادية ووظائف دينية في المدن المقدسة. وكان جزء من الأموال الهندية يخصص للزوار الهنود الذين اختار الكثير منهم البقاء في مدن العتبات المقدسة بحثاً عن مصادر الرزق أو الدراسة في الحوزة العلمية. وفي سبعينيات القرن التاسع عشر وصل عدة أثرياء من عائلة النواب الملكية من أوده إلى المدن المقدسة. وقاموا بتوزيع أموال كثيرة على الفقراء، وقدموا أوقافاً للنفع العام. الأمر الذي اجتذب مزيداً من الهنود إلى مدن العتبات المقدسة[١٢].

كما مولت التبرعات الهندية بناء (قناة الهندية) التي جلبت الماء إلى مدينة النجف الأشرف العطشى. وأُنجز بناؤها بعد عام ١٨٠٣، وتحسّن تدفق الماء في القناة في أواخر القرن التاسع عشر بعد إجراء ترميمات واسعة. ولم تضمن قناة الهندية ازدهار النجف في القرن التاسع عشر فحسب، بل أحدثت أيضاً تغييرات مائية وبيئية كبيرة في جنوب العراق ووسطه. إذ كانت تتفرع عن الفرات في نقطة تبعد حوالى ثمانية كيلومترات جنوب مدينة المسيَّب. وكانت حقول الرز الرئيسة في العراق قد نشأت على امتداد قناة الهندية، وخاصة بين مدينتي طويريج والكوفة، وفي منطقتي الشامية والسماوة القريبتين من النجف. وقد أدى شق القناة إلى استقطاب العشائر العربية السنية لتقيم

(١٢) إسحق نقاش، **شيعة العراق** (قم: المكتبة الحيدرية، ١٩٩٨)، ص ٢٧.

قريباً من النجف، ثم تحولت إلى المذهب الشيعي تدريجياً. ويلاحظ بعض الباحثين أن القبائل الرحل بقيت على المذهب السني حتى اليوم، على العكس من القبائل السنية التي استوطنت واستقرت وانشغلت بالزراعة وتربية المواشي فقد اعتنقت المذهب الشيعي بسهولة(١٣).

ثالثاً: العلاقات مع العلماء الشيعة

تعود العلاقة بين العلماء والإنكليز إلى العهد العثماني، إذ نجحت السياسة البريطانية في بناء اتصالات مع معظم الشخصيات الهامة في المجتمع العراقي قبل الاحتلال. وكان للإنكليز علاقات قوية مع اليهود والتجار وزعماء العشائر والقادة الدينيين. كتبت المسز بيل قائلة:

«بدأت علاقاتنا بمجتهدي كربلاء والنجف قبل الحرب بزمن طويل. فمنذ عام ١٨٤٩ كان للحكومة الهندية (البريطانية) علاقة بكلتا المدينتين فيما يرتبط بوقف أوده. إذ قام غازي الدين حيدر ملك أوده بوقف مائة وواحد وعشرين ألف روبية في العام لتنفق لصالح المستحقين في المدينتين المقدستين. وحكومة الهند البريطانية، التي ورثت شركة الهند الشرقية، وجدت نفسها في وضع المتولي لهذا الوقف»(١٤).

وكانت قواعد توزيع الوقف عام ١٩٠٨ كالآتي:

أ ـ توزع الأموال بالتساوي بين عشرين مجتهداً، نصفهم يسكن في النجف، والنصف الآخر في كربلاء.

ب ـ كان من حق المقيم البريطاني في بغداد إعطاء الأموال

---

(١٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(١٤) Bell, Ibid., pp. 28-29.

لأي شخص يرغب به، على أن يكون هذا الشخص يحظى باعتراف المجتهدين الساكنين في النجف أو كربلاء.

ج ـ طريقة إنفاق الأموال المستلمة تعود تماماً إلى الشخص المستلم، ولا يستطيع المعتمد البريطاني التدخل في ذلك.

د ـ كان المجتهد يستلم أموال الوقف طوال حياته، أي غير محدود بفترة زمنية(١٥).

سعت بريطانيا إلى التأثير في المجتهدين من خلال وقف أوده. فحتى عام ١٨٥٢ كان أكبر مجتهدين في المدن المقدسة، هما السيد علي نقي الطباطبائي في كربلاء والشيخ محمد حسن النجفي (توفي عام ١٨٥٠) ثم خلفه الشيخ مرتضى الأنصاري، يعتمدان على خزانة بومباي البريطانية للحصول على المال من خيرية أوده بواسطة وكلائهما في الهند. ومنذ عام ١٨٥٢ أصبحت أموال وقف أوده تدفع من قبل الوكيل السياسي البريطاني في العراق.

وبدءاً بعام ١٨٦٠ حدث تغيير هام على الاتفاق الأصلي الذي كان يقضي بأن مجتهدي النجف وكربلاء وحدهم الذين يتسلمون المال ويوزعونه. إذ تم تخصيص ثلث المبلغ (أربعين ألف روبية) سنوياً لمنفعة الفقراء الهنود المقيمين في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية. وبذلك تم تأسيس (صندوق هندي) بتأثير نوّاب إقبال الدولة، ابن أخي الملك غازي الدين حيدر وهو الواقف الأصلي. إذ أصبح لنواب الذي أقام في الكاظمية حتى وفاته عام ١٨٧٧ نفوذ واسع. في عام ١٩٠٣ تم إلغاء الصندوق(١٦).

وخلال الفترة ١٨٦٠ و١٩٠٣ كان هناك مجتهدان اثنان فقط

---

(١٥) Atiyyah, *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study*, p. 81.

(١٦) نقاش، **شيعة العراق**، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

يستلمان أموال وقف أوده، وهما السيد علي نقي الطباطبائي في كربلاء، ثم بعد وفاته عام ١٨٧٢ أنيطت المسؤولية بابن أخيه أبي القاسم الطباطبائي، وحين توفي أبو القاسم عام ١٨٩١ حل محله نجله محمد باقر الذي شغل المنصب حتى عام ١٩٠٣. وفي النجف اختير السيد علي بحر العلوم ليكون المجتهد الذي يوزع أموال وقف أوده بين عامي ١٨٥٨ و١٨٦٠. وبعد وفاته عام ١٨٨١ حل محله محمد بحر العلوم الذي تبوأ هذا المنصب حتى عام ١٩٠٣[١٧].

في عام ١٩٠٣ أصبح التدخل البريطاني في شؤون المدينتين المقدستين أكثر تطوراً، حيث تم إلغاء (الصندوق الهندي) من قبل الميجر نيومارش، المقيم البريطاني المعيّن حديثاً في بغداد. وكان نيومارش قد حصل على موافقة حكومة الهند البريطانية وهي أن سلطة تحديد المجتهدين الذين يستلمون أموال وقف أوده، هي بيد المقيم البريطاني في بغداد. كما قام بإعداد قائمة بالمجتهدين حسب أصولهم القومية. واقترح نيومارش أربعة عشر سهماً قيمتها بين ٥٠٠ و١٥٠٠ روبية في الشهر للمراجع الكبار. وتم توزيع الأموال بين أربعة عشر مجتهداً، سبعة في النجف، وسبعة في كربلاء. وبعد عام كان هناك عشرة مجتهدين موزعين في كل مدينة، يشتركون جميعاً بالتساوي في عوائد وقف أوده ويتلقى كل واحد منهم ٥٠٠ روبية في الشهر[١٨].

قبل عشر سنوات من الحرب العالمية الأولى، كانت خطة نيومارش تستهدف خلق طبقة جديدة من المجتهدين تكون أكثر تقبلاً للنفوذ البريطاني، وأكثر تعاوناً مع السياسة البريطانية. ولكن فشلت هذه المحاولات على المستوى العالي، إذ أخفقت جهود الوزير

---

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

البريطاني في إيران السير آرثر هاردينغ في استخدام نفوذ هؤلاء المجتهدين للتأثير في الشؤون الإيرانية من خلال الطلب منهم التدخل في منع التظاهرات والقلاقل أثناء ثورة الدستور عام ١٩٠٥[١٩].

ومنذ عام ١٩٠٧ دعا السيد كاظم اليزدي إلى إجراء تغيير في نظام التوزيع حيث أكد أن أموال وقف أوده يجب توزيعها كلها على الفقراء. وفي عام ١٩٠٨ رفض السيد اليزدي والسيد محمد إسماعيل الصدر قبول حصتهم من وقف أوده. وأشار اليزدي إلى أن الشيخ مرتضى الأنصاري كان يوزع حصته من الوقف على الفقراء. ووجدت دعوة اليزدي قبولاً بين العلماء، لكن السيد محمد كاظم الخراساني أعلن عام ١٩٠٩ بأن المجتهدين أحرار في توزيع حصتهم من أموال الوقف وبالطريقة التي يرونها مناسبة[٢٠]. وصرح بأن ليس من وظيفة الحكومة تحديد أين تصرف أموال الوقف[٢١].

إزاء هذه المواقف وغيرها، سعى المقيم البريطاني الكولونيل رامزي الذي استلم منصب المقيم البريطاني بعد نيومارش، إلى استيراد مجتهدين هنود موالين لبريطانيا يتولون توزيع أموال الوقف في المدن المقدسة. وقد نجح في إقناع السيد أحمد، أحد علماء الهند الشيعة، بالقدوم إلى النجف عام ١٩١٢ ليقوم باستلام حصة من الوقف وتوزيعها[٢٢]. وحدث تطور آخر في العام نفسه عندما صار من صلاحية المقيم البريطاني في بغداد الاعتراف بأفراد كمجتهدين من حيث استلام أموال وقف أوده. ولم يكن اختيار المقيم للمجتهدين الكبار المعترف بهم، لأنهم سيرفضون استلام هذه المبالغ، لكن

---

(١٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(٢١) Atiyyah, Ibid., p. 82.

(٢٢) نقاش، المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

المجتهدين الهنود الأقل مستوى كانوا مستعدين لاستلام أموال الوقف نظراً لضآلة ما يحصلون عليه من حقوق شرعية من أتباعهم. إذ لم يقبل بهذا النظام سوى سبعة مجتهدين، ثلاثة منهم من الهنود. وفي شهر حزيران/ يونيو ١٩١٢ رفض المرجع الكبير الشيخ محمد حسين المازندراني استلام حصته، معلناً استياءه من النظام الجديد[٢٣].

لم تفلح كل تلك الجهود والأموال في تغيير موقف العلماء الشيعة تجاه الغزو البريطاني، إذ وقفوا ضده وأعلنوا الجهاد، وقادوا المعارك، وعبأوا القبائل ضد الإنكليز. ولا يوجد دليل على أن الذين استلموا أموال وقف أوده قد عارضوا الجهاد أو لم يشاركوا فيه. ولعل ذلك أن الذين كانوا يستلمون تلك الأموال كانوا من الدرجة العلمية الثانية أو الثالثة، وتأثيرهم محدود في الحوزة العلمية والمجتمع العراقي وبين العشائر العراقية.

رابعاً: علماء وطنيون

لقد أدرك الإنكليز أهمية الدور الكبير الذي يقوم به الفقهاء الشيعة في الحياة العامة. إذ تيقنوا ذلك من خلال بعض الوقائع والأحداث التاريخية مثل ثورة التنباك عام ١٨٩١، وثورة الدستور ١٩٠٥ في إيران. وكذلك دورهم الرئيس في حركة الجهاد عام ١٩١٤ و١٩١٥. في ٢٥/٩/١٩١٤ كتب السفير البريطاني في إسطنبول السير أل. ماليت إلى وزير الخارجية البريطاني السير إدوارد غراي موضحاً أهمية العلماء الشيعة، قائلاً: إن نائب القنصل البريطاني في المدينة الشيعية المقدسة يجب أن يكون له تأثير عليهم لصالحنا[٢٤].

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

(٢٤) Atiyyah, Ibid., p. 83.

وبقي العلماء الشيعة دائماً متحفظين وحذرين من الإنكليز، ورفضوا أن يكونوا عملاء أو يتعاونوا مع الحكومة العراقية الجديدة. وبقوا محافظين على استقلالهم المالي والإداري عن الحكومة، كما بقوا معتمدين على الدعم المالي المقدم من أتباعهم ومقلديهم من الجماهير، وعلى الاحترام الكبير الذي يكنّه الجميع لهم، وطاعتهم للعلماء. لقد بقي العلماء الشيعة يمثلون طبقة وطنية تحمل آمال وطموحات الجماهير، ومعارضين للسلطات الظالمة. إن الأحداث السياسية أثبتت دور العلماء الشيعة سواء قبل وأثناء الاحتلال البريطاني للعراق. كما بقي دورهم هاماً في مجمل الأحداث والتغييرات الهامة في تاريخ العراق المعاصر. كتبت المسز بيل تصف مواقف العلماء الشيعة قائلة: إنهم العنصر الأكثر صعوبة في هذه البلاد[٢٥].

لقد تزعم العلماء الشيعة ثورة العشرين عام ١٩٢٠ التي كان لها تأثير عميق في تشكيل دولة عراقية مستقلة. لقد كانت تلك الثورة أبرز حدث سياسي في تاريخ العراق الحديث. يقول السياسي السني ورئيس الوزراء السابق ناجي شوكت: من دون هذه الثورة العظيمة، لم يكن باستطاعة العراق تحقيق الاستقلال أو حتى شبه استقلال. ولم يكن باستطاعة العراق الانضمام إلى عصبة الأمم إلى جانب القوى العظمى التي تتمتع بعضوية المنظمة. لقد أصبح العراق أول دولة عربية مستقلة، وأخذت مكانها من بين دول العالم. وحتى ذلك الوقت لم يحلم أي بلد عربي بالاستقلال. إن العراق مدين لهذه الثورة العظيمة[٢٦]. وتقول المسز بيل: لم يكن يدور بخلد أحد ولا حكومة صاحبة الجلالة، أن يمنح العرب مثل

---

(٢٥) Elizabeth Burgoyne, *Gertrude Bell, from her Personal Papers 1914-1926*, 2 vols. (London: E. Benn, [1958-1961]), p. 179.

(٢٦) العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق**، ص ١٣٥.

الحرية التي سنمنحهم إياها الآن كنتيجة للثورة (ثورة ١٩٢٠)[٢٧].

لقد رفضت الإدارة البريطانية منح الاستقلال للدولة العراقية. ففي ٢٠/ ٤/ ١٩٢٠ عقد مؤتمر سان ريمو حيث تم الإعلان عن الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين، والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان[٢٨]. وبعد شهرين أصدر المرجع الديني الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه التي أطلقت شرارة الثورة، وهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. ويجب عليهم في ضمان مطالبتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم.

الأحقر محمد تقي الحائري الشيرازي»[٢٩]

وخلال السنوات الأولى للاحتلال البريطاني وجدت بريطانيا مقاومة شديدة لمخططاتها في العراق من قبل العلماء الشيعة. ففي ٢١/ ٦/ ١٩٢٠ اعتقلت السلطات البريطانية محمد رضا نجل الشيخ محمد تقي الشيرازي ومجموعة من العلماء أمثال الشيخ عبد الكريم العواد والشيخ هادي آل كمونة والشيخ كاظم أبوذان والسيد محمد علي الطباطبائي والشيخ عمر الحاج علوان وعبد المهدي القنبر والسيد أحمد البير، وقامت بنفيه إلى جزيرة هنجام، إثر تأكدها من

---

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٢٨) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٥: **حول ثورة العشرين**، ص ١٠٠ و١٢٩.

(٢٩) حسن شبر، **تاريخ العراق السياسي المعاصر**، ٢ ج (بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠)، ص ٢٣٤.

دوره المتزايد في تأجيج المشاعر ضدها والتي وصلت ذروتها في قيام ثورة العشرين في ٣٠/ ٦/ ١٩٢٠[٣٠]. وفي الأول من تموز/ يوليو ١٩٢٣ قامت الحكومة العراقية بنفي تسعة من كبار المجتهدين إلى إيران، بعد رفضهم إجراء انتخابات المجلس التأسيس العراقي الذي كان الهدف منه المصادقة على الاتفاقية البريطانية ـ العراقية. فقد تم نقلهم سراً لتفادي رد فعل الناس من اعتقالهم، وهم:

- السيد أبو الحسن الأصفهاني
- الشيخ محمد حسين النائيني
- الشيخ جواد الجواهري
- السيد علي الشهرستاني
- عبد الحسين الشيرازي
- أحمد الخراساني
- مهدي الخراساني
- حسن الطباطبائي
- عبد الحسين الطباطبائي

وقبل نفي هؤلاء المجتهدين، تم نفي المرجع الديني في الكاظمية الشيخ محمد مهدي الخالصي في ٢٦/ ٦/ ١٩٢٣. وفي ٢١/ ٤/ ١٩٢٤ عاد المجتهدون المنفيون إلى العراق بعد أن وافقوا على توقيع تعهد بعدم التدخل بالشؤون السياسية[٣١].

---

(٣٠) الوردي، المصدر نفسه، ص ٢١١.

(٣١) المصدر نفسه، ج ٦: **من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٤**، ص ٢٦١.

المراجـــع

١ ـ العربية

كتب

آل محبوبة، جعفر الشيخ باقر. **ماضي النجف وحاضرها**. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦. ٣ ج.

ابن مطهر الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف. **مختلف الشيعة**. قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٩٦. ٦ ج.

الأدهمي، محمد مظفر. **المجلس التأسيسي العراقي: دراسة تاريخية سياسية**. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٦.

الأصفهاني، أبو الحسن الموسوي. **وسيلة النجاة**. بيروت: دار المجتبى، ١٩٩٢.

الأمين، محسن. **أعيان الشيعة**. حققه وأخرجه حسن الأمين. بيروت: دار التعارف، ١٩٨٦. ١٠ ج.

الأنصاري، سعد. **الفقهاء حكام على الملوك**. بيروت: دار الهدى، ١٩٨٦.

بطاطو، حنا. **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**. ترجمة عفيف الرزاز. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥.

البهادلي، علي. **الحوزة العلمية في النجف: معالمها وحركتها الإصلاحية، ١٣٣٩ ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠م**. بيروت: دار الزهراء، ١٩٩٣.

بيترز، رودلف. **الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث.** القاهرة: دار شهدي للنشر، ١٩٨٥.

الحائري، كاظم. **الكفاح المسلح في الإسلام.** قمّ: انتشارات الرسول المصطفى، [د. ت.].

الحر العاملي، محمد بن الحسن. **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.** عنى بتصحيحه وتحقيقه وتذييله عبد الرحيم الرباني الشيرازي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٠ ـ ١٩٧١. ١٩ ج.

الحسني، سليم. **دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠.** بيروت: دار الغدير، ١٩٩٥.

الخامنئي، علي. **أجوبة الاستفتاءات.** بيروت: دار الحق، ١٩٩٥.

الخميني، روح الله الموسوي. **تحرير الوسيلة.** النجف: [د. ن.]، ١٩٧٠. ٢ ج.

الخوئي، أبو القاسم. **كتاب الجهاد.** بيروت: دار التيار الجديد، ١٩٩١.

ـــــ. **منهاج الصالحين.** بيروت: دار الزهراء، ١٩٨١. ٢ ج.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. **معجم مفردات ألفاظ القرآن.** بيروت: دار الكتاب العربي، [د. ت.].

رؤوف، عادل. **العمل الإسلامي في العراق: بين المرجعية والحزبية.** دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، ٢٠٠٠.

الرهيمي، عبد الحليم. **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤).** بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

السبزواري، عبد الأعلى. **جامع الأحكام الشرعية.** قمّ: دار الكتاب الإسلامي، [د. ت.].

السيستاني، علي (آية الله). **المسائل المنتخبة.** بومباي: تبليغات إيماني، ١٩٩٤.

ـــــ . **منهاج الصالحين**. قم: [د. ن.]، ١٩٩٦.

شبر، حسن. **تاريخ العراق السياسي المعاصر**. بيروت: دار المنتدى، ١٩٩٠. ٢ ج.

ج ١: **العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٥٨م**.

ج ٢: **التحرك الإسلامي ١٩٠٠ ـ ١٩٥٧م**.

الصدر، محمد باقر. **الفتاوى الواضحة**. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٧٩.

عبد الرزاق، صلاح. **الإسلاميون والقضية الفلسطينية**. طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٨٩.

ـــــ . **الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي**. طهران: مؤسسة الأعراف للنشر، ٢٠٠٠.

ـــــ . **العالم الإسلامي والغرب: دراسة في القانون الدولي الإسلامي**. لندن: دار الإسلام، ٢٠٠٢.

عفيفي، محمد الصادق. **الإسلام والعلاقات الدولية**. بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٦.

العلوي، حسن. **التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق**. قم: انتشارات الشريف الرضي، ١٩٩١

ـــــ . **الشيعة والدولة القومية في العراق**. لندن: [د. ن.]، ١٩٩٠.

الفرعون، فريق المزهر. **الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها**. بغداد: مؤسسة البلاغ، ١٩٥٢.

فضل الله، محمد حسين. **تفسير من وحي القرآن**. بيروت: دار الملاك، ٢٠٠٠.

الكلبايكاني، محمد رضا. **هداية العباد**. قم: دار القرآن الكريم، ١٩٩٣.

لونكريك، ستيفن هيميسلي. **أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث**. ترجمة جعفر الخياط. قم: منشورات الشريف الرضي، ١٩٩٢.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. **الأحكام السلطانية والولايات الدينية.** بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.].

محمد باقر الصدر. **دراسات في حياته وفكره.** لندن: دار الإسلام، ١٩٩٦.

مطهّري، مرتضى. **الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن.** بيروت: دار التعارف للمطبوعات، [د. ت.].

المظفر، محمد رضا. **عقائد الإمامية.** قم: انتشارات الإمام الحسين، ١٩٩٩.

المنجد في اللغة والإعلام. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨.

المؤمن، علي. **سنوات الجمر: مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٥٧ ـ ١٩٨٦.** لندن: دار المسيرة، ١٩٩٣.

النفيسي، عبد الله. **دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث.** بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٣.

نقّاش، إسحق. **شيعة العراق.** قمّ: المكتبة الحيدرية، ١٩٩٨.

الوردي، علي. **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث.** ط ٢. [بغداد]: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م. ٦ ج في ٤ مج.

ج ١: **من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر.**

ج ٢: **من سنة ١٨٣١ إلى سنة ١٨٧٢.**

ج ٣: **من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩١٤.**

ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨.**

ج ٥: **حول ثورة العشرين.**

ج ٦: **من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٤.**

دوريات

عبد الرزاق، صلاح. «ملامح النظرية الإسلامية في السياسة الخارجية.» **الفكر الجديد** (لندن): العدد ٢، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٢.

٢ ـ الفارسية

كتب

الخميني، روح الله الموسوي. **استفتاءات أز محضر إمام خميني**. قم: [د. ن.]، ١٩٨٨.

شكوري، فضل الله. **فقه سياسي إسلام**. طهران: [د. ن.]، ١٩٨٣.

مهدوي، عبد الرضا هوشنك. **تاريخ روابط خارجي إيران**. طهران: انتشارات أمير كبير، ١٩٨٦.

٣ ـ الأجنبية

Books

Atiyyah, Ghassan R. *Iraq, 1908-1921: A Socio-Political Study*. Beirut: Arab Institute for Research and Pub., 1973.

Barker, A. J. *The Neglected War: Mesopotamia, 1914-1918*. London: Faber, 1941.

Batatu, Hanna. *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists, and Free Officers*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978. (Princeton Studies on the Near East)

Bell, Gertrude. *The Arab War; Confidential Information for General Headquarters from Getrude Bell, Being Dispatches from the Secret «Arab Bulletin»*. Introduction by Kinahan Cornwallis. [London]: Golden Cockerel Press, [1940].

_____ . *Review of the Civil Administration of Mesopotamia*. London: H.M. Stationery Office, 1920.

Browne, Edward. *A Literary History of Persia*. Cambridge [UK]: Cambridge University Press, 1953. 4 vols.

Buchanan, George. *The Tragedy of Mesopotamia*. Edinburgh; London: W. Blackwood, 1938.

ج

Burgoyne, Elizabeth. *Gertrude Bell, from her Personal Papers 1914-1926.* London: E. Benn, [1958-1961]. 2 vols.

Dickson, Harold Richard Patrick. *Kuwait and Her Neighbours.* Edited for publication by Clifford Witting. London: Allen and Unwin, [1956].

Encyclopedia of Islam. Leiden: E. J. Brill, 1965.

Esposito, John L. (editor in chief). *The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.* Editors Shahrough Akhavi [et al.]. New York: Oxford University Press, 1995. 4 vols.

Foster, Henry A. *The Making of Modern Iraq; a Product of World Forces.* Norman: University of Oklahoma Press, 1935.

Haldane, Aylmer L. *The Insurrection in Mesopotamia, 1920.* Edinburgh; London: W. Blackwood and Sons, 1922

Harris, George. *Iraq: Its People, Its Society, Its Culture.* In collaboration with Moukhtar Ani [et al.]. New Haven, CT: HRAF Press, [1958]. (Survey of World Cultures; [3])

Hughes, Thomas Patrick. *A Dictionary of Islam; Being a Cyclopaedia of the Doctrines, Rites, Ceremonies, and Customs, Together with the Technical and Theological Terms, of the Muhammadan Religion.* 2nd ed. London, W. H. Allen and Co., Limited, 1896.

Ireland, Philip Willard. *Iraq; a Study in Political Development.* London: J. Cape, [1937].

Khadduri, Majid. *War and Peace in the Law of Islam.* Baltimore, MD: Johns Hopkins Press, [1955].

Peters, Rudolph. *Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History.* The Hague; New York: Mouton, 1979. (Religion and Society; 20)

Tabataba'i, Muhammad Hussein. *Islamic Teachings in Brief.* Qum: Ansaryan Publication, [n.d.].

Periodicals

Khawar: no. 10, 30 Thul Hijjah 1332 H/19 October 1914.

Die Welt des Islams: vol. 3, 1915.

يعتبر الاحتلال والاستعمار أفظع صور انتهاك حقوق الإنسان وحرياته، حيث يجري فرض إرادة دولة أجنبية على إرادة شعب وانتهاك سيادة دولته.

وفي المراحل الأولى من التوغل الأوروبي في العالم الإسلامي قاوم المسلمون في مواقع كثيرة الوضع الجديد بالقوة. وكانت عقيدة الجهاد هي الطريقة الوحيدة المتاحة بأيديهم، والقادرة على تعبئة الجماهير ضد الغزو الإستعماري. إلا أن المجتمعات الإسلامية آنذاك كانت تفتقد التنظيم ما عدا المؤسسات الدينية، التي كان بوسعها تعبئة المسلمين في حركة منظمة ضد القوى الاستعمارية.

وفي العراق كانت وما زالت المرجعية الشيعية تمثل معلماً كبيراً من معالم الحياة السياسية والثورية. إذ لعبت دوراً أساسياً في حركة الجهاد التي انطلقت لمواجهة الاحتلال البريطاني، وبقيت تمثل محور الحركة في الثورات والانتفاضات.

يلقي هذا الكتاب الضوء على تأثير الفتوى على المجتمع المسلم، فاختار المؤلف فتاوى السيد كاظم اليزدي على تاريخ العراق السياسي بعد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤، واعتمد منهج الغوص في الأحداث وتحليل مدلولاتها وتأثيراتها السياسية والفكرية والاجتماعية. فوزع الكتاب على تسعة فصول تناول فيها: المؤسسة الدينية الشيعية ودور العتبات المقدسة في نشوء المدن المقدسة، وأوضاع الشيعة في العراق خلال فترة الاحتلال العثماني، وعقيدة الجهاد عند الفقهاء الشيعة، والفرق بين الفتوى والحكم، ومواقف العلماء المسلمين المعاصرين للسيد اليزدي، وموقف اليهود والمسيحيين العراقيين من الاحتلال البريطاني، ووقائع حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني.



